العدد العاشر ــ ت ١ (اكتوبر) ١٩٦٦ ــ السنة ١٢



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ــ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - Liban

B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur

SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير

عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ــ بناية درويش

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية أو بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الإدارة

كنا قد أثرنا في مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي عقد في بغداد في العام الماضي ١٩٦٥ (٥ ١ ــ ٢١ شباط) موضوع عدد من الادباء والمثقفين العراقيين الموجودين في الخارج ، والذين يحول اسقاط الجنسية العراقية عنهم دون تحقيق رغبتهم في العودة الى وطنهم .

وقد اذاعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر يومذاك توضيحا حول هذا الموضوع كنا قد حسبناه كافيا لافساح الطريق امام هؤلاء الادباء للعودة الى العراق ، ولكن يبدو الان ان ذلك التوضيح كان يتجاهل امر اسقاط الجنسية او ينفيه .

ولدينا اليوم ما يؤكد انه كان قد صدر في صيف ١٩٦٣ قرار من وزير الداخلية آنذاك علي صالح السعدي باسقاط الجنسية العراقية عن مجموعة من المواطنين كانوا موجودين خارج العراق ، اكثرهم من الادباء والكتاب ، وهم

***

قضيّة إنسانية ...

***

بالتحديد الاساتذة محمد مهدي الجواهري وذو النون ايوب وعبد الوهاب البياتي وغائب طعمة فرمان والدكتور صلاح خالص والدكتور فيصل السامر وعزيز الحاج ومحمود صبري ومحمد شراره وكلهم كانوا اعضاء في اتحاد الادباء العراقيين سابقا ، بالاضافة الى الدكتورة نزيهة الدليمي رئيسة رابطة المرأة العراقية ونوري عبد الرزاق حسين السكرتير العام لاتحاد الطلاب العالمي والدكتور رحيم عجينة .

وقد كان السبب المباشر لهذا الاجراء مشاركتهم في حركة الدفاع عن الشعب العراقي التي نشأت خارج العراق احتجاجا على المظالم التي كانت تجري في العراق آنذاك . **والمعروف انه قد شارك في فعاليات تلك الحركة ، باشكال مختلفة ، عدد من الشخصيات العالمية بينها الفيلسوفان جان بول سارتر وبرتراند راسل ، كما تشكلت بالتعاون مع**

الحزبية في كل من بريطانيا وفرنسا لجنة للدفاع عن حقوق الانسان اتصلت بكثير من رؤساء الدول في العالم ، ولا سيما بنيكروما وسيكوتوري والرئيس عبد الناصر الذين وقفوا منها موقفا ايجابيا .

وتدل بيانات الحركة على ان اهدافها كانت انسانية عامة لا تتعرض للخلافات الحزبية والفكرية وانما تدعو الى ايقاف الاضطهاد في العراق وازالة آثاره وذلك بالعفو عن السجناء السياسيين والغاء الاجراءات التعسفية ضد الوطنيين واحترام حقوق الانسان وايقاف حرب الاخوة في شمال العراق وحل القضية الكردية بالطرق السلمية .

وقد علمنا الان ان فعاليات الحركة قد توقفت ، لا سيما بعد ان توقف القتال في شمال العراق وافرج عن بعض السجناء السياسيين .

ومهما يكن الامر ، فان ما يعنينا هنا هو التأكيد مرة اخرى على استغراب هذا الاجراء : اسقاط الجنسية عن مواطنين اصليين لم يكتسبوها اكتسابا ، ولم توهب لهم ليمكن انتزاعها منهم . وقد حرصت لائحة حقوق الانسان التي وقعتها الحكومة العراقية على تأكيد هذا الحق الاساسي للانسان ، فنصت المادة الخامسة عشرة منها على « ان لكل انسان جنسية ولا يجوز حرمانه منها ... » .

وربما كان للسلطة الحاكمة آنذاك مآخذ او خلاف فكري او عقائدي مع هؤلاء الادباء ، وربما لا يزال للسلطة الحاكمة اليوم في العراق مآخذ او خلافات معهم ، ولكن ذلك لا يبرر على الاطلاق اسقاط الجنسية عنهم . ان هذا فضلا عن مخالفته للناحية القانونية ، مناقض للناحية الانسانية . فبأي منطق يحرم مواطن من مواطنيته ؟ ايكفي ان يكون مخالفا في ايديولوجيته لتفكير السلطة الحاكمة ؟

ان بيننا وبين الشيوعيين (وقد يكون هؤلاء الادباء شيوعيين او لا يكونون) خلافات ايديولوجية لا مجال الان لتبيانها ، وان لنا مآخذ كثيرة على تصرفاتهم السابقة وعلى النهج الذي انتهجوه من بعض قضايانا العربية ، ولكننا لن نسمح لانفسنا بقبول تجريدهم من جنسيتهم ، اي من حقهم في العيش على ارض الوطن ، لمجرد اننا نختلف معهم في العقيدة والفكر ، لان هذا يتجاوز حد الخلاف الى الهبوط في درك الانتقام الوحشي ...

واذن ، فنحن ننتظر من الحكومة العراقية اليوم الغاء ذلك القرار اللاانساني ، والايعاز الى سفاراتها وقنصلياتها في الخارج بابلاغ هؤلاء الادباء ، وسواهم ممن اسقطت عنهم الجنسية لمثل هذا السبب ، ببطلان مفعول ذلك القرار ، والسماح لهم بالعودة الى الوطن .

ان اسقاط الجنسية عن مواطن ، لمجرد ان له رأيا يخالف رأي الحاكم ، هو ضرب من التعذيب المعنوي لا يقل ايلاما عن التعذيب الجسدي ... وكما دعونا في الشهر الماضي الى كف التعذيب عن مفكرين جزائريين هم الان ضحايا الجلادين الجدد في الجزائر، ندعو اليوم الى ايقاف هذا التعذيب المعنوي الذي طال امده عن فئة من الادباء المفكرين تظل الرابطة الانسانية التي تربطنا بهم فوق كل اعتبار حزبي او ايديولوجي !

سهيل ادريس



الثورة !..

بقلم أحمد بن بلّة

يصدر هذا الشهر عن دار الاداب الكتاب المنتظر « مذكرات احمد بن بله » كما أملاها على روبير ميرل . وهي من ترجمة العفيف الاخضر . وننشر فيما يلي فصلا من هذا الكتاب الرائع .

في نهاية مارس (اذار) ١٩٥٢ جاء بوديسه الصافي ليراني في مكان المحادثة بالسجن ، وبواسطة الحارس ناولني كيلو من الخبز لم يسلم لي الا بعد ان شطر من الوسط ، مثلما هي العادة . انه روتين السجون الذي لا يتغير ولا يجدي : فقد كان احد طرفي الرغيف يحتوي على مبرد قوي .

وشرعنا في العمل ، بمشاركة ستين سجينا سياسيا ، كنا نعيش بينهم . واذا كان لم يوجد بينهم خائن واحد ليشي بنا ، فذلك يبرهن على قيمة مناضلينا في المنظمة الخاصة ، وعلى العناية التي تم بها اختيارهم .

اذا كنت ما زلت اذكر ، فان الاخ كيركبان بن ناصر هو الذي كان ، يوما بعد يوم ، يبرد قضبان نافذة كانت تشرف على الباحة . لقد كان ميكانيكيا بالمهنة . واتم مهمته بمهارة رائعة . وبينما كان المبرد يفل ، شيئا فشيئا ، الحديد الذي كان يفصلنا عن الحرية ، كنا نحن الستين سجينا ننشد في جوقة لكي نغطي ضجيج المبرد .

وكان قد اتفق الرأي على ان يحاول اثنان منا فقط الفرار : محساس (1) وانا. كانت الباحة مغلقة بجدار ارتفاعه خمسة امتار تقريبا. ولكن هذا الجدار كان مضاعفا على بعد صغير بجدار ثان اكثر علوا وبين الاثنين طريق يطوف به خفراء السجن ليلا . ولقد اتفقنا على ان نصعد على هرم من السجناء لاجتياز الجدار الاول ، وبان يلقي لنا حبل من الخارج لنجتاز الجدار الثاني .

ان في كل فرار مفاجآت سيئة على العموم . وقد اجتزنا بدون صعوبات العقبة الاولى . وعندما وصلت الى اعلى الجدار الاول ، رأيت بسرور اقوى من اي تعبير ، بان الحبل معلق على طول الجدار الثاني في المكان الذي اتفقنا عليه . ولكن اكتشفت في الوقت نفسه ، بضيق ، عمودا مكهربا عرضه متر ونصف تقريبا ، يمتد على الجانب الاخر من الجدار الذي كنت اجثم على قمته . وعندئذ فكرنا بانه من المستحيل ان نتعلق بالحبل بايدينا ونسناب معه الى الارض . كان يجب ، اذن ، ان ننتصب على الجدار ، مجازفين بالموت بصدمة التيار الكهربائي او بكسر فخذ ، وان نثب على عرض متر ونصف وعلى عمق خمسة امتار ، لنلملم انفسنا من على ارض طريق الخفراء المبلطة .

جربت حظي انا اولا لاني كنت في صحة ممتازة . ونجحت تمام النجاح ، ولكن محساس لم يكن محظوظا . فقد التوت رجله ، وتصور ساعده عند الهبوط . وفهمت وانا ارفعه بانه سيكون من الصعب عليه اجتياز الجدار الثاني . امسكت ، اولا بالحبل وبالارتكاز على الجدار بكلتا ساقي ، على طريقة متسلقي الجبال Alpiniste ، بلغت القمة. كنت ارقص الحبل لاشعار محساس بان دوره قد آن . لم استطع ان ارى وجهه لان الليل كان بهيما ، ولكن بسماع تلاحق انفاسه ، ادركت انه كان في تعب شديد . كنت مفرجا ساقي على الجدار . وتركت فخذي يتدلى عموديا مع الحبل . حتى يستطيع ان يستمسك به عندما يصل الى مستواي وعندئذ استطيع ان انحني وامسكه من يده حتى اساعده على الصعود الي ، واخيرا رأيت وجهه يظهر كبقعة صفراء انفصلت من الظلام . ورأيت يده على بعد اقل من ٤٠ سنتمترا من كعبي ، ولكنه لم يفلح في الوصول اليها ، فسقط الى نقطة انطلاقه الاولى . ومن سماع صفير انفاسه المتقطعة في الظلام ، ادركت كم كان قد كلفه ذلك من الجهد ، فانحنيت وقلت له في مثل الزفرة « اعد كرة اخرى » .

ورأيته مرتين اخريين يظهر على اقل من متر من كعبي ثم يسقط . كنت احس باني يائس لانه كان من المستحيل علي ان انجده . كنت منحنيا

---

١ – سماه بن بله وزيرا للاصلاح الزراعي وبعد انقلاب ١٩ جوان ١٩٦٥ انضم للعقيد بومدين . – روبير ميرل –

عليه بالقدر الذي استطيع دون ان افقد توازني . وكل ما كنت استطيع عمله ، كان انتظار صعوده الى مستوى فخذي . وفي المرة الثالثة ، قال لي من الاسفل في زفرة :

ــ امش ، امش ، احمد ، انت نجوت .

قلت له : « لا ، حاول مرة ايضا » .

احسست الحبل يتوتر تحت اصابعي ، وادركت انه يقوم بمحاولة رابعة . كنت اشك في نجاحه . لاني لاحظت كيف كان التعب ، في كل مرة ، يقصيه اكثر عن هدفه ، ولكن ارادة رجل محاصر قادرة على المعجزات . اندهشت لمرآه وهو يثب من الظلام فجاة ، بقوة جديدة ويستمسك بكعبي . ملأني نجاحه فرحا . امسكت يده المتصببة عرقا بين يدي وسحبته وفي اقل من لحظة كان جالسا امامي على اعلى الجدار ، مستنزفا ، منثنيا الى شطرين غير قادر على شيء اخر . لم يبق الا ان نرمي الحبل من الجانب الاخر وننزل الى المدينة النائمة . ان الحرية لم تعد الا لعبة اطفال .

كان اصدقاؤنا بانتظارنا . وكانوا يعلمون أن فرارنا لن يلبث ان يكتشف وان القوات البوليسية ستستخدم لمراقبة الخطوط الحديدية والطرق . وجاء الى خيالهم ان نختبيء في مكان لا يخطر على بالهم البحث علينا فيه ، عند مناضل يسكن على مسافة قصيرة من السجن في بيت صغير تكتنفه حديقة . ولسوء الحظ كانت زوجة هذا المناضل حبلى، على ابواب الوضع ، وفي غمار التأثر بمعرفة اننا مختفيان عندها ، بينما كانت الاذاعة والصحافة لا تتحدث الا عنا ، وضعت وضابقنا ذلك بشكل مميت .

ما العمل ، والاحتفال التقليدي الذي يرافق الولادة عندنا لا بد منه؟ ان هناك مجهولين يختفيان بالبيت ، واذا الغي الاحتفال فان الجيران سيشكون فورا بشيء ما ؟

وبعد كل حساب ، اختار المناضل اقامة الاحتفال ، وفكر في اسكاننا بكوخ من القصب ، في اقصى حديقته . ولكي يقصي عنا الاطفال ، الذين ينطلقون بعد الاكل لاشباع فضولهم في كل الزوايا ، فقد اعطانا، للمرافقة، كلبا هو اكثر كلابه ضراوة . انني لم ار في جنس الكلاب كله كلبا اقبح وانبح واشرس منه . كان لا بد من يوم كامل من التهديد والملاطفة والضرب لا اقول لكي يقبلنا بل لكي يتسامح بحضورنا . ثم انه كان يحصر كامل الوقت الذي فرضنا فيه عليه ، ملقيا علينا من حين لحين نظرات عدائية ...

كنا لابدين على فراش وثير ، نسمع كل ما كان يدور بين النساء من حديث في المطبخ المجاور ، وكان الاطفال يجولون قريبا جدا من كوخنا ، ولكن الكلب كان ، كلما اقتربوا ، يرفع عقيرته بنباح مسعور ، وعيناه تلتهبان وشعر رقبته مقشعر . لقد كان في حالة نخشى فيها ان يرمي بنفسه علينا في سورة غضبه .

ومما زاد الامور تعقيدا ان محساس كان قد اصيب بزكام انساء الفرار . وكانت نوبات السعال الرهيب تاخذه من لحظة الى اخرى . وكنت اراه يستحيل الى لون القرمز من الجهد الذي كان يبذله لكتم السعال العنيف ، ولم يستطع الا ان يقول لي فقط : « الوسادة » وفورا غطيت راسه بالوسادة فانفجر بالسعال . ومن حسن الحظ ان الكلب الذي اغاظه هذا التصرف المفاجيء انفجر بدوره . وعندها اخذ نساء المطبخ يصرخن وينادين الاطفال باصوات تصم الاذان .

انتهى الاحتفال ، وذهب المدعوون . وابعد عنا الكلب ، وعاد كل شيء من حولنا هادئا . كان شهر مارس (اذار) يشارف نهايته. وكان الربيع قد وضع ، بالبليدة ، ازهارا وعطورا في كل مكان . وكنا نستنشق انسام السماء ونتنشى بها ، كانت الالوان هي التي تسحرنا بالاخص بعد جدران السجن العمياء وبساحاته التي لا شمس فيها وعالمه الرمادي الباهت .

غيروا لنا المخبا اكثر من مرة ثم سفرنا الى الجزائر العاصمة ، حيث اصبحت الضيف السري عند عائلة وطنية . كم احب ان يكون في الجزائر عائلات كثيرة من نوعيتها . لقد كانوا كلهم ، كبيرا وصغيرا ، حتى الفتيات ، يتناضلون . ولما عاد السلام ، واصلت العائلة العمل ، من غير ان تستثير مصالحها الخاصة في اية لحظة . وكثيرا ما يتفق ان ازور افراد العائلة الان وان اشرب قهوة عائلية معهم ، مستعيدا ذكريات الشهور الستة التي قضيتها بينهم بعد فراري . وكانت احدى فتيات العائلة تدعى حسيبة ، وهي كائن جدير بكل اعجاب ، فهي لا تعرف الا الاخلاص ، وهي تهتم اليوم باطفالنا ماسحي الاحذية وبابناء الشهداء . (1)

في الجزائر العاصمة حصل لي الاخوان في المنظمة الخاصة على اوراق مزيفة وبفضل مشاركة مستخدمي الباخرة ، ركبت كمسافري الباخرة : « مدينة وهران » منطلقا نحو مرسيليا . ومنها ذهبت الى باريس حيث قضيت بضعة شهور مختبئا في مسكن صغير مطل بنهج كادي بمون مارتر .. بالتاكيد كنت في باريس اكثر امنا مني في الجزائر العاصمة . ولكني امتثالا للانضباط كنت لا اخرج الا لماما . فقط من اجل الاتصالات الضرورية . وكانت حياتي هادئة ومنطوية .

في سنة ١٩٥٣ التحقت بمصر (التي كان الملك فاروق قد طرد منها قبل قليل) وكانت بداية الثورة تبدو شديدة الصعوبة . كذلك بدايتنا ، في القاهرة ، لم تكن اقل صعوبة . كنت انا واصدقائي انذاك مجهولين تماما في مصر . وكنا نعيش في ظروف جد حرجة : ان الفول في مصر مثل الارز في الصين ، وخلال اربعة شهور كان الفول هو الوجبة الوحيدة التي نتناولها يوميا . ووجبة الفول الجاهزة كانت تكلف ، على ما اذكر ، قرش صاغ • ووسائلنا لم تكن تسمح لنا بان نقدم لانفسنا شيئا اضافيا . ومع الثوريين المصريين كانت لنا في البداية بعض المصاعب ، منشؤها تبايننا اللغوي . وما زلت اذكر انه عندما كنت للمرة الاولى اعرض الوضعية في الجزائر بالجامعة العربية ، كان لزاما علي ان اتحدث بالفرنسية ... ان الفرنسية لغة رائعة بالتاكيد ولكن استخدامها في مثل هذا المكان كان له مفعول الكارثة . اية فضيحة كانت ! واي اجتراء على المقدسات ! بينما كنت اتحدث امام اخوتي العرب ، وكنت ارى وجوههم تتشنج تحت تاثير الاندهاش . لقد كنت اتفهم مشاعرهم : العربية هي وسيلة ورابة اخوتنا في وقت معا . ولكن هل كانت لي حيلة اخرى في الامر ؟ كنت جزائريا من جماهير الشعب ، التي غاصت في الليل منذ قرون وقرون ، فنسيت لغة اجدادها النبيلة.

وكانت هناك اختلافات اخرى بيننا وبين المصريين . لقد كانت فكرتهم خلق وتمويل حركة كبرى مركبة من ثلاثة فروع وطنية لتحرير شمال افريقيا . هذه الفكرة لم تبد لي واقعية . ان وحدة المغرب كانت ابعد ما تكون عن التحقيق . فكيف نستطيع ان نتصرف كما لو كانت قد تمت ؟ ولماذا تطرح ، من البداية ، المشاكل الدقيقة لقيادة تعلو على الاوطان Supranationale بينما كان النضال في سبيل الاستقلال ، في كل من بلدان المغرب الثلاثة ، نضالا وطنيا بلا جدال ؟ ورفضنا ، شارحين للاصدقاء المصريين ، اسباب رفضنا . وقد اشمازوا في اول الامر ولكن فيما بعد اثنوا على وضوح موقفنا ، ونزاهته كذلك . ورفضنا قبول تمويلهم اذ اننا كنا غير متفقين مع مفاهيمهم . وفي النهاية ، هم الذين غيروا مواقفهم ووعدونا بكل مساعدة ممكنة عندما نعلن الثورة .

ولم نكن نطلب اكثر من ذلك ؟ لقد كنا ننتظر على احر من الجمر ! ولكن مصالي كان غارقا الى الذقن في مستنقعات الجمود . لقد كان في الوضع السائد مناقضة لا تطاق : كانت الوضعية في تونس ثورية . وكذلك كانت في المغرب . واما الجزائر فقد كانت بلا حراك . ان جناحي المغرب كانا ينتفضان ، اما جسد الطائر الكبير فقد ظل هامدا .

خلال شهور كان الاتجاه المتصلب في الحزب ـ المناضلون السابقون في المنظمة الخاصة ، الذين اعادوا تنظيمهم بصورة سرية ، على صلة بالخارج وبي ـ يبذل كل ما في وسعه ليدفع الاتجاه الرخو الى العمل. وفشلت كل مساعيه . لان المصاليين الذين اداروا ظهورهم التاريخ لم يعودوا يحلمون الا بالانتخابات .

---

١ ـ ابناء المجاهدين الذين استشهدوا في الحرب يربون في مؤسسات تقوم ، بشؤونها الدولة . وماسحو الاحذية الصغار اخلوا من الشوارع في فبراير ـ ١٩٦٣ ـ روبير ميرل ـ

في خريف ١٩٥٤ أجتمع قادة المنظمة الخاصة في سويسرا وقرروا، خارج اطار الحزب وبدون علمه ، الشروع في العمل . لم نحدد يوما لشن العمليات ، لاننا كنا لا نريد ان نربط رؤساء الداخل بتاريخ محدد. وهم الذين ، على ضوء الوضع الداخلي ، اختاروا غرة نوفمبر .

في الواقع بدأت الثورة الجزائرية المسلحة بقليل جدا من السلاح: ٣٥٠ او ٤٠٠ قطعة فقط من البنادق الايطالية Mousquetons وصلت من ليبيا . ولقد وجدت المنظمة الخاصة عنتا شديدا في ادخالها الى الجزائر بطرق ملتوية : من طرابلس الى غدامس ومن غدامس الى بسكرا. ولقد نام هذا السلاح اكثر من عام على هذه الارض الجزائرية التي كنا نريد ، بعونه ، استعادتها . كان يستخرج من الارض في اماد منتظمة لينظف ويدهن ثم يلف من جديد في الخرق ويدفن في مكان جديد . ولم يكشف اي من مخابئنا قط ولم تقع اية خيانة .

وعندما آن الاوان وزع هذا السلاح في كل مكان تقريبا من البلاد وبالاخص في الاوراس ، الذي كنا نريد ان نجعل منه الحصن الاساسي للثورة . بيد ان اي قطعة سلاح لم ترسل الى عمالة وهران . لان أصدقاءنا المغاربة وعدونا بان يزودونا به . وضرب الموعد في مكان ما من الريف وفي الوقت والمكان المعينين ، حضر رجالنا ببغالهم . وانتظروا اياما طويلة ولكن احدا لم يحضر . وعادت قافلتنا بخفي حنين عشية غرة نوفمبر . واستولى على المسؤول المحلي الكبير اليأس . ولم تعد لديه الوسائل ليجبر رؤساء الداخل بخيبته المريرة ، لانه كان يخشى ان يظهر في عينهم بمظهر الجبان . ولذا شرع في الهجوم يوم غرة نوفمبر بالوسائل التافهة التي كانت لديه وترك حياته في ذلك الهجوم.

كنا نعلق على غرة نوفمبر نتيجتين ، احداهما عظيمة الاهمية وبعيدة المدى : هي جعل الشعب الجزائري برمته يلتف حول عمل شنته اقلية نشيطة . والنتيجة الثانية كانت تعود لخطأ متوقع من الخصم : ولقد ارتكبها كما كنا نأمل ، وحصلنا منها على ربح عظيم . لم نكن ، في الواقع ، نجهل انه في حالة « ضربة قاصمة » لن تتأخر الحكومة الفرنسية عن حل حركة انتصار الحريات الديمقراطية وسجن مسؤوليها. وذلك ، بكل ارتياحنا ، ما فعلته . وهكذا خلصنا من « ساسة دساسين » Politicards كانت تحسبهم شركاءنا ، وكانوا في الحقيقة يضايقون، على نحو رهيب ، عملنا بالبلبلة التي كانوا يشيعونها في افكار الجماهير. وهكذا بفضل الخصم اصبحت جبهة التحرير الوطني التي اسستها المنظمة الخاصة في غرة نوفمبر هي القوة السياسية الوحيدة للجزائر.

وعندما استبدل سوستيل (١) بليونار ادرك هذا الاخير مدى الهفوة التي ارتكبها اسلافه . فافرج فورا عن بعض المسؤولين ، وابقى على حزب « الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » L.U.D.M.A. الذي يقوده فرحات عباس ، واجرى اتصالات مع رؤسائه . وفكرة سوستيل كانت ان يشجع ، بطريق غير مباشر ، حركة قومية معتدلة تحبذ مثلنا نفس الاهداف ، ولكن بطرق قانونية انتخابية ... لقد كان المشروع ذكيا ولكنه فشل لسببين . اولا لان قادة « القومية المعتدلة » الانتهازيين بطبعهم ، لم يتخلفوا ، من اجل تغطية انفسهم ، عن الاتصال بنا ، ولم نتخلف من جهتنا عن افهامهم بصرامة بان الاعيبهم السياسية لن نتسامح معها الا في الحدود التي يمكن ان تخدمنا . وثانيا لان اعلان الثورة في الشمال القسنطيني ، يوم ذكرى خلع محمد الخامس ، ٢٠ اب ١٩٥٥ ، بعد عام من اندلاع غرة نوفمبر ، برهن للرأي العام الجزائري بان جبهة التحرير الوطني ابعد ما تكون عن التلاشي ، بل انها نجحت في توسيع وتكثيف عملها . وفورا استخلص « القوميون المعتدلون » الاعزاء على سوستيل ، كل النتائج المرغوبة (٢) .

(١) الحاكم الفرنسي العام للجزائر .

(٢) يشير بن بلة هنا الى البيان المسمى ببيان الـ « ٦١ » منتخب جزائر الذي جمعهم بعد ٢٠ اب - أوت - ، في قصر كارنو، بن جلول واعلنوا رفض الادماج . وهكذا فقد مشروع سوستيل كل قاعدة سياسية جزائرية . - روبير ميرل .

وبينما كانت الثورة تنمو ، كنت مع اصدقائي في الخارج انظم دعم العمليات بالسلاح Le Soutien Logistique وبنادق غرة نوفمبر لم تكن تستطيع أن تدعم طويلا حرب عصابات . كانت مهمتي الحصول على اسلحة اكثر جدية من الاقطار العربية وادخالها للجزائر .

واذا كانت مصر قد امدتنا ، منذ البداية ، بمساعدة عظيمة ، فان كل الاقطار العربية بدرجات اقل ، قد ساعدتنا . وأرى كل الاقطار العربية بما في ذلك الاقل تقدمية مثل الاردن والعربية السعودية . ان الملكة دينا الجذابة اعارتنا يختها لنقل السلاح الى الساحل المغربي . وفي البداية، كانت هذه الاعارة ، اذا نجرأت على القول ، بغير اختيارها، ولكن عندما اوقف الاسبان عمال اليخت واحتجزوه اثر عمليات قاموا بها ، اضطررنا للاعتراف للملكة باننا قد استعملنا يختها الجميل . وفورا عفت عنا . وشرعت في العمل عن طيبة خاطر ، وطلبت من الاسبان تحرير الحمولة والسفينة ، مؤكدة لهم انه بامر منها وعلى هواها كان يختها يتجول بدونها على مسافة ٣٠٠٠ كلم من مرفأ الارساء .

كان اليخت يدعى بنفس اسم الملكة . وكان سفينة عجيبة . وقد اصطدم في قلب الليل بكثيب من الرمال ، في خليج صغير ، بالساحل المغربي . كان ذلك في فبراير ١٩٥٥ ، كان المساء باردا . وكان البحر طاميا ، وقد مد حبل من السفينة الى الشاطىء ، وتعرى رجالنا ، وطوال الليل ، ظلوا ينقلون صناديق السلاح الثقيلة من اليخت « دينا » الى الارض اليابسة ، غارقين الى الصدور في الامواج المثلجة . كانوا مناضلين من مغنية وتلمسان اجتازوا الحدود ، قبل خمسة عشر يوما ، وظلوا ينامون على الارض مشتتين عند سكان الريف الساحلي . كانوا يرتجفون من البرد ، وكان الصندوق مثبتا ، بتوازن على الرقبة ، بيد، واليد الاخرى ممسكة بالحبل . وكان كل واحد منهم يقطع في كل مرة ٢٠٠ متر في هيجان بحري عنيف . لم يكن هناك قمر . واذا تركوا الحبل ، فلن يبقى لهم ، للاهتداء ، الا الضوء القليل المتقطع المنبعث من قنديل كهربائي .

اصيب بعض المناضلين بجروح ، وفقد اخرون سلامة بعض اعضائهم ، وقد اصيب بعضهم فيما بعد بذات الرئة ، ولكن ما ان طلع الفجر حتى كان اليخت قد فرغت شحناته ، والاسلحة قد دفنت في الارض ، وفي صباح اليوم التالي أمر الفلاحون الريفيون قطعان الغنم على رمال الشاطىء لمحو الاثار . ولكن الامور ساءت عندما شرع في تحريك اليخت . لان البوليس الاسباني تدخل في الموضوع ، فاكتشف غواصون في القعر امام مقدمة السفينة حربتي بندقية من طراز موزير Mauser وكما سبق ان قلت فان عمال السفينة اوقفوا . ولكنهم انطووا على السر كما تنطوي المحارة . واستمر البحث من الطرف-

ـ التتمة على الصفحة ٦٠ ـ

شعر من الفيتنام..

(يناضل شعب فيتنام في شمال البلاد وجنوبها من اجل دحر الغزاة الاجانب والرجعية المحلية وفي سبيل الوحدة والتحرر التام والاستقلال الوطني . ولا يعرف القارىء العربي الا اقل القليل - للاسف - عن شعر هذا الشعب العظيم وادبه ، وهو شعب عملاق يصنع انسانه لا البطولة فحسب ولا الامجاد منقطعة النظير فقط وانما يصنع السلام ايضا ويضيف بدمائه مداميك لا حصر لها في صرح الحرية والكرامة البشرية والفن والجمال .

والى القارىء قصيدتين من الشعر الفيتنامي الحديث ترجمناها عن الروسية (حيث نشرتا في « الجريدة الادبية » في موسكو في ٢٧ اب ١٩٦٦) : الاولى لشاعر من فيتنام الشمالية الدمقراطية والثانية لشاعر من فيتنام الجنوبية . وسيرى القارىء ان الدخان والقنابل وحتى الاشتراك الفعلي الشخصي في عمليات حرب التحرير والدفاع عن الوطن لم تحجب قط ولم توضع في المحل الثاني او تمسح بالفن وبالكتابة بشكل فني او بكلمة ادق بالوحدة العضوية للشكل والمضمون في سبيل ايما غايات وطنية ، بل بالعكس سيجد القارىء ان شعراء فيتنام قد وضعوا في المحل الاول - في مثل هذا الشعر - هذه الوحدة الحية العضوية المتطورة من الداخل للشكل والمضمون وانهم قد قدموا الى الفن الانساني اضافة رائعة تنقل نتاجهم الفني وترفعه الى مستوى عالمي رفيع .

(المترجم)

١ - عن الذي لا تحكيه الرسائل

(للشاعر توخا : من فيتنام الدمقراطية)

حين يحط الطابع برشاقة
في ركن صغير في الظرف
ففي الحال ينبت له جناحان ..

***

يطلع ساعي البريد الى الطريق
مع الديكة احيانا
وبينما هو يوغل في طريقه
الى السهوب
يكون الليل قد هبط .
واذا ما نظر أحد الى وراء
امكنه رؤية كيف يطوف
القمر والغيوم فوق القرية .
ويحدث - انه يلزم الذهاب
في المطر وفي الرعود
وعبر الشلالات الهادرة فوق الصخور
حين تكون النمور قد انطلقت في الغابة الليلية
ويكون البرد خلف الابواب
قد خدر الثياب ..
ويقع ان انفجارات القنابل
تعترض الطريق
وان الارض والاحجار تتطاير شظايا
ولكن الحقيبة ، مضغوطة بقوه
الى الصدر ،
تهتف : ها قد بلغت ! ان الوقت يمر ولا ينتظر
فلنسرع !

***

اجنحة الطوابع
لا تعرف الراحة ، ما دامت
لم تحط بعد في راحتي الصديق ،
اما عن الذي كان في الطريق
فالرسائل لا تحكيه .. لا تحكيه ..

٢ - القمر

(للشاعر نوغن حا : من فيتنام الجنوبية)

يقف القمر ساعات
فوق القرية النائمة
ويحف نور القمر
في سنابل الرز
فتتألق الاشعة القمرية
محترقة بالزرقة
وننقلها نحن
الى ماسورات البنادق .
يخوض القمر في مياه النهيرات
ويبحث القمر حتى الصباح ، دون ان يعرف النوم
في حوافي الغابات
عن آثار العدو .
« الاعداء أمام ! »
ومعنا في الهجوم
مضى القمر .
ها قد حوصر الغزاة ،
لا خلاص !
فوق رؤوسنا
يتدور القمر أهلة
وتحت اقدامنا
جثث المعتدين .

موسكو — **ترجمة خليل كمال الدين**

مقابلة أدبية مع :

الشاعر السوفياتي

افتوشنكو

بقلم عايدة مطرجي ادريس

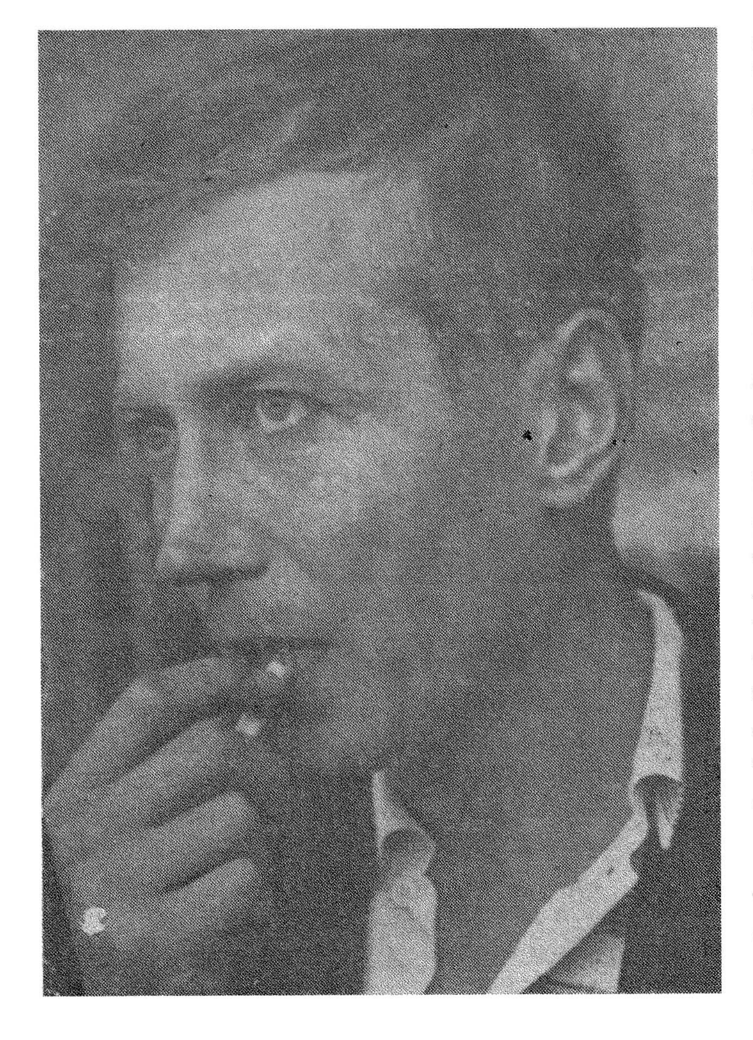
ليس من اليسير ، وانت في الاتحاد السوفياتي ، ان تلتقي بشاعرها الشاب افتوشنكو ، بل ان الاجتماع به يبدو مستحيلا . ولكننا بعد محاولات عديدة ، باء معظمها بالفشل ، استطعنا ان نلتقي به في احد فنادق باكو ، عاصمة جمهورية اذربيجان حيث كان يعقد مؤتمر للكتاب السوفيات دعي اليه عدد من كتاب آسيا وافريقيا . وهذا اللقاء الذي سجلناه ، لم يكن حديثا صحفيا ، بل كان تداولا بين « أصدقاء » كما ذكر افتوشنكو عندما لاحظ انني أسجل ما يقول . فهو يخشى « الاحاديث الادبية » ، ويعتقد انها كثيرا ما شوهت اقواله ، وخاصة حين يأخذها الصحفي الغربي ، الذي يستغل تصريحاته ، ويسيء فهمها وتفسيرها ، ويوقعه في مأزق ما زال القراء في العالم يذكرون تفاصيلها بعد ان اصدر كتاب مذكراته في باريس منذ سنوات ، واعتبر الغرب ان تلك المذكرات كانت موجهة ضد الاتحاد السوفياتي ، فاضطره ذلك الى مضايقات وتراجعات وتفسيرات .

ولم يكن الفشل بلقائه ليثبط همتنا ، خصوصا بعد ان شاهدنا هذا الاندفاع الصاعق الذي يكنه الشباب له . ففي احدى الامسيات التي نظمها اتحاد أدباء اذربيجان للشعراء السوفيات ، القى عدد كبير من الشعراء قصائد ، كل واحد قصيدة . وكان افتوشنكو ، قبل الاخير بواحد . وعندما ظهر ، اخذت القاعة تدوي بالتصفيق لفترة كانت كافية لان يلقي فيها شاعر آخر قصيدة اخرى . وحين تكلم افتوشنكو ، ساد القاعة فجأة جو من السكون والصمت . وقد قال : « لقد سمعتم اشياء كثيرة عن الفيتنام ، وعن الحرب ، وعن الدمار . وانتم متعبون ، فاليكم قصيدة الحب هذه » . واخذ يلقي قصيدته ، وكان يعيشها بانفعال شديد ، وتساهم نظراته ويداه وتحولات جسمه ومواقفه في التعبير الحسي عنها . ولم يكن من الممكن أن افهم معانيها ، ولا ان تترجم لي ، ولكنني استطعت ، من مشاهدة وجهه المحتقن تارة وقبضته التي تضرب الطاولة ، وصوته المزمجر او نظراته الهادئة ، الحالمة ، وصوته الضعيف الحنون ، وتقلبات يده المترجرجة المرنحة ، ووجهه الحزين ، ان اعيش جو القصيدة ، واشارك الجمهور انفعاله ...

وحين انتهى من قصيدته ، علا التصفيق والحماس ثانية ، ولم يكف الجمهور ، فهو يطلب منه المزيد : وكان افتوشنكو ما يزال على المنصة ، فارتفع صوته يقول : « ليست هذه الامسية مخصصة لي ، ويجب ان انقيد بالنظام ، ولا يحق للشاعر هنا ان يلقي أكثر من قصيدة ، وانني احترم ذلك ، ولسوف التقي بكم في امسية اخرى ، هنا ، اخصص ريعها لمساعدة الفيتنام » . وعاد ليجلس مكانه . ولكن الجمهور ظل يصفق ، بلا تردد ، وبحماس متزايد . وعندها وقف رئيس الجلسة ، ودعا من جديد افتوشنكو قائلا له : « سوف نخرق القاعدة ، فانت ترى ان رغبة الجمهور لا تقاوم ، ولا يسعنا الا ان نلبي تلك الرغبة » وعاد صوت افتوشنكو ينساب وسط الصمت العميق ، فكأن القاعة لا تضيق بالمئات.

وعندما انتهت الحفلة ، كان المئات من الشباب يلاحقونه ، يطلبون منه ردا على تحية ، أو توقيعا على اوتوغراف ، او مجرد ابتسامة . وكان هو بوجهه الطفولي ، وابتسامته التي تحار في تفسيرها ، يختفي فجأة ، بين الالوف من البشر .

وفي الفندق الذي جمعنا ، حدثناه باننا قدمنا من لبنان ، من البلاد العربية ، وان العرب يعرفونه ويتتبعون انتاجه الشعري واننا قرأنا



مذكراته ، ونرغب في التحدث معه لاعطاء فكرة واضحة عن شخصيته « المشوهة » ، التي اخذناها عبر وسيط من الصحف غير الروسية ، فسألناه : (وكانت المستشرقة المعروفة لينا ستبانوفا تقوم بالترجمة) .

– من من الشعراء الغربيين تحب ؟

فقال : لا يوجد في فرنسا شاعر سوى سان جون برس .

وسألناه عن رأيه في اراغون تمهيدا لجعله يتحدث عن نفسه فقال :

– اراغون لم يعد اليوم شاعرا . لقد انتهى فنيا وجماليا . ان الرونق الذي كان يتمتع به في شبابه قد بهت .

– هل تؤمن بالشعر الملتزم ؟

– لا بد للشعر من ان يحمل سلاح الكفاح . ولكن لا ينبغي ان يستمر طويلا في حمل هذا السلاح ، لان يد الشاعر تتعود عليه وتصبح متشنجة ، وهذا الخطر لا يقل عن خطر من يحمل الازميل دائما ، انه ينحت ، لكن الفرق واضح بين تمثال جامد وتمثال حي . والشاعر، كفنان، يجب ان يجمع بين يد حامل السلاح ويد الصانع ، والا اصبح الشعر



من اليمين : عايدة مطرجي ادريس ، الشاعر افتوشنكو ، الزميلة اميلي نصر الله

شعارا او دعاية ، كما نلاحظ ذلك عند اراغون . فهو قد استعمل في شعره الكثير من التعابير والكلمات التي استعملها في نثره ، فاذا بتلك الكلمات تفقد ذلك « الزغب السحري » الذي تحمله الفراشات . ان الشعر موهبة .

ـ وانت ، هل لديك موهبة؟

وغرق في الضحك ، واجاب : يمكن ان يكون لدي شيء من الموهبة التي اعطاني اياها الرب (او الشيطان) ولكن المهم في رسالتي كشاعر ان اعبر عن الاشياء التي لا يستطيع ان يعبر عنها سائر الناس ، وبطريقة لا يمكن ان يعبروا عنها كما اعبر انا .

ـ ولكن هل تعتبر نفسك قد نجحت ؟

ـ لا استطيع ان اعتبر نفسي ناجحا (وكانت لهجة كلامه وابتسامته تدل على عدم ايمانه بهذا الكلام) ولكن الشاعر يحاول ، وانا احاول .

ـ بالنسبة لطبيعة الشعر ، هل تعتقد ان هناك لحظات من الالهام تنتابك ، ام هو جهد تبذله ؟

ـ انا اؤمن بطبيعة الموهبة ، ألموهبة اولا وقبل كل شيء .

ـ هل هذا يعني ان الشعر لا يحتاج الى جهد دائم ؟

ـ طبعا . اذا كان العامل يحمل في يده شقوقا فلا بد لكل شاعر اصيل من ان يحمل شقوقا في قلبه .

ـ انت تعتبر من المجلين في الشعر الحديث ، ومن الشعراء الشباب المجددين ، فما هي مآخذك بالنسبة للشعر الكلاسيكي ؟

ـ الشعر اي شعر ، يجب ان ينبت من الارض التي انبتت شجرة الشعر . ان الحدائق المعلقة فوق الارض يمكن ان تعيش فترة ، وليس لها جذور في الارض ، ولكن اوراقها لن تلبث طويلا حتى تذبل . والشجرة يمكنها ان تترك الارض التي انجبتها في البداية وقت شبابها لانها تريد ان تمزق الارض لكي تكبر . ولكن ما ان تكبر وتخضوضر حتى تحس بحنينها الى الارض التي انبتتها . هذا ما قاله ماياكوفسكي « يجب ان نطرد بوشكين » . لقد كان بحاجة الى هذا الكلام لكي يشق طريقه . ولكن عندما اشتهر ، فهمت هذه الاوراق ان ثمنها اقل من ثمن الارض ، فعاد ليقدر بوشكين ودوستيوفسكي ، وكان ماياكوفسكي يومئذ من اكبر الشعراء . وانا احب ماياكوفسكي في بدايته ، واحبه في نهايته . احبه عندما شق الارض ، واحبه عندما عاد اليها . وانا اتمنى ان يكون لحياتي آخرة جميلة .

ـ لنعد الى السؤال الاول ، او لنحوله حسب تعبيرك ، ما هي المزايا التي تعتقد انك شققت بها الارض في الشكل والمضمون ؟

ـ لا ادري ، لا افهم . انا شاعر فقط . لا استطيع ان افرق بين الشكل او المضمون ، حين اقول الشعر يختلط الامر لدي . اما اذا اردتم ان اكون الان ناقدا او محللا فانني اقول ان الشكل هو وسيلة ، والمضمون هو الهدف . ويمكن لبعض المفاهيم السياسية ان تدخل الادب . فاذا كانت الوسائل عاطلة او مشبوهة ، من الناحية المعنوية ، فان الهدف سيشوه بسبب الوسائل مهما كان هذا الهدف نبيلا . لنضرب مثلا : ملحمة عن الفيتنام تصاغ بطريقة تعليمية . ان الهدف نبيل ، ولكن الطريقة مقرفة . فهو اذن يصيب ضررا للفيتنام بدلا من ان يخدمها ، فان الناس سوف يضجرون . مثل آخر : مآثر رواد الفضاء ، اولئك الذين كانوا يغامرون بحياتهم . لو احصينا عدد القصائد السيئة التي قيلت فيهم ، لادركنا الى اي حد فقدت هذه المآثر رونقها . وانا اعتبر ان في تلك الطريقة ترخيصا للمعاني الكبيرة وابتذالا لها .

ـ والصراع بين القديم والجديد ؟

ـ انا لا اعتبر ان هناك معركة بين القديم والجديد ، وانا لا افهم هذا التحديد ، لان الفن الخالد يبقى دائما جديدا . القضية قضية موهبة وفن جيد او سيء ولا فرق عندي ان يكون الكاتب محدثا او قديما ، فانا مثلا حين اقرأ روب غرييه او نتالي ساروت لا اتأثر كما اتأثر عندما اقرأ دوستيوفسكي . وانا اريد الفن ان يهزني ، ان يهدمني ثم يبنيني . ولا فرق لدي في الزمن او الطريقة .

ـ سؤال خاص . هل ندمت على شيء كتبته في الماضي ؟

ـ في كثير من الاحيان ، وبشكل دائم . كان نيكراسوف محظوظا جدا . فعندما نشر كتابه ، اشترى جميع النسخ واحرقها ، كان العدد ضئيلا . اما نحن ، فماذا نفعل ، ونحن نطبع مئات الالوف من النسخ . ولو استطعت ، لاحرقت ثمانين بالمئة مما كتبت لاسباب فنية وبسبب تلك الافكار الايديولوجية الساذجة التي تبلغ حد السخافة التي تبدو لي اليوم . وما يبررها هو انها يومئذ لم تكن تبدو كذلك .

ـ هل تعتقد ان فن القاء الشعر سيصبح فنا بحد ذاته ؟

ـ معاذ الله .

ـ ما هو شعورك بينما كنت تؤدي خدمة الجيش ؟

ـ شعور من الاعتزاز . على انني كنت اؤدي نوعا خاصا من الخدمة . فقد كنت احمل بالدبابة والقي قصائدي بين الجنود . ولقد اصبت بالدهشة لمستوى الضباط الشعري ، واكتشفت انهم اناس لا يحبون خوض الحروب ولا يمكن ان يطلقوا النار عن عمى وان كانوا لا يتاخرون في خوض الحرب .

ـ ما هي مشاريعك الادبية ؟

ـ انني انضم الى احد الفنانين الذي رد مرة قائلا : الاعمال الفنية يجب ان لا تقترن بكلمة مبتذلة ككلمة مشاريع . على انه لدي فكرة : ترك الشعر وكتابة القصة .

ـ الن تكون مصيبة لكتاب القصة ؟

ـ من اجل ذلك سأكتب قصة .

ـ ما رأيك بباسترناك ؟

ـ لقد جرب باسترناك القصة بالرغم من ان احسن انتاجه هـــو شعره . ولكني قرأت دكتور جيفاغو خمس مرات وكنت في كل مرة اكتشفها واحبها بالرغم مـن انني لـم احبها من المرة الاولى . صحيح ان المفروض بالعمل الادبي الجيد ان يعجب من الوهلة الاولى ، ولكن القاريء يجب ان يكون صبوراً . وانا لا استطيع ان اقول انها رواية جيدة اولا . ولكن هناك الاحساس بان كاتبها عبقري . هناك صفحات ضعيفة واخرى رائعـــة . والقاريء يؤلف بينها .

ـ ما هو رأيك بسولجنتسين ؟

ـ الاحساس الاول هو الامتنان العميق لهذا المؤلف ، فهو يجعلنـي اشعر بالاعتزاز الكوني روسيا ، ثم الاحساس به ككاتب . وروايته « ايام ايفان ديسونوفيتشي » جيدة بصورة عامة .

ـ ماذا عن شولوخوف ؟

ـ انني معجب « بالدون الهاديء » . انها رواية عالمية ، بالرغم مـن ان تولستوي قال عنها انها رواية محلية . وكان يجب ان يعطى جائـــزة نوبل من قبل ، عندما كان ينتج . اما اليوم فهي قد أعطيت لجثة حية ..

ـ الى اين يتجه الشعر الروسي الحديث ؟

ـ انه يبتعد عن طريق الصرخات لينفذ الـى عمق نفس الشعب . ونحن قد شبعنا من هذه الصرخات واحمرت وجوهنا منها وحان الوقت ان نتعمق هذه الصرخات لنقرب من الصمت الفلسفي . صحيح انـني شخصيا لا استطيع ان اعيش بدون الناس ومـــن دون مشاركة همومهم ولكنني بحاجة الى الوحدة والى الانعزال لكي اعمق هذه المشاركة واعيشها فنيا . ان السمك حين يتعب ينزل قاع البحر ، فاما ان يستقر فيـه ، واما ان يموت فيطفو على سطح الماء .

ـ هل زرت بلدا عربيا ؟

ـ لا ، ولكنني سمعت بعدائكم لاسرائيل . وبدا هـذا العداء بصورة واضحة في كلمة الدكتور سهيل ادريس التي القاها فـي المؤتمر . الا تعتقدون انكم بهذا العداء العنيف تتجاوزون الدولة في اسرائيل الـى الانسان هناك ؟

واخذ سهيل ادريس يتحدث الـى افتوشنكو بلهجـة هادئـــة فشرح له قضية العرب في فلسطين من الزاوية الانسانية البحت وذكـره بان السوفيات حين وقفوا في وجه النازية والفاشستية لـم يكونـوا يستطيعون ان يميزوا الدولة من الشعب الذي كـان يعتنق النازيـة والفاشستية . واوضح له ان العرب كانوا ومـا يزالون فـي تاريخهم الطويل خير مثال للمعاملة الانسانية تجاه جميع الاقليات التي عايشوها . ولكن الامر يختلف تماما حين تقوم دولة على الاغتصاب والظلم وطـرد المواطنين من ارضهم وسلوك سياسة تمييز عنصرية اصبحت الان معروفة في جميع انحاء العالم .

ثم دعونا افتوشنكو الى زيارة لبنان وزيـارة بعض معسكـرات اللاجئين الفلسطينيين كما سبق ان دعونا من قبل جان بـول سارتر . وصورنا له حقيقة المأساة التي يعيشها النازحون .

وقد عبر افتوشنكو بعد ذلك عن اسفه لعدم اطلاعه علـى تلـك الحقائق وقال انه يحترم رأينا وبات يفهم موقفنا ووعد بان يزور بيروت قريبا .

واذا كان هذا يدل على شيء ، فهو يدل على مدى تقصيرنا في شرح قضايانا العادلة امام الرأي العام المثقف العالمي . ولا ينبغي ان نعـزو دائما هذا الوضع الى الدعاية الصهيونية وجدها بالغا مـا بلغت مـن التأثير .

عايدة مطرجي ادريس

الرعب

حزين قلبي الظمآن يا صخر
وأعمق منه في الشجو الارانين التي انبعثت من الإعماق
ما تجدي الارانين ؟!
يظل الشوق يجرحها
يظل الشوق يذبحها
فلا تعطي سوى زهره ..
من الأعماق سوداء التلاوين
صدى في الريح مجروح التلاحين

***

وأنت غمست في نهر المداد الراعف الأسود
خراطيما تعب الترح ، أنت أبحت للظل الرمادي الذي أوقد
على قارعة الابعاد فانوسا من الظلماء ..
يعطي الليل ، ما يحتاج من دفق المداد الراعف المسود .

***

وأنت كسرت آنيتي
هرقت الطيب منها قبل أن ينفد
أتحت لمن يبيع الخوف أن يلهو بما يدمي
بما يشقي ، بما يجهد ..
لبست ثياب ديانين قالوا : ينبع الكوثر
ويسقي بالرحيق الحلو من في وجده يسهر
وتحت الثوب جلد مفجع فيه من اللفح الجحيمي
تلاوين .. أتوعدنا وأنت الظل بالاقمار ؟
تمنحنا الرحيق وانت علقمنا الـذي يصمي ، يغص حلوقنا
يا أيها الرعب الذي غطى مخالبه بقفاز من الفرو ..

أحمد حسن ابو عرقوب

حول كتاب كولن ولسون

«أصول الدافع الجنسي»

بقلم سمير كتاب

عندما وقف سقراط بشجاعة الانسان الرائد يوما وقال قبل ان يشرب السم : « ان الحياة التي لا نتمعن فيها لا تستحق ان نعيشها » ، فانه كان ينطق باسم كل الاجيال التي جاءت من قبله بداية بثاليس ، صاحب السؤال الفلسفي الاول ، وكل الاجيال التي كرت من بعده الى ان وصلت الفلسفة بمفهوم جديد الى مرحلة لم تعد فيها تتمعن في الحياة من « الخارج » وانما من « الداخل » ، وكفت أو كادت عن التوغل في الماوراء بحثا عن اجابات ما لتغوص في اغوار الانسان تستشف في عقده وتكوينه ونفسيته عقدا ميتافيزيقية لعلها تفسر الكون بصيغة جديدة ، لعلها تبني ما يسميه الدوس هكسلي « عالما جديدا شجاعا » .

كان القرن التاسع عشر وما بعده نقطة تحول خطيرة في تاريخ الفلسفة ان كان لها من تاريخ . ففي ذلك القرن بالذات كانت المدارس الفلسفية تقوم وتنهار في سنوات معدودات ، كل واحدة منها تطرح تفسيراتها ومقولاتها الخاصة المختلفة حتى بات الانسان يعيش في دوامة من المسميات والتفسيرات والاجتهادات تدوخه بلا رحمة . ولقد اخذت المدارس الفلسفية التي انبثقت في القرن التاسع عشر تضرب في مسالك مختلفة متنافرة بحيث انه يصعب فعلا الاهتداء الى قضية واحدة كبرى اجمع معظم المفكرين الكبار في تلك الحقبة على طرحها . واستمرت الدوامة الى ما بعد القرن التاسع عشر . فالايجابيون مثلا يؤكدون ان الشيء « الموجود » فقط هو ذلك الذي يمكن ادراكه بواسطة الحواس أو تعريفه بالرياضيات ، والماديون لا يرون العالم الا كيانا ماديا ، والنسبيون يؤمنون بان العالم متغير ، والعدميون ينسفون كل شيء ويقولون ان الفعل المجرد من اي فعل هو وحده الذي يملك قيمه .

وهكذا فان الفلسفة لم تصل في تاريخها الى مرحلة اكثر تعقيدا وتشعبا وجرأة واخصابا مما وصلت اليه في القرن التاسع عشر . بل ان مفهوم الفلسفة نفسها الذي كان سائدا منذ ارسطوطاليس تغير في ذلك القرن ابتداء من كانت ، ومعه انهارت وثوقيات كثيرة لم يطلها النقد او الاستجواب يوما وضاعت ملامح وثوقيات اخرى .

لكن تقوض فلسفة المطلق الهيجلية يمكن ان يعتبر نقطة التحول الجذرية في تاريخ الحركة الفلسفية الحديثة . فكل او معظم المدارس الهامة في الفلسفة الحديثة ، كما لاحظ احد المفكرين المعاصرين ، بدأت من مهاجمة اراء هيجل ، مثلما فعل ماركس وكيركجارد ، أو من رفضها كلية ونقضها ، مثلما فعل رواد المدرسة الواقعية والمدرسة التحليلية كبرتراند راسل ومور . وعلى هذا ، يتفق مؤرخو الفلسفة على انه لا يمكن الشروع في اي بحث حول المدارس الفلسفية الرئيسية الحديثة بدون الرجوع الى ذلك الالماني الغريب الفذ الذي سماه البعض « الفيلسوف » الحقيقي بينما اعتبره اخرون « اعظم غلطة » في تاريخ الفلسفة .

والوجودية ولدت اصلا في ذلك القرن ، اي القرن التاسع عشر . وقد تكون في ذلك سابقة لاوانها لانها راحت تدور حول معاني القلق والتمزق النفسي والمعاناة التي ستصبح بعد مرور قرن تقريبا سمات العصر الرئيسية بعد ان انضجتها مجموعة عوامل لم تكن موجودة في تلك الفترة التي عاش فيها مبشر الوجودية الاول سورين كيركجارد . (وهذا ما يجعلنا نقدر لكيركجارد ، انصافا لحسه التوقعي التاريخي ، انه سبق نيتشه بحوالي ثلاثين عاما أو اكثر وفرويد بحوالي نصف قرن وهكذا دواليك) .

لقد بدأ كيركجارد غوصه الوجودي كذلك من معارضة عنيفة لديالكتيكية هيجل التاريخية ولمطلقه الذي يفترس كل معنى للوجود الحقيقي الحي ويحوله بلمسة ميداس الى مجردات ، وراح يهتم بالانسان وبذاتيته من اجل « خلاصه » الروحي ، وهي كما نلاحظ دعوة دينية في فحواها .

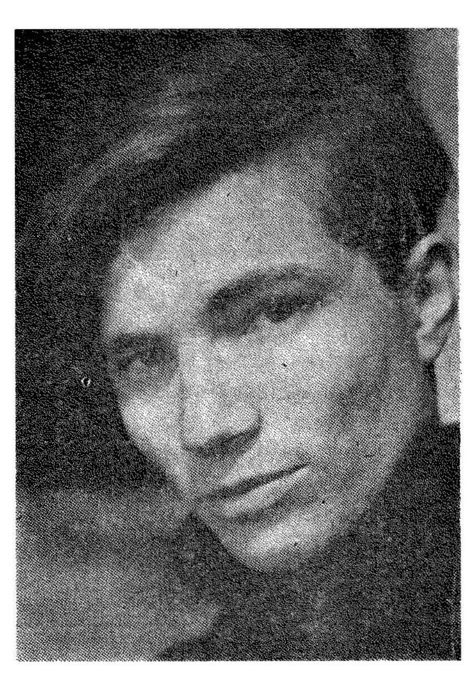
لكن الوجودية كحركة متميزة غربية لا بل اوروبية المولد والمحتد والسمات ، لم تتأكد الا بعد حربين مجنونتين انهارت فيهما القيم ومعاني الاشياء . فحين يقتل الاهل والاصدقاء وتدمر البيوت والممتلكات في لحظات ، فماذا يبقى للانسان غير وجوده الخاص ؟ (يصرخ جون أوزبورن في احدى مسرحياته : « لم يبق لنا سوى انفسنا ، وعلينا بطريقة ما ان نسير بها . لم يبق لنا الا انفسنا » فيجيبه بيكيت : « ليس هناك شيء نستطيع ان نفعله ») . وهكذا تصبح الوجودية ابلغ تعبير لفكر ومزاج الماضي القريب وربما الحاضر في الغرب الاوروبي . لا بل « ان العصر هو الوجودي بطبيعته » ، كما يقول مطاع صفدي ، عصر بطله يعاني السقوط والازمة واللامعنى بعد ان انهارت قيمه الوثوقية القديمة وافترست ادميته حربان طاحنتان ثم مسخت الآلة ما تبقى منها وتركت المسخ يعيش مذعوراً ،

مهددا ، تافها في ظل القنبلة العملاق الاسود . ولقد ولد هذا البطل في ذهن الفنان والشاعر اولا ، ولد في تجهمية دوستويفسكي وسوداويته وفي قصائد ريلكه وهولدرلين، ولد ثم عاش في « قلعة » كافكا و « ذباب » سارتر و « غثيانه » وفي « غريب » كامو وعبثه ، في اشعار ايليوت (قبل هروبه الفكري) وفي بعض لوحات بيكاسو وكلي . انه بطل الازمة والسقوط ، ينهض من بين ركام الحروب والصراعات والثورات ، يعيش في مجتمع الثقافة فيه « بلا وجه » ، على حد تعبير ريتشارد هوجارت ، والآلة هي سيدته وصانعة قيمه .

ومن انجلترا ، فريسة السقوط الاولى الغائبة مع ذلك عن سطوة الوجودية ، يخرج شاب نحيل فذ ليهز اركان الوجودية وليقول لنا بحس يستمده من نيتشه ، اول المبشرين بتفاؤلية وجودية جديدة من نوع معين ، ان الوجودية التقليدية قد تأسنت منذ امد طويل وانها وصلت الى طريق مسدود . وحين هب كولن ويلسون على المجتمع البريطاني السادر في الف مستنقع متعفن بكتابه الاول « اللامنتمي » (وكان لما يزل في سن الرابعة والعشرين) اعتبر الكتاب فاتحة ثورة جديدة ، بداية « وجودية دينية » جديدة تدعو الى انسان جديد قادر ، ينقذ الانسانية من مخالب المدنية المنهارة .

ولا اريد هنا ان أؤرخ لكولن ويلسون ، مع ان قصة ظهوره الفكري « كغارة مداهمة انقضت على الوضع الفكري والادبي » في بريطانيا ، هي اكثر من مثيرة وممتعة،لكنني اريد ان اشير الى ان كولن ويلسون دأب منذ « اللامنتمي » على نهج سيبلوره ويطوره في كتبه التي تلت « اللامنتمي » ليصل به الى غايته المنشودة التي هي وضع فلسفة جديدة باسم « الوجودية الجديدة » . وهذا الكتاب ، اي «اصول الدافع الجنسي» ، هو حلقة من هذه السلسلة . وهو حلقة هامة لان كولن يطور فيه ، عن طريق تحليل الدافع الجنسي ، نظرية العمدية التي خرجت بها فنمنولوجية هوسرل ليجعلها احدى القواعد الرئيسية ، بل كبرى قواعد وجوديته الجديدة . فالفنمنولوجية ، كما عرفها هوسرل نفسه ، هي « دراسة تركيب الوعي » ، وهي اذن تهتم بداخلية الانسان نفسه . انها تهتم بوعيه وتؤكد ، كما سيشرح لنا كولن ويلسون فيما بعد ، ان الوعي ليس مجرد مرآة تعكس لنا العالم ، كما ظن ديكارت ، بل هو جهاز معقد مكون من عدة مرايا وعدسات . وبكلمات هوسرل فان « العقل ليس آلة يمكن تفسير اخطائها كنتيجة لضغوط خارجية ، بل هو نتيجة عمدية داخلية ».

وهكذا يثور كولن ويلسون على الوجودية التقليدية الغارقة في السلبية والعدمية والهزيمة ، يثور بنوع من الحدس الديني (غير اللاهوتي او التقليدي طبعا) لكي يعطي الانسان حسا بالغاية يوحده وينفي سلبيته التي توحي له بانه وحيد في عالم فارغ وان تصرفاته ، كما يقول سارتر ، ليست ذات اهمية لأحد الا لنفسه . ان



كولن ويلسون يريد ان يغير الناس اولا ، لا امراضهم المباشرة او احوالهم الاجتماعية ، فهو يعتقد ان اقدر الناس هو « النفساني » مثل نيتشه او باسكال او حتى دوستويفسكي (لكنه يكره فرويد بلا مداورة) ، وليس القائد . انه يدعو بصراحة الى « انسان من صنف اعلى » (عقليا طبعا) ، انسان يحس بان الحالة القائمة هي « نصف حياة» فيندفع الى تعميق وعيه لكي يكون ما سماه احد النقاد « اكثر حياة » ، وهذا هو اللامنتمي الاصلي في تطوره الصعودي . اما كيف ، فهذا هو السؤال .

ان الفيلسوف لم يعد مجرد « متفرج على كل الكون وكل الوجود » كما قال افلاطون يوما ، بل انه صار كذلك شيئا شبيها بمنقذ روحي يهتم بالازمة كميزة للحالة الانسانية ويعنى بتجربة الانسان الذاتية في العالم الحاضر، لان الانسان لم يعد حسب الوهمية الرومانسية القديمة « طلسما الهيا ذا قيمة مطلقة لا يطولها العقل » ، بل هو نفسه القيمة الكبرى الحقيقية .

وليس من شأني هنا ان انقد كولن ويلسون مدحا ام ذما ، فهو اولا لم يقل كل ما عنده بعد . كل ما سأقوله ان هذا الشاب الفذ يقول لنا اشياء جادة جدا وتفاؤلية جدا وانه لا بد ان نصغي ونعي ثم نحلل وننقد ونقرر مهما قيل عنه ومهما اتهم به . وانا طبعا اقول ذلك على صعيد فكري بحت ، لان ما يتحدث عنه كولن ويلسون ، بل ربما لان معظم الفكر الغربي ، لا يمت لنا بصلة حياتية ثقافية مباشرة . (لكن ذلك لا يعني انه لا يستطيع ان يفيدنا ولو فكريا) . انه فكر حضارة متقدمة ، مهما قيل عن تفسخها، ونحن ليست عندنا حضارة ، لا نالحضارة تقوم اولا بالفكر الحر الذي ينسف كل تراثنا الموبوء المحنط . ان ازمة الغرب ومشاكله ليست ازمتنا ولا هي مشاكلنا . ازمتنا بسيطة التعريف : ان نسترد ونحرر ادميتنا وعقلنا اولا ثم نبني حضارة جديدة .

لندن **سمير كتّاب**



« ثرثرة فوق النيل » لنجيب محفوظ

اشترك في هذه الندوة : الدكتورة لطيفة الزيات ، الدكتور عبد القادر القط، الدكتور شكري عياد

تقديم : ابراهيم الصيرفي

ابراهيم الصيرفي : في بداية الندوة نستمع الى تلخيص للرواية من الدكتورة لطيفة الزيات .

لطيفة الزيات : من الصعب تلخيص هذه الروايه بشكل مرض . والسادة الذين قرأوا الرواية يدركون هذه الحقيقة ، لانه لا شيء يحدث في الرواية . عندنا مجموعة من المدمنين يجتمعون في عوامه ، ويتكون هؤلاء من عدة شخصيات منهم أنيس زكي المدمن الاعظم او ولي النعم كما يقولون ، ومنهم محام وكاتب قصصي ونافد صحفي ومنهم ليلى زيدان وهي مترجمة بوزارة الخارجية ومنهم سنية كامل وهي ضيفة تتغيب عن العوامة وتتردد عليها وفقا لعلاقتها بزوجها ، اذا انقطعت علاقتها به تأتي الى العوامة ، وتنقطع عنها اذا عادت اليه والى اولادها. تلك هي المجموعة التي نقابلها . والى جانب هذه المجموعة توجد شخصية هامة جدا هي شخصية عم عبده . وعم عبده هو الذي يشرف على العوامة ، وهو شخصية تجمع بين المتناقضات . عملاق ، مصل ، فاتح مصلي ، ويشرف يوميا على الصلاة بانتظام ، والصلاة هي قرة عينه كما يقول لنا . وهو في نفس الوقت رجل قواد ومشرف على امور العوامة التي يجري فيها هذا الادمان ، في المخدرات من جهة ، وفي الجنس من جهة اخرى .

هذا هو الموقف عندما تبدأ الرواية . ثم يجد على الموقف شيء هو دخول سناء الطالبة بكلية الاداب . وهي فتاة صغيرة، يجلبها الى العوامة مورد النساء الى العوامة ، المثل رجب القاضي ، وهو أحد اشخاص هذا العالم . ولكن التطور الحقيقي يحدث عندما تدخل الى هذه العوامة ضيفة جديدة ، هي سمارة بهجت ، صحفية فاتنة معروفة بالجدية تدخل الى العوامة عن طريق علي السيد ، وهو ناقد فني منحل . تدخل سمارة ويصاحب دخولها الكثير من التوجس والخوف . فما الذي يأتي بفتاة بهذه الجدية الى هذا العالم ؟ . وبعد هذا تتالى الاحداث . يكون وجود سمارة بهجت اشبه بنسمة هواء تهب على هذا العالم الميت ، ويحدث نتيجة لهذا الدخول سلسلة من التغيرات . انيس ينجذب اليها، وسنقول في التحليل لماذا فعل هذا . ورجب القاضي ذئب النساء ، يحاول بالطبع اقتناصها وهي وحيدة تواجه هذا العالم وتعايشه ولكن لا تدمن بل لا تشترك في عملية الادمان . وتجري بينها وبينهم مناقشات وبالتدريج يتضح انها تريد أن تكتب مسرحيه ، وان هذا هو هدفها الحقيقي من الحياة في هذه الفترة ، وانها تستخدم هؤلاء الناس كمادة لهذه المسرحية ، هؤلاء الناس العبثيين ، كما نرى ، والذين يتمسكون بالعبث وبالموت والفناء . وهي تمثل القطب الاخر المناقض لهم وهو قطب الجدية والايمان وارادة الحياة . ويتطور الموقف فيهجر رجب القاضي سناء التي تختفي من العوامة فترة لتعود بصحبة رجل اخر ثم تختفي . والخلاصة أنه بدخول سمارة يحصل تطور في المجموعة. تطور غير ملموس يعقبه خروج المجموعة في احدى الليالي لاستنشاق الهواء ، وتلك عملية لم تحدث أبدا في تاريخ العوامة ، لأنهم لا يخرجون أبدا كمجموعة الى العالم . يخرجون في سيارة رجب القاضي ، وفي الطريق تقع حادثة خطيرة جدا اذ صدم رجب القاضي حين العودة ، وهو في اندفاعه واستهتاره ، رجلا فقتله . وتقف السيارة وتطلب سمارة منهم أن يتوقفوا جميعا لانقاذ الرجل اذا أمكن انقاذه . ولكن المجموعة تصر على أن تستمر وتهرب من الجريمة التي ارتكبتها وتعود الى مكانها في العوامة . ولكن تحدث بالطبع بعد عودتها سلسلة من الازمات . فتلاحقهم الجريمة وتقع بينهم اشتباكات سيئة جدا .

بعد ذلك تشعر سمارة بالذنب الشديد جدا لانها تخلت عما تعتقد أنه واجب ويتعذب أنيس في نفس الوقت عذابا شديدا جدا ، لأن كل شيء يهون ، كما يقول ، الا جريمة القتل . وينتهي الامر بأن يثب أنيس على رجب القاضي ويشتبك معه اشتباكا شديدا . ويرمون بالجوزة وتتفرق الجماعة ، ويبقى أنيس وسمارة في نهاية الرواية . يبقيان بعد أن حدث انقلاب في الوضع ، فقد انهزمت سمارة تحت تأثير عاطفتها لرجب ، وقبلت ألا تبلغ عن الجريمة ، وهم أنيس أن يبلغ عن الجريمة ، وخرج رجب ، بعد اشتباكه العنيف مع أنيس وهو مصمم على أن يكون هو المبلغ عن الجريمة .

وهنا يتركنا المؤلف مع أنيس وسمارة القطبان المختلفان ، في مناقشة قصيرة . هي تدرك أنها انهزمت الى حد ما ، وان كانت مصممة على أن تستمر في طريق الجدية الذي اختارته لنفسها . فهي رغم اتفاقها مع أنيس على ان الناس ينقسمون الى مجموعتين ، مجموعة الصاعدين ومجموعة الهابطين ، تقول ان من الهابطين من تجاوز نفسه أو حتى من أهلكها . أي أن الانسان اذا كان في طبقة اجتماعية هابطة فان عليه أن يرضى بذلك الوضع ، ثم يكون عليه بعد ذلك أن يرتفع مع مد الحياة المرتفع من حوله . أما أنيس فبعد أن قام بهذا الدور البطولي في التصميم على التبليغ عن الجريمة ، فيعود الى احتساء فنجال القهوة المعهود، ويقول في النهاية ان أصل المأساة هو الوجود ذاته . وقد حاولت تلخيص الرواية ، وأرجو أن أكون قد نجحت الى حد ما ، لان من الصعب بل من المستحيل تلخيص مثل هذا العمل .

د. عبد القادر القط : تفرض الرواية ، بالصورة التي كتبها بها الاستاذ نجيب محفوظ ، على القارىء سؤالا ، وهي بالفعل قد أثارته في نفوس كثير من القراء ، هو : هل الرواية شكل جديد ؟ على الاقل في الرواية العربية ، لان القارىء يواجه فيها بالفعل بأشياء ربما لم تكن موجودة في بناء الرواية العربية . ليس في الرواية كما قالت الدكتورة لطيفة الزيات ، حادث متطور أو شخصيات نامية . وانما يدور الجو دائما في دائرة مغلقة لا يحدث فيها شيء تماما ، وان كانت ملأى بالثرثرة كما يوحي بذلك عنوان الرواية . أنا شخصيا لا أعتقد أنها شيء جديد في تكنيك الرواية العربية ، لانها واحدة من الروايات الاخيرة التي كتبها الاستاذ نجيب محفوظ بطريقة تعبيرية ، يعبر فيها عن فكرة، عن موقف ، عن بعض الحالات النفسية الخاصة . وهذه بالطبع طريقة مشروعة في التأليف ويمكن أن تكون ناجحة ، وقد نجحت بالفعل في روايات الاستاذ نجيب محفوظ الاخيرة وقصصه القصيرة ، التي كتبت بعد الثلاثية . ومما يدفعنا ، أيضا ، الى رفض أن يكون هذا الشكل جديدا هو ان الخروج على المألوف في الرواية قد نبع في الحقيقة، لا من تكنيك جديد ، ولكن من طبيعة الشخصيات وطبيعة الموقف. فالشخصيات مدمنة للمخدرات ، فمن الطبيعي اذن أن تتحدث حديثا غير منطقي أو غير مفهوم . ومن الطبيعي أيضا أن تكون معزولة عن الحياة عزلة لا تدفع شخصياتها الى النمو ، بحكم انقطاعها أو انقطاع صلتها الاجتماعية

بالناس . وهذا بالطبع لا يعني أن ذلك عيب في الرواية كما قلت، انما هو محاولة لتحديد وضع الرواية بالنسبة لفن الاستاذ نجيب محفوظ خاصة ، والرواية العربية بوجه عام .

توحي الرواية بجوها كله ، بان الحياة تدور في دائرة مغلقة ، شأنها شأن الاكوان التي تدور دائما في دورات متتابعة . واذا كانت جلسات هذه الجماعة تتكرر بنفس الطريقة وبنفس الترتيب في كل ليلة ، فان من الطبيعي ايضا ان تتشابه شخصيات هذه الجماعة رغم الفروق الاساسية فيما بينها ، فان هذه الاختلافات تختفي في جو المخدرات الذي يفرض عليهم طريقة غريبة في الكلام وفي السلوك . ولذلك خيل الي أن المذكرة التي عثر عليها انيس زكي في حقيبة سمارة وفيها مشروع المسرحية التي تنوي سمارة أن تكتبها ، والتي جاءت الى العوامة لكي تدرس هذه الشخصيات حتى تنتفع بها في مسرحيتها، كان ذلك راجعا الى احساس المؤلف باختفاء الفروق بين هذه الشخصيات، ومحاولة منه لبيان بعض هذه الفوارق الاساسية التي اختفت من الجو المتشابه المتكرر الذي تعيش فيه هذه الجماعة . ثم حاول المؤلف أن يخص انيس بطابع خاص لينتهي بالرواية الى نهايتها التي انتهت اليها عن طريق موقف انيس زكي بالذات ، فهو قد ربطه بالتاريخ . انيس مغرم بالتاريخ يعود دائما في شطحاته حين يكون تحت تأثير المخدر ، الى التاريخ ، ويتفوه بعبارات طريفة في بعضها ربط مباشر بين الماضي واللحظة الحاضرة ، ويصعب في بعضها الربط بين الماضي والحاضر ، ولكن ارتباطه بهذا الماضي وصل به في الخاتمة الى قول معقول هو الذي أوردته الدكتور لطيفة الزيات في تلخيصها ، حين قال ما يعني أن أصل البلية عند هذه الجماعة هو الوجود . لانه يقول من خلال كلام تقطعه سمارة ببعض العبارات :

« أصل المتاعب مهارة قرد !.. تعلم كيف يسير على قدميه فحرر يديه . وهبط من جنة القرود فوق الاشجار الى ارض الغابة . وقالوا له عد الى الاشجار والا اطبقت عليك الوحوش . فقبض على غصن شجرة بيد وعلى حجر بيد وتقدم وهو يمد بصره الى طريق لا نهاية له ».

هذه في الحقيقة نهاية الرواية ، والفكرة عند انيس ، كما عبرت عنها ايضا الدكتورة لطيفة الزيات . الجريمة التي حدثت .. قتل الشخص بالسيارة تدل في رأيي ، على أن هذه الجماعة ، وان بدت منفصلة تماما عن المجتمع لانها لا تمارس حياته ، ما زالت مرتبطة ارتباطا متينا بهذا المجتمع حين عدت على قيمة اخلاقية من قيم المجتمع الذي تعيش فيه ، فثقلت هذه الجريمة على ضمائرها كما تثقل على ضمير اي شخص عادي ، واضطرتها الى التفرقة فيما بعد . أما الموقف الغريب الذي وقفه انيس ، فهو في الحقيقة معقد او مركب ، فقد كان هو الوحيد الذي أصر على ابلاغ البوليس . وكان هذا اخر من ينتظر منه ذلك التصرف . هو مزيج من الغيرة ومن الغضب وقول ما يجب قوله كما اخبر سمارة « فوقع زلزال لا ندري شيئا عن عواقبه وحتى انت انهزمت » . هذا الموقف المركب لا ادري بالضبط كيف يبرره الانسان من شخصية منهارة تماما كانيس زكي الذي كان همه الوحيد ان يجلس بجلبابه وسط هذه الجماعة تائها في شطحاته تحت سلطان المخدرات ، يقدم لهم الجوزة . لكن ربما كانت ثقافته التي كونها بطريقة آلية حين كان يرجع الى كتب التاريخ ويجد فيها غذاء لتلك الشطحات ، ربما كانت سببا في اختيار المؤلف له لكي يعبر عن هذا الموقف الجاد ، أو ربما كان لبعض الزملاء رأي في هذا ، ونحن لم نسمع بعد صوت الدكتور شكري عياد .

د. شكري عياد : أنا متفق مع الدكتور عبد القادر القط في كثير مما قاله ، وان كنت اميل الى ربط هذه الرواية ، على الاقل من احدى ناحيتيها ، بالاستاذ نجيب محفوظ الواقعي ، كما عرفناه في روايته حتى الثلاثية ، ثم بعد ذلك وسط رواياته عن الشكل الفلسفي ، التي كتبها بعد الثلاثية . رأينا « السمان والخريف » وفيها ، في تقديري ، نفس العلاج لموضوعات واجواء أو قيمات اجتماعية ، ان صح التعبير ، وهنا ايضا ، ارى الفكرة او الموضوع الاجتماعي موجودا ، ولعله كان يتنازعه من ناحية ومن الناحية الثانية ذلك التصور الفلسفي الاتي من تعاطفه مع شخصية انيس . انيس الموظف الصغير ، ولكن المثقف الكبير المثقف لغير غرض عملي من الثقافة ، وهو بهذا القياس مثقف اصيل . وهناك ناحية ، لعل القارىء بلا شك يشعر بتعاطف الكاتب مع انيس وانه يضعه كممثل للبحث عن علة الوجود ، يبحث عنها في التاريخ ، ثم ينتهي الى النهاية التي سمعنا تلخيصها لخبرته بالانسان من خلال الحياة ومن خلال الكتب ، خبرة يبدو أنها متشائمة ، لكن ربما كان فيها قبول للمسئولية .. مسئولية جدنا القرد الذي خطر له أن يقف على قدميه ويرفع يديه .. أي انه يخيل الى أن فيها اقتحام المسئولية ، مسئولية الحياة وتقبلها اكثر مما فيها من الضجر واليأس . فهو بدأ متفلسفا تفلسف انعزال عن الكون ، وناظرا له من بعيد ، وبالطبع فان النقطة التي يستطيع الانسان أن ينظر اليها من بعيد وهو مستريح هي نقطة التاريخ. لعل هذا يفسر رجوعه المستمر للتاريخ ونظرته الحاضر من خلال شخصيات واحداث تاريخية . هذا هو التعاطف والجانب الفلسفي من شخصية انيس . ولكن أقول انه نموذج واقعي الى جانب هذا الاحساس . اما بقية الشخصيات ، احمد نصر وليلى زيدان وسنية كامل وعلي السيد ... الخ فهي في جانب كبير منها مجرد نماذج في مجتمعنا . انما لا نستطيع أن نقول ان انيس نموذج اجتماعي ، وانما هو تركيز لصفة اجتماعية هي ميلنا كشرقيين الى ان نعيش داخل وجودنا الشخصي ، اكثر مما نتعامل مع الناس من الخارج . واظن أن هذه صفة قديمة لم تتغير او لم تنقلب تماما من الشخصية الشرقية والعربية بشكل اخص والمصرية بشكل اشد خصوصية . نحن فى حياتنا الداخلية ، سواء كنا في حياة الاسرة أو فى حياة الفرد الداخلية نشعر بوجودنا الحقيقي اكثر مما نشعر بالوجود الخارجي . فهذا الانسان هو نموذج لذلك الانغلاق ، وكل واحد من شخصيات الرواية منغلق بنفس الطريقة ، تدل نظرتهم للاحداث ومناقشتهم لها على هذا الانغلاق . وانا متفق مع الدكتور عبد القادر القط فى أن حادث القتل الذي تم فى اخر الرواية قد اعاد القوم الى شعورهم بانفسهم ككائنات اجتماعية ، وانه نبه هذا النموذج الفارق فى حياته الداخلية ، وهو انيس ، الى هذه الكلمة او هذا التصور الاخير الذي نستطيع أن نقول انه يلتقي فيه بوجوده ككائن متفلسف .. بوجوده ككائن يقوم بدوره في المجتمع ، وهو تذكر او تمثل قصة الانسانية بهذا القرد الذي وقف على رجليه وسار فى طريقه الطويل .

د. لطيفة الزيات : اعتقد أن في هذه الرواية جديدا على عكس ما قال به الدكتور عبد القادر القط .

د. عبد القادر القط : في قيمتها الفنية ؟

د. لطيفة الزيات : في فنية الرواية. الاستاذ نجيب محفوظ يحاول هنا محاولة جديدة لم يحاولها في أي قصة من قصصه السابقة ، او حاولها بطريقة ليست بهذا التركيز . وهذه المحاولة عن طريق اهتمام انيس بالتاريخ ، واكساب تجربة انيس ما هو اكبر من تجربته بحيث تصبح تلك التجربة ، عن طريق المستويات التي يضيفها القارىء من التاريخ ، تجربة البشرية كلها . فما هي هذه التجربة ؟ انها تجربة الوجود . فالى جانب الخيالات والاوهام التي تحدث لانيس ، توجد امور اخرى تحدث للمفيقين لا للمساطيل وحدهم . فنحن جميعا نشعر بالحزن ازاء الموت وازاء نهايات الاشياء وازاء الملل والرتابة . وهذا جزء لا يتجزأ من تجربة انيس التي يغفيها اكثر من مستوى تاريخي . في الرواية مفاتيح معينة تجعلنا ندرك أن هذه العملية هي عملية الدوار والملل والموت وانعدام المعنى ، مثل قوله « لا حركة ألبتة في الحقيقة . حركة دائرية حول محور واحد . حركة دائرية تتسلى بالعبث . حركة دائرية ثمرتها الحتمية الدوار . في غيبوبة الدوار تختفي جميع الاشياء الثمينة . من بين هذه الاشياء الطب والعلم والقانون . والاهل المنسيون في القرية الطيبة . والزوجة والابنة الصغيرة تحت غشاء الارض . وكلمات مشتعلة بالحماس دفنت تحت ركام من الثلج » . في الرواية

ـ التتمة على الصفحة ٦٧ ـ





بقلم : محمد يحيى النادي

***

ضم العدد الماضي من « الاداب » سبعة ابحاث ودراسات ، ستة منها تتناول بالنقد والتعليق كتبا ودواوين شعر ... ولا يفوتنا ان نلاحظ ان بعض ابحاث هذا العدد تتميز باهمية خاصة، فالمقال الافتتاحي ودراسة الاستاذ العفيف الاخضر عن كتاب « معذبو الحراش » يثيران قضية هامة وخطيرة هي قضية التعذيب في الجزائر ... ومن الواضح ان الاداب بادراجها بحثين يتعلقان بهذا الموضوع ، انما تطرح قضية وتتبنى موقفا ... وهناك الدراسة التي قدم فيها خليل احمد خليل كتابا هاما هو « الاسلام والرأسمالية » والتي سوف نناقشها بنوع من التفصيل ...

احتجاج وتضامن

يتناول الدكتور سهيل ادريس في هذا المقال موضوعا غاية في الخطورة والاهمية هو اعمال العنف والارهاب والبطش التي تمارس الان في الجزائر وبصفة خاصة ضد « المثقفين الثوريين الذين كان لهم دور في استقلال الجزائر ودفعها في طريق الحرية والاشتراكية » ... وينعى الدكتور سهيل على المثقفين العرب صمتهم حتى الان ، بينما نجد كثيرا من المفكرين الاجانب والهيئات والجمعيات قد سبقونا باعلان احتجاجهم وتضامنهم مع اولئك المثقفين الجزائريين الاحرار ... والدكتور سهيل يطالب المثقفين والثوريين العرب في مختلف الاقطار العربية ان يرفعوا صوتهم ، وان يقولوا كلمتهم بعد ان طال التزامهم الصمت « وذلك لان صوت كل واحد منهم مهدد بالخنق ولان حريته نفسها مهددة بالزوال اذ انيح لعهود الارهاب ان تقوم في بلده » ويقترح الدكتور سهيل ادريس ان تؤلف لجان كبيرة في البلاد العربية تكون مهمتها الاتصال بسفارات الجزائر واصدار بيانات الاحتجاج والتضامن مع المضطهدين ، وحث المسئولين في الجزائر الجديدة على احترام حرية الفكر وكف الاذى والارهاب والتعذيب عن المساجين والحفاظ على كرامتهم .

والحق ان هذا الصوت الشريف ، صوت الدكتور سهيل ادريس ، عندما يرتفع محتجا ومتضامنا انما يزيح عبئا يثقل كاهل المثقفين العرب ... عبء الصمت تجاه ما يحدث الان في الجزائر .

واننا نضم صوتنا الى صوت الدكتور سهيل ونطالب بضرورة الاسراع في تأليف هذه اللجان واصدار بيانات الاحتجاج والتضامن مع المفكرين المضطهدين فليس من المعقول ان تكون لجنة للدفاع عن « احمد بن بللا وضحايا الارهاب الاخرين بالجزائر » في اوروبا بينما نحن هنا غارقون في لجة الصمت ...

ان الدكتور سهيل ادريس بموقفه هذا وبمبادرته باعلان احتجاجه وتضامنه انما يضيف رصيدا جديدا الى مواقفه السابقة الشريفة من كل قضايا الحرية في عالمنا العربي .

حول كتاب « معذبو الحراش » في الجزائر

يبدأ الاستاذ العفيف الاخضر تعليقه على هذا الكتاب الخطير فعلا فيصف ما تركه من اثر هز اعماقه ، فالكتاب الذي يتضمن الشكاوى التي قدمها المناضلون الجزائريون الى حاكم التحقيق تظلما من التعذيب الذي مورس ضدهم في سجون المباحث العسكرية انما يثير في النفس اعنف الانفعالات واقواها وخاصة عندما تعرف ان هؤلاء الذين يعذبون هم من المناضلين الاحرار و « ما زال اكثرهم يحتفظ في اكثر من مكان من جسمه المهدود بوسم الجلاد الفرنسي » .

من كان يتصور ان بشير الحاج علي وحسين زهوان ومحمد حربي ورفاقهم ، وهم على حد قول الكاتب الفصيلة الامامية التي تجسد بدون ادعاء عبقرية الشعب الجزائري ان على مستوى الفكر وان على مستوى النضال - من كان يتصور ان يكون مصيرهم في الجزائر «الجزائرية» هو السجن والتعذيب وامتهان الكرامة ؟ ان الانسان ليحس بالأسى العميق المرير وهو يرى ان هذه الثورة العملاقة تتحول الى صراع من اجل السلطة وتسلم نفسها في نهاية الامر الى فلسفات فكرية متخلفة.

يذكر لنا الكاتب نماذج عديدة للتعذيب الذي يلاقيه هؤلاء المناضلون في السجن فمن شوي للخصيتين الى قطع اللسان الى وسم بالحديد المحمى .. الى التعذيب بالكهرباء والماء والخوذة الالمانية .. الى التعليق بالحبال في سقف الزنزانة من المعصمين والكعبين .. وليت الامر يقتصر على هذا العذاب الجسدي الرهيب بل الامر تعدى الى عذاب معنوي اقسى وأمر ... مثل الاختلاء بالزوجة الحبلى بعد اعتقال الزوج وتعذيبه ... الحقيقة ان هذا اللون من التعذيب اذا كان له ما يبرره من قبل المستعمرين ... فانه يفتقد تماما الى التبرير اذا كان يحدث بأيدي الجزائريين قبل رفقاء الكفاح والنضال ...

وهنا يلح على الذهن تساؤل : - لماذا يحدث هذا ولمصلحة من ؟ يقول الاستاذ العفيف الاخضر « كتبت بعض الصحف تقول ان «السلطات الجزائرية الحاكمة انتزعت من عمال التسيير الذاتي خمسا وعشرين مزرعة وردتها للخونة الجزائريين » ... ويرى الكاتب « ان ما يجري اليوم هو امر منطقي .. ذلك لان العدو قد غير مواقعه على الخريطة وغير اسمه وغير - للدعاية - الشعارات ولكنه لم يغير طبيعته : الاقطاعي المحظوظ بالامس تعاوده المحظوظية اليوم .. والمناضلون الذين وضعت رؤوسهم في المزاد سنة ٥٨ هم انفسهم يعذبون اليوم ... » .

هل يمكن أن نفهم من هذا الكلام ان الثورة الجزائرية تعاني من انتكاسة عقائدية على اقل تقدير ؟ هل يعني هذا الكلام انها تخلت عن خطها الثوري الاشتراكي في محاولتها لبناء المجتمع الجزائري الجديد ؟ الواقع ان كلام الاستاذ العفيف الاخضر عن الوضع الراهن في الجزائر يثير في الذهن كثيرا من التساؤلات والافتراضات الخطيرة .. والمزعجة، ورغم ذلك فالكاتب لا يرى فيما يحدث الان في الجزائر مبعثا على التشاؤم وفقدان الامل لان الشعب « لن يسكت طويلا ، ولو تحت ظل السجون والحراب ، على تصفية ثورة الجماهير الجزائرية الكادحة ، بل ان نذر الانفجار قد لاحت في مسيرة اول مايو « ايار » العمالية ... كان اكثر من مائة الف عامل يتظاهرون غاضبين تتقدمهم لافتة طولها ٣٠ مترا مكتوب عليها « تسقط البيروقراطية الديكتاتورية » وكانوا ينادون بملء حلوقهم « لا ارض لبوهيبا » وهو احد الاقطاعيين الذين رد اليهم الحكم القائم الاعتبار والارض » .

ولكن هل يظل الثوريون العرب صامتين يتفرجون على هذه المهزلة؟!

يقول الكاتب وهو يرسم طريق العمل « نحن نملك سلاحا معنويا ضاربا هو الكلمة المناضلة التي تجند عواطف وعزائم ملايين الناس في العالم ، وتعيد للاشياء اسماءها الحقيقية ... » ويستطرد الكاتب قائلا في اسى ناعيا على المثقفين العرب صمتهم وسلبيتهم « هل يتكلم جان بيرك ، وبيرتراند رسل وجان بول سارتر بكلمات انصعقت لها اذان الجلادين وآمريهم ... ويختبىء المثقفون العرب وراء الصمت المريح !؟»

- التتمة على الصفحة ٧٤ -



القصائد

بقلم : شوقي خميس

***

تبدو في قصائد العدد الماضي من مجلة الاداب ، صور المجهودات العظيمة التي يبذلها الشعراء العرب الجدد ، لكي يرتفعوا بالانسان الى مستوى عالم اليوم ، واضعين امامنا من زوايا متعددة صوراً للانسان في هذا العالم ، وصوراً للادراك الجديد . لقد اتجه الشعراء الى تراثنا الحضاري ، يستمدون منه ما يحقق لاعمالهم صفة التميز على مستوى تميز التجربة القومية . وارتبطوا بقضايا شعبنا السياسية والاجتماعية فاستخلصوا من ذلك ارضا راسخة يقفون عليها في مواجهة واقع العصر . واخيرا فانهم لم يخشوا الافاق التي قد تتفتح عليها تجاربهم ايا كانت هذه الافاق ، يأسا او تشاؤما او خلاصا رومانسيا ، فقد اتسعت القدرة على الفهم بحيث لم يعد الشعراء يخجلون من الحقائق الانسانية فيعمدوا الى تزويقها او تكبيرها او تنقيتها من الشوائب على حساب الصدق . لا ، لقد عكس الشعراء بقدر متزايد من الامانة صور الحقيقة في عقولهم ووجداناتهم، مما يعطي للشعر الجديد اهمية مضاعفة في عالم الانسان اليوم ، باعتباره — الشعر — من احدى زواياه شكلا من اشكال المعرفة الانسانية . اما من ناحية وسائط الصياغة المستخدمة في قصائد العدد الماضي ، ومن ناحية الجماليات المتحققة او التي لم تحقق بعد في صور هذه القصائد فان الامر يحتاج الى مجهودات اخرى من الشعراء والنقاد بعد مجهودات تخرج بهذه القصائد من اطارها المحلي المتخلف — من الناحية الجمالية — الى الافاق العالمية في الفن . حقيقة ان الاعمال الفنية المنشورة في عدد سبتمبر لا تخلو في مجموعها من لمحات اخاذة من الجمال ، ترتفع الى المستوى الانساني العام ، بل نادرا ما تخلو قصيدة من هذه اللمحات . ولكن المأساة تظل ماثلة وبشكل اكثر حدة في هذه المفارقة بين الطاقة الشعرية العظيمة التي تسفر عن وجهها بطريقة عشوائية والاطار الذي يعكس فهما متخلفا للفن — هذا ان كانت هناك اي محاولة للفهم على الاطلاق .

اللغة :

ان المنتظر ان يحقق الشكل الشعري الجديد حرية اكبر للشاعر ، يخلص بها لغة القصيدة مما سموه ضرورات الشعر ، الحشو والحذلقة وتحكم القوافي ... الى اخر هذه العيوب المغفور لها والتي كان كبار الشعراء يستطيعون تخطيها غالبا . كان يجب ان يرتفع مستوى البناء اللغوي في القصيدة وهذا اقل الايمان ، قبل اي تجديد في التراكيب . ولكن ها هو الشاعر حسن النجمي في قصيدة فلسطيني يقول (مررت لقى بلا زمن — بلا ارض تهدد خطوتي صلبه) وان اتوقف كثيرا عند هذا البيت الاخير ، فقط اتساءل عن الضرورة التي تلجىء مثل هذا الشاعر الممتاز الى هذا البناء الشديد السخف والركاكة اذا تجاوزنا عن مناقشة معناه . واعبر قصيدة الشاعر عبده بدوي التي تبدو كمناجاة من الشاعر حرر فيها لغته الشعرية من رواية جمالية سادت معظم قصائده السالفة وتوصل الى صياغة جمالية جديدة اللغة فيها تنساب في الفة وتعكس دون ضجيج روح التجربة المعاصرة ، حقا هي لا تخلو من مغامرات ، ولكنها مغامرات فنية ناجحة . ولنتوقف بعض الوقت عند قصيدة الشاعر محمد عفيفي مطر « العرس العظيم » فهو يبدأ برفض كل المصطلحات البلاغية القديمة ويكاد لا يخلو بيت في قصيدته من التشويه التلقائي او المتعمد للتركيب التقليدي . وهو في تصوري لا يعتمد في ذلك على اساس فلسفي مدروس وانما يلجأ فقط الى احساسه ، الرفض والرغبة في خلق عالم جديد ، ومع احترامنا لهذا الاحساس ، ومع اعتزازنا بتجربة الشاعر فانه من الضرورة ان ننبه الى انه بهذا الشكل يفقد كل نقاط الالتقاء بينه وبين العالم — مع المحاولة الشاقة قد يستطيع الدارس ان يخمن تجربة الشاعر وابعادها — فما بال القارىء العادي وهو الذي توجه له القصيدة اصلا كما نتصور ؟! لا بد ان يبحث الشاعر عن نقاط التقاء يصنع منها البدايات او التمهيد على الاقل حتى يشعر القارىء ويحدث الاثر المطلوب . وهو حر بعد ذلك في نوع الانفعال الراغب في اثارته صداما كان ام ايلاما ام مجرد متعة . يقول عفيفي مطر في قصيدته (يا جبل الشعر — طيرت ضفائرك الصخرية — فاختبأت فيها الشمس نهاراً بعد نهار .) لا اود ان اناقش فشل هذه التراكيب في ان تحمل معنى ولا التناقض الغريب بين الاحساس العام بالبيتين التاليين عن جبل الشعر (وانعقدت في جنبيك عروق الثلج — وانطفأت فوق السفح النار) فقط اصر على ان الكلمات والتراكيب اللغوية يجب ان تحمل معنى .. حتى في الشعر . ولكن المعنى ليس هو كل شيء . فاذا كان فشل عفيفي مطر في ادراك معاني الاشياء في قصيدته (العرس العظيم) انما هو فشل شاعر فان نجاح كاظم السماوي في ترديد اشياء ذات معنى في قصيدة « زهرة الملح » لا يدخل قصيدته في نطاق الشعر وتظل نظما ينقصه الاحكام كما يبدو في الستة ابيات الاولى وينقصه تركيز التجربة وتميزها . اما في قصيدة حسب الشيخ جعفر (رماد الدرويش) فان اللغة ترتدي الجديد من الثياب في التجربة الواحدة ، ويثقلها التقليد (تقليد اعمال بعض الشعراء الجدد) في جزء الواحة الضائعة في القصيدة وفي جزء الكنز رغم انه اروع اجزائها صياغة وفي الجزء الاخير من مقطع النهاية . وهنا لا يفعل الشاعر اكثر من تذكيرنا بالصوت الاصلي الذي اكسبه الشك والالم عند البياتي وصلاح عبد الصبور وادونيس قوة لا تحاكى . ان اللغة عند الشاعر حسب الشيخ تبدو كانعكاس لحيرته بين الجديد والقديم ، انه يغني (فخذ من كؤوس السهد واشرب بامعان) ويتغنى (بالمطر الراقص في طفولة الاغصان) في المقطع الواحد من القصيدة . اربع او خمس نماذج للصياغة اللغوية تبدو لنا ، فايها سيكتب له النصر في المستقبل ؟ نرجو ان يكون النموذج الصياغي البسيط المحكم الخالي من التهويل والادعاء ، المشحون بعاطفة ناضجة قوية في مقطع الكنز من القصيدة . وفي قصيدة « ارض الكنوز » للشاعر ظافر الحسن تتدفق اللغة من خلال التركيبات المألوفة وتحمل في نفس الوقت في سهولة عجيبة الكثير من الكلمات والتراكيب الشديدة الحداثة في استخدامها وفي دلالتها ولكن ما يخشى منه هو هذه السهولة العجيبة التي تحمل بلاغة حديثة ومعقولة محل كل الامتيازات المتحققة في القديم فلا تخدم في النهاية كثيرا شعرنا الجديد — والغالب ان هذه الظاهرة لا تعكس طاقة الشاعر بقدر ما تعكس ما هو مطلوب منه من جهد اضافي للتجديد . اما عن اللغة في قصيدة «الشاعر الشهيد والحدود» للشاعر علي الحلي فقد استخدمت على نحو تقليدي لا فضل للشاعر فيه الا بقدر حسن اختياره لهذه الطريقة او تلك من طرق التعبير وبناء الابيات وهو قد وفق في ذلك بشكل عام وباستثناء ما طاش من المعاني لتحكم القافية وهو قليل مثل : سافر من بلادكم من بلادي : لست ضيفا على الحدود المثابة . وما صفة المثابة في هذا البيت بالصفة الكافية لحمل سخط الشاعر على الحدود حتى لو اخذت على محمل السخرية وغالب الظن انها وردت بحكم القافية .

ولكن اذا كان التناسق قد تحقق في قصيدة علي الحلي بين لغة الشاعر وكيفية الصياغة فانه قد اختل في قصيدة سفائر الصحراء بفعل التناقض بين الرؤية الشعرية ووسائل الصياغة . فالرؤية في سفائر الصحراء للشاعر خالد علي مصطفى شديدة البساطة والصياغة شديدة التعقيد، الرؤيا غنائية قديمة واللغة شديدة الغرابة دون داع. رؤيا ولادة العالم القديم من الالم والمعجزة والسماء وافتقاد الشاعر لهذا العالم ومحاولة استرجاعه يعبر عنها في خلال عمليات السقوط في الذات والهاوية والخطابة فهي لغة انفعالية حينا وعاطفية حينا وعقلية حينا تعطي صورة عامة مهزوزة في حاجة الى شيء من الوضوح وشيء من التركيز . اما قصيدة بحيرة العطش للشاعر حسن عبد الله القرشي فانها تقدم نسجا لغويا رقيقا لا يخلو من عفوية ولكنه هش لا يعكس معاناة جادة باستثناء

— التتمة على الصفحة ٧٨ —



بقلم : سامي خشبة

***

في العدد الاخير من الاداب ، يهدينا العراق العزيز قصص العدد الثلاث ، « النجوم والجمرة الخامدة » لمحيي الديـن اسماعيـل ، « عطاوي » لفهمي حسين ، ثم « دوار » لعبد المجيد لطفي .

ونحن نعرف الاستاذ محيي الدين اسماعيل من خلال الاداب طوال سنوات ، ومن خلال اقامته في القاهرة التي غادرها الى بيروت بحكم عمله . كما نعرف الاستاذ عبد المجيد لطفي من خلال الاداب ايضا في قصصه أو مناقشاته ... « فأنا في كتابة القصة القصيرة من مدرسة عريقة ولو كانت كلاسيكية عتيقة . ذلك ان المدارس الحديثة ايضا تعني الكثير في الفروع النضرة وهي تزايد القصة تألقا وجمالا .. » كما قال عن نفسه وعن القصة في العدد الرابع من الاداب (أبريل ١٩٦٦) ... «وبطبيعة مزاجي الشخصي انا ضد الجمود لان الادب روح رائدة، والريادة تطلع الى البعيد والى الامام دائما ... فالتيارات الجديدة في الادب القصصي ليست في الواقع غير مظاهر انواء مضطربة في خليجواحد.» كما قال الاستاذ عبد المجيد لطفي عن نفسه وعن أدب القصة ايضا فيذلك العدد الاخير من الاداب الذي نحن بصدد الحديث عن قصصه . امـا الاستاذ فهمي حسين فلي شرف الالتقاء به للمرة الاولى في هذه القصة ، وربما كان السبب في ذلك هو تقصيري أو عدم توفر امكانيات متابعة الحركة الادبية في العراق .

والقصص الثلاث ، تنتمي بغير شك - ويمكننا اكتشاف ذلك منذ القراءة الاولى - لتلك التيارات الجديدة في أدب القصة القصيرة - بل وربما جمعتها رؤية واحدة ، من رؤى هذه التيارات الجديدة مع تفاوت اندماج كل كاتب من الكتاب الثلاثة مع رؤيته . نراه اندماجا كاملا نقيا عند محيي الدين اسماعيل ، ونراه اندماجا مزدوجا بين أسلوبين عند فهمي حسين ، يحاول بالاسلوبين - السيكولوجي والواقعي - ان يقيم بناء قصته على ساقين متوازنتين ، ونراه اندماجا قوي البناء ، تأثريا على كل من المستوى الواقعي والوجداني ، عند عبد المجيد لطفي . نرى القصص الثلاث ، نماذج صالحة لتلك التيارات « الشابة » الجديدة ، ولا يؤاخذنا الاستاذ عبد المجيد لطفي ، فنحن نوافقه على ما ذهب اليه في تعليقه في العدد الماضي كذلك - في باب مناقشات - من قوله بأن رؤية الكاتب أو الفنان وموقفه من الحياة والادب ، هماما يجعلانه شابا ، وهما ما قد يجعلان من الشاب شيخا تجاوزه الزمن . ولكننا قد نختلف معه في شيء آخر جاء في تعليقه المذكور ، حول نفر الاساتذة « نجلاء حامد» لقصة له في العدد الاسبق . ان احدا لا يزعم بأن قواعد القصةالواقعية قد انهارت وصارت انقاضا تحت شوامخ القصة الجديدة . هذا حقيقي ، ولكننا لا نستطيع ان نتفق معه على ان جميع الاساليب في القصة تستند الى « ركائز أساسية ، وتلك هي القواعد العامة التي لا يجوز تجاهلها بالمرة . » ولكن ربما كان من الافضل ، ان نعـود الـى قـصص العـدد الماضي ، لنجد فيها صورة « للقصة الجديدة » التي تبحث لنفسها - عن قواعد جديدة ، غير قواعد القصة الواقعية ، ان صح مصطلحالقواعد هنا بالنسبة لعملية الخلق الفني بوجه عام .

ما الذي يبحث عنه « شخص » قصة « النجوم والجمرة الخامدة » لمحيي الدين اسماعيل ، وما الذي يعانيه هذا الشخص ؟ .. «ثم مضى يستعرض اضواء الشارع .. انهـا جميعـا ومضات ساخرة من ظلامه الفزع والتشرد . » ، « وخيل اليه ان هناك شيئا اقوى من كل شيء .. غده ، هذا الشيء الاسود الغامض الذي يكبر ويتنامى في أعماقه كوحش . » أن « اضواء الشارع » هذه « الامواج السوداء من الناس» هذه « الضوضاء المختنقة غير المفهومة » ، هذا العالم الخارجي الصخاب العدائي كله ، الزحام والاضواء والضوضاء وعدم الفهم ، ثم هذا العدو الميتافيزيقي المتربص وراء الزمن : « الغد » ، هذان الشيئان ، العالم الخارجي المختلط القسمات حتى يكاد يكون غير مرئي ، والغد ، المستقبل الذي لا نكاد نعرف من القصة معالمه او توقعاته لاننا لم نعرف صـورة حقيقية عن « الان » هذان الشيئان الغائمان غير المحددين ، هما مـا يعذبان « شخص » محيي الدين ويهددانه . هما ما يجعلانه يحس بانه « ضفدعة مشلولة تتسكع » او « سمكة جافة ملقاة على شاطيء السيل الجارف العجيب الذي هو عالم الان والغد غير المحسوس . ولكـن « شخص » محيي الدين اسماعيل ، يظل « شخصا » ولا يستحيل كائنا انسانيا تمكن معرفته أبدا . ان الضفدعة المشلولة التي تتسكع والتي تحولت الى سمكة جافة ملقاة على الشاطيء ، تظل بعيدة عن ان تملك وجها انسانيا تمكن معرفتها به . انها ترى الجميع يسيرون بصخب وبتكرار ممل مضحك ، حتى لا يستبين منهم أحد من أحد . ولكنها هي نفسها تظل تحلم في سكون ، او تتراءى لها الرؤى بغير صخب ، ولكن بتكرار ممل مضحك ايضا . انهاقد تتذكر ذلك الحطاب الذي قفز الى احلامها دون داع ، ثم تستنكر اغنيته السخيفة التي تذكر النجومالبعيدة المستحيلة دون داع كذلك ، ثم تستطرد تسكعها الطويل وأحلامها في الشوارع المليئة بالضجيج حتى تعثر على عقب السيجارة المشتعل ، ذلك الشيء اليقين المحسوس الوحيد في عالم الوهم هذا ، هو العقب الذي يلوح للسمكة - الضفدعة اجمل من كل تلك النجوم السحيقة . ولكن العقب يكون قد خمد حينما تتحول الرغبة فيه الى فعل حقيقي من اجل التقاطه . حتى هذه الجمرة الضئيلة التي لا قيمة لها ، حتى هـذا العقب ، تاخذه الضفدعة المشلولة ، او السمكة الجافة ، ولكن بعد ان يفقد كل جماله الموهوم . وهكذا لا يكون للفعل معنى ، بعد ان فقد هدفه المتوهم .

العالم الخارجي لا معالم له ، غير معروف . والمستقبل ، الزمن ، غير معروف كذلك ، ولا يمكن ان يعرف . والانسان شخص محال الـى صورة نفسية لا ابعاد حسية لها مطلقا . والحدث مفقود تماما ، انه « لا حدث » ، وحتى في الوهم ، تسكن الاحلام دون حركة متخيلة . وهذا ما لا تعرفه القصة الواقعية ابدا ، منذ عصر تشيكوف حتى الشهر الذي صدرت فيه اداب العدد الماضي . والخلاف هنا يتعدى حدود الخلاف حول فهم « العالم » . الرؤية الواقعية ، متخذة اي اسلوب ، ترى ان العالم معروف او ممكن معرفته ، انه موجود وقائم وحسي . وحتى لـو لم يمثل في القصة نفسها ، فاننا نلمسه ماثلا وراء التجربة أو تحتها ، يكاد يغزوها او هو يغزوها بالفعل من خلال انعكاساته وتاثيراته علـى مستويات مختلفة ، وجدانيةاو حسية .

فما الذي يبحث عنه « عجوز » عبد المجيد لطفي في قصته «دوار» وما الذي يعانيه هذا العجوز ؟ لقد انطبقت السماء على الارض عنـد الشاطيء الاخر من دجلة ، وفقد هو ادميته ، ولـم يبق لـه غير الرمل والدناءة . رمل العاصفة التي اجتاحت روحه وايمانه ورفقته الطيبـة الجيدة ، ودناءة معاصرة « في كلام يطرح ببذاءة او على سبقان وردة بينما ياخذ المغيب طريقه الى غابة النخيل ليموت في سوبدائها .. » ولكن ، لقد بقي له شيء اخر ، ذكرياته من عالم غير عالم الرفقة الطيبة الجيدة والافكار المتوهجة ، من عالم « بطروس » وزملائه الشحاذين امام ملهى البراويس ، وعالم « عم ججو » الذي مات ، وعالم « ابو سمورة » الذي خلف « عم ججو » ، وعالم سمورة أو سونيا التي تريد ان تخلف امها الميتة التي تشبه تلك المراة التي خرجت من بين فكر ذئب ادرد لتقع في الوحل .. « وحل قليل الغور كثيف العفونة » . لقد اراد هـذا العجوز ان يهرب بجثته التي بقيت له من العاصفة الرملية الى جزء من عالمه القديم ، فوجد نصف هذا الجزء الباقي قد تهدم ، ونصفه السليم عاهر صغيرة ، يتوهمها هو سيدة ليمر بكفه البارد على راسها ،ويحكي لها حكاياته ، حكاية الثور المسن ، الذي لا بد ان يعيش لـكي يجـر المحراث ، ولا بد له لكي يعيشمن طعام هش لا يتعب فكم المحطم الاسنان .

ها هنا ينقسم كل شيء الى شطرين . الزمن الذي ينقسم الى ما قبل القيامة وما بعدها . زمن الرفقةالطيبة الجيدة والافكار المتوهجة ،

- التتمة على الصفحة ٧٨ -

***

الفارس الأسود

« عنترة بن شداد العبسي »

***

رايت عنتره
الاسود الطريد
في الريح ، من آلهة العبيد
على جواد ابيض بين جماجم مكسره
قلت له : يا فارسي الوحيد
من القتال ام الى القتال ؟
حدجني وقال :
انــا هنــا
وفارس الورق
في قعر قنينته غرق
والارض كالجرس
تــرن
تــرن
والمنزل انكنس
سلاسل الظل متى تهشمت اقول :
انا هو الليل الذي في جزره يقصر او في مده يطول
عبلة في الظلال
بالكلمات المسكره
تصدح مثل القبره
فأنظم القصائدا ـ
لجيدها قلائدا
ما كل من أعد للرحلة عدته
اتم رحلته
جدران هذا السجن من ملون الزجاج في النهار
والليل هذا عــار
لانه دويلة الموتى التي نزول
عنها ولا تدول
تنهزم الالوان ، تبقى الساحة المسوره
في الليل للظلال مرقصا
وللاشباح مسرحا
وللسجين مقبره
تــرن
ترن .

بغداد

موسى النقدي

يوناني وهندي وفرعوني . وتتجلى في القومية ، حين نسب الألمان جميع الفضائل البشرية الى قبائل النيوتون البدائية !

ويكمن التناقض في أن صاحب النزعة السلفية اذا حاول ان يستعيد الماضي بأكمله تحطم على صخرة الواقع الراهن ، واذا ارتضى أن يأخذ قسما من الماضي ليفيد الحاضر فانه يخون نفسه . وحين يخفق السلفي في تحقيق حلمه يعتزل الحياة ويصبح ناسكا .

ثمة نزعة تناقض السلفية ، هي النزعة المستقبلية ، وهي تضحي بالحاضر في سبيل المستقبل . وتعبر هذه النزعة عن نفسها في انها تستبدل العادات التقليدية بعادات جديدة ، كما نفعل نحن في تقليد العادات الاوروبية . وتظهر المستقبلية في السياسة بالغاء الحدود بين ولايات الامة الواحدة كما حدث في الثورتين الفرنسية والامريكية . ان المستقبلية تتطلب جهداً نفسيا شديدا ، لان الفرد اذا فر من واقع مكروه الى ماض معلوم وجد الراحة أما اذا فر من واقعه الى تصور مستقبل مجهول فانه يصاب بالقلق . طبعا ان اخفاق السلفية يقود الى المستقبلية . اما اخفاق المستقبلية فيقود الى التسامي أي الى الاعتقاد بمملكة لا تتحقق في هذا العالم . ولو دققنا في النسك الذي تقود اليه السلفية والتسامي الذي تقود اليه المستقبلية لوجدنا أن كليهما يؤدي الى الاعتزال عن الحياة العامة . غير أن الاعتزال الكامل يطرح الشفقة جانبا ، وبالتالي ينبذ الحب الذي لا بد منه في الحياة الانسانية العامة والخاصة . غير أن الفلسفة الانعزالية تهدم نفسها بنفسها ، لان الخضوع للعقل وتجاهل القلب فيه تجديف على الحياة . وعلى ذلك فليس في السلفية ولا في المستقبلية ولا في نتائجهما من التسامي او الاعتزال اي حل عملي للحضارة المنحلة ، لان كل حركة من هذه الحركات تهدف الى الفرار من الواقع ، بينما يحتاج الواقع على الدوام الى من يجابهه .

وهذا هو الفارق بين التجلي والاعتزال بالنسبة لحركة الفرد في مجتمعه: اذ بينما تعتبر الانعزالية انسحابا يفر فيه المرء بنفسه من المجتمع المتحلل، نرى التجلي حركة انسحاب يعود على أثرها المبدع الى مجتمعه برسالة وحلول عملية . وعلى هذا نرى أصحاب الرسالات من أمثال يسوع ومحمد يعتزلون مجتمعهم فترة يصلون فيها الى حالة الصفاء ، لكنهم يعودون الى هذا المجتمع بدافع حبهم للبشر حبا يفوق حبهم للهدوء الروحي الذي وصلوا اليه في عزلتهم .

ان المجتمع المتحلل لا يفقد مبدعيه ، لكن عباقرته يؤثرون الاعتزال على العمل ، كما أن المبدع في الحضارة النامية يقوم بدور الفاتح الذي يستجيب للتحديات ، أما المبدع في الحضارة المتحللة فيؤدي دور « المخلص » الذي ينتشل مجتمعا أخفق في الاستجابة للتحديات .

فالمبدع يأتي الى المجتمع المتحلل وهو يأمل أن يحول الانكسار الى ارتقاء جديد . غير أن الامة المتحللة تعيش في حالة انقسام متزايد ، وتحرص كل فئة فيها على الاحتفاظ بكيانها مدعية أن ما يفرقها عن بقية أجزاء الامة أكثر مما يجمعها بها . لذلك فان هدف المبدع اعادة توحيد الامة بغية انشاء دولة عالمية . ولا يجد المبدع سبيلا لاعادة توحيد الامة غير العنف ، سواء أكان المخلص سلفيا أو مستقبليا أو فيلسوفا . وفي كل الاحوال يحل العنف محل المحاكاة الاختيارية . ويغدو العنف طابع الدولة في معاملتها لرعاياها أو لجيرانها . وقد شاهدنا أن العنف يؤدي الى رد فعل عنيف في الداخل والخارج ، وبذلك تتفكك الدولة العالمية الثانية من جديد تفككا تصل حدته الى ان الاجزاء المنقسمة تفضل الاندماج بالعناصر الاجنبية على أن تعود الى حظيرة الامة التي انفصلت عنها . ولا تلبث العناصر الاجنبية أن تلتهم أجزاء الامة من كل جانب تمحي شخصية الامة ، وتفقد ارضها ، وتحل محلها أمة جديدة افلحت في الاستجابة للتحديات الوافدة وبدأت بتأسيس حضارة جديدة ..

والملاحظة الاخيرة هي أن هذا الخط لمسير الامة ليس حتميا لكنه استقرائي . أي ليس من المحتم على كل أمة أن تنقرض ، لكن الامم التي انقرضت سارت في نهج الانهيار ثم التحلل ثم التلاشي ..

محيي الدين صبحي

قصيدة للانسان المغربي

تظل تجر خلف خطاك شمس اليوم .. تستجدي
سماء ما بها ماء ولا سحب
وتلثم بابها الفضي .. ترتقب
ربيعا طالما شحت به الحجب
وتمسي ـ كي يحط الليل حملك فارغا عندي ـ
ببعض من خيوط الشمس ، تنسجها فتنسيني
وتروي اذ يكفن عشنا الطيني ،
غشاء المحل والسهد
حكايا عن ابي زيدِ
وترقى صهوة الدخان والوسن ،
الى فردوسك العلوي
ويبقى الجوع عبر صفارنا يعوي
وينهش أعظما تدوي
بلا قبر ولا كفن ..

***

ويصمت .. تستحيل دماؤه دمعا
فينتحب
ـ أيبكي كالصغير أب ؟! ـ
تفجر في القرارة منه سيل وجوده المسفوح
فتقطر مثلما انصهر النحاس حشاشة من روح
تسيل على الشفاه جنايزا : ...
.. ـ « الدمع لا يجدي
ولكن هل ادير الشمس ، أعصر زيتها وحدي
وخصري في السلاسل والعروق تذوب في القيد ؟
يصول صريره المبحوح
فيهجع كل ما في البحر ...
أين الموج والصخب
يبث الغيم سر الخصب والمرعى ؟ »

شفشاون ـ المغرب

محمد بنميمون

الأربعون

« ALLA GLORIA MILITAR. »
FIGARO, MOZART.

النخل جاد اربعين ميتة
والصيف مد للخريف اربعين يد
والمدن لزت كتفها الانسي
آلافا من الوجهات في سور الرمال
تذود عن جبينها جهامة الصحراء
شاخت قرى
وانزرعت جبال
واستهلكت ناس حنانَ ارضها
واخرون انطلقوا فرحى علـى صدر الزمان
يرتج في اقدامهم خوف المحبين وفي احداقهم
شوق الى خلد الحياة
هنيهة صغرى من الحياة
يا لحظة منها ويا عناقها
لانتما اخلد من خوالد الموات

***

الموت صاح واستراح اربعين حجة
وطاف في الحرم
في حرم القلب الشريف بالخفوق
الموت هذا الهمجي قـاء عهره لـدى البيوت والدروب
وفي صدور الناس اطبق المحار
الموت ما يزال
يباعد الرجال اكواما من الصدى
يمد من صراخهم جسور لقياهم علـى الارض البوار
الموت قرب الجدار بالجدار
نام على الاعتاب
كالكلب يلحس القدم
وساحرا يدغدغ العيون
يغريها بجنة العدم
يسيل كأسه الرصاص مترعه
يريقها اشواك شوق شاخ في الارحام
يعبها ثلج وماء بردت من قبل ان تسيل
الموت لامس الجباه
مطببا مشعوذا
ينزل حانا بعد حان
يطوق الاعناق بالحديد والقيود
يقول للندمان انها الجميل ، انها ورود
مرددا الحانه الوحيدة النغم
والشرفات اعتصرت من حمأة السكون
سكرا ظلاما ، رعبنا المصون
الموت زار كل صوت ، مس كل ساق
فصار صمتا ما يقال بامتشاق سيف
وصار مايلاك في خطاب
عهرا عييا وانفجار قيح
ونحن في المدائن البليلة الثرة
نفتح للصحراء بابا بعد باب
نحقن في العروق
رمالها الملتهبه
ونصطلي ازورارنا
غيابنا عن بعضنا
غيابنا عنا وعن اخوة الالم
صحراؤنا وكلها طريق
وما بها طريق
كمثل افعى لا نهائيه
فحت علينا تيهها ، عطاءها الوحيد
فاصبحت بموتهـــا تعرف البيـوت والقلوب
بيتي انا على يمين «الموت لا» باحرف مختالة سوداء
بيت اخي على امتداد « المـوت لا » باحرف داعرة زرقاء
وانهدمت جدران
وقيل لا ، لن نسجن الشموس فـي تيه الكراهيه
« سنحصد الريحـان »
« ونقطـف الرمـان »
« وننشـد النشيـد »
« باعــذب الالحـان »
وارتفعت جدران
اذ كان في النشيد
فعل لهاث السم في الوريد

***

ومنذ اربعين عاما وانا ادور انتظار
ادور السنين كالارقام فـي دفاتر الديون
لكنني ما ان احس في الذراع لحظـة بوخزة الحياه
حتى احيي الارض جـدولا طهـورا ،
كوكب انتصار
وكنت حتى الآن
طفلا ، غلاما ، رجلا غليظ
أكوم الالفاظ ، استبيح ان انال
من خمرة اليأس اغتباطا وارتياح بال
وحين استدير
أرى ورائي اربعين مهنجـة لا تنـدب الرحيل
تكرهني لانني
شويتها في الوهج البارد للنجوم
شويت ابنائي
طلبت للنسيان ان يأكلهم
طلبت للغفران ان يحميني ، يمنحني المزيد
واليوم اذ دفنتهم ، دفنت ما ابقى لي النسيان من عظام
حفرت للاطفال في حديقتي
قبورهم وفوق كل قبر ما احب الطفل من لعب
ادخلها في البيت حين ينزل المطر
مخافة الصدأ
مقبرة الاسرة فـي حديقتي الفسيحة الارجاء
تبدأ بالابناء .

***

ما انفكت الصحراء ، غــولا تخطف الاطفال ،
تلحف في اقتحام مدننا الربيعيه
تمتصها ، تلبسها
سماءها البلهاء
قضاءها الشحيح كالدموع في جماجم الاموات
فاين من يطردها يردها مهينه
يسري بايل عقمها مفتحا عيونه
يقلع في مراكب الانسان
خلال مـوج الخصب وسط لجـة المدينه

بغداد نجيب المانع

القضيّة

قصة بقلم زهير احمد الشايب

— ١ —

اكان محقا في موقفه لا ماذا يقول الان هؤلاء الناس عنه ؟ نظر للمحصل وهو يغوص في زحام العربة . الندم ينمو في اعماقه . حاول الانشغال بشيء . بدأ يتامل التذكرة . كيف السبيل لفهم رموزها وارقامها ؟ ... « اتهوى المشاكل ؟؟ » . عادت المشكلة تلح عليه،وانبثق المشهد في ذاكرته بكل تفاصيله . الكلمات التي قالها للمحصل تدوي في اذنه .. لكن .. لم اكن مخطئا . المحصل هو المخطىء . ليس معي سوى هذا الجنيه . انزل ؟؟ .. قهقهات ترن في اذنه .. زملاؤه في المصلحة يتندرون عليه « فلاح ! هاها ». تحفزت مشاعره . مستحيل . لن انزل . هز راسه . نظر لمن حوله . « الناس لا تأتي الا بالشدة » . اطل من النافذة ، وازدادت قدمه ثباتا فوق ارض العربة ، وعاد يتامل التذكرة من جديد ... المحصل يستسلم في هدوء . سمع الكلمات الجارحة دون ان يرد . اين هو الان ؟ لم يعثر له على اثر . زاد ندمه. لا يصح هذا بالفعل .. اه ، ثم ماذا لو تطور الامر ؟ انسيت ؟ لمدةثلاثة اشهر يجب ان تبتعد عن المشاكل . قرار تثبيتك بالمصلحة لم يصدر بعد . اف ! ... تابع حركة النازلين والصاعدين ... « كان يجب ان تحمل نقودا صغيرة . تذكر ذلك دائما » . يده تعبث آليا بجيب بنطلونه الصغير . احمر وجهه . لو يعلم المحصل ! لو يعلم هؤلاء !

— اعوذ بالله ؟ وتقسم ان ليس معك سوى الجنيه ؟

— لكني احتفظ بها .

— تحتفظ بها ؟

— آ .. كتذكار .

— جائز .

— عليها شعار مناسبة وطنية . حتى انظروا .

— ولو يا اخي . سهل امورك .

المحصل يصيح :

— وماذا يهمه هو ؟ لا بد ان يشاغب .

هتف في غيظ :

— انا حر . انا حر .

اخرجته اهتزازة مفاجئة من دوامته . هل سمعه احد ؟ لا احد ينظر اليه . آ .. حقا .. ما سر رموز هذه التذكرة ؟ ... عشرون مليما . باقي ثمانية وتسعون قرشا ... اخ ! .. ماذا لو انكر المحصل « الباقي » ؟ .. قد ينسى . ما العمل ؟ .. هؤلاء شاهدون . اطرق قليلا . اصوات غاضبة ، وتماسك بالايدي ، مشادة عنيفة ...

— « الافندي » صاحب الجنيه . انت يا اخ .

افاق من هواجسه .

— نعم ؟

أصبح المحصل بجانبه .

— جنيهك هذا ؟

عدنا لقلة الذوق ؟ في لحظة خاطفة مرت به انفعالات وافكار شتى . ظل ينظر لورقة النقد في دهشة . عادت ضحكات زملائه في المصلحة ترن . نظرات المحصل تحرك سخطه ... « ولهجته ايضا كانت جافة » . ماذا يريد هذا الوغد ؟ ... خرج صوته كقذيفة :

— نعم . يلزم شيء ؟!

نظرات المحصل لا تفارقه . قال ببرود :

— هات غيره .

— هات غيره ؟ لماذا ؟

جذب الموقف بعض نظرات الفضول . قال المحصل بتؤدة ، وبلهجة من يلمح الى اثر لا يعرفه سواهما :

— لا شيء . فقط هات غيره .

اسئلة من كل جهة :

— لماذا ؟

— لماذا ؟

الامر غير مفهوم . المحصل لا يزال يرمقه . حدقتا عينيه متسعتان. قلب وجهه في حيرة .

— هيه ؟

— السبب ؟

ضغط المحصل على كل حرف :

— فقط . هات . غيره .

تدخل المحيطون بهما من جديد :

— ماذا هناك ؟

— قل له السبب .

قال المحصل بنفس البرود :

— هو يعرف .

صاح بحدة :

— اعرف ماذا ؟

« علي انا ؟ » . ضاق بنظرات المحصل . لكنه صمت في حيرة.

صاح المحصل بصوت نافد الصبر :

— هات غيره احسن لك .

— احسن لي ؟!

— نعم . تحب ان تذهب الى القسم ؟

— قسم ؟! باي سبب ؟ حرامي يا مجرم ؟

خرج المحصل من هدوئه :

— لا . مزيف . علي انا ؟ جنيهك مزور .

فتحت الافواه وسيطر الصمت والترقب . نادى المحصل فيالدرجة الاولى :

— الاستاذ صاحب الخمسة جنيه . ما له الجنيه ؟

— مزيف .

دار الهمس . نظرات الفضول تصوب نحوه من كل من حوله . شد الموقف انتباه الجميع . خطر غامض يلوح في افق العربة . لا بد ان « يدافع » عن نفسه :

— الجنيه لا يخصني .

— أسمع ! امام هؤلاء . قلت جنيهي ام لا ؟

رد على الفور وهو يعلم انه كاذب :

— لا .

قال جنيهي ام لا ؟ انتم شاهدون .

— نعم .

— قال .

هذه الكلمة اللعينة . كيف افلتت منه ؟
ـ اثبت انه جنيهي .
ـ اذن لا بد من القسم .
اشعر برنة . القسم ؟! يا حفيظ . لا ينسى يوم ذهب يجدد بطاقته الشخصية ... والان .. لا داعي للمتاعب .. ليذهب الجنيه في داهية ..
ـ هيه ؟ ماذا قلت ؟
امتدت يده بقطعة النقد الفضية . انتزعها المحصل وتأملها. قال بنغمة لها مغزاها :
ـ يا اخي ، ما دامت هذه معك من البداية ، لم المتاعب ؟ .. خذ جنيهك .
لم تمتد يده .
ـ امسك جنيهك . ارم بلواك على غيرنا .
ـ احفظ لسانك .
ـ لساني « ايه » يا اخ ؟ لم تجدوا سوانا ؟
ووجه المحصل حديثه للجميع :
ـ في هذا الاسبوع وحده ضاع علي ثلاثة جنيهات .. وكل يوم واحد من زملائنا يقع في نفس المطب . خذوا بالكم .
شل لسانه عن الحديث . الجنيه في يده كجثة قتيل . التعليقات الهامسة تعلو وتتناهى لسمعه :
ـ نفس الحكاية مع واحد زميلنا .
ـ ابن عمي اول امس ...
ـ لا بد انها عصابة خطيرة .
ـ ومنظمة .
قهقه زملاؤه ودفت امه الطيبة على صدرها . اختلطت الضحكات بالدعاء الساذج :
« ـ هذا الساهي ، مزيف ولا ندري ؟
« ـ الهي يا بني يكفيك شر التهم الباطلة ..
« ـ وكان يغضب لكرامته . هاها ..
« ـ وشر الخبيء في الغيب .
التعليقات تعود فتفرض نفسها على سمعه :
ـ لا بد من اعدامهم .
ـ الاعدام ـ في رأيي ـ لا يكفي .
« ارم بلواك على غيرنا ! » . صوت المحصل لا يزال يدوي في اذنه . العرق يكاد يذيب الجنيه في كفه . نظرة شرسة واسعة تكاد تبتلعه . اصوات تتردد :
ـ امسكوا المزيف الخطير .
اندفع يجري . الاقدام تدب خلفه . صاح في فزع
ـ ليس جنيهي .
ـ الاقدام تكثر ، والهمس يعلو ويعلو ..
ـ كانت معه قطعة بعشرة قروش واصر على فك الجنيه
ـ قد يكون منهم . لم لا ؟
ـ هو منهم ولا بد .
من يقول ذلك ؟ الملامح تختلط عليه . هل قيل شيء من ذلك حقا ؟ العرق يتصبب من كل مسامه . النظرة البشعة الواسعة لا تزال تتهيأ لابتلاعه . « تخلص من الجنيه . تخلص منه » ... ووجد نفسه يشق طريقا للنزول .
ـ اين تذهب ؟
يد خشنة تقبض على ذراعه . تأمل الملامح الصارمة والجسم العملاق . العيون الواسعة نفسها ! رعب شديد . انهار كل شيء .
الاصوات تعود لتردد عالية صارخة :
ـ مزيف .. مزيف .. مزيف .
صوت يهمس في الحاح :
ـ تخلص منه . القه . ارمه .
اسرعت يده الى النافذة . اطبقتعليها اليد الخشنة في اخر لحظة .
ـ القسم يا « ريس » .
ـ انا .. انا .. أ .. لست مزيفا .. والله العظيم ..
العملاق لا يبالي بقسمه . اليد الاخرى تعبث بجيوبه . زملاؤه في المصلحة يضحكون :
ـ كرامته ! هاها ..
اليد الخشنة لا تزال تعبث بجيوبه . « تنتهك حرمته » ... انبثق الغضب في اعماقه ، وتذكر فجأة ما يستند اليه :
ـ لا تفتش .
وصمد لاول مرة للنظرات الواسعة . واصل احتجاجه بعد فترة صمت .
ـ .. التفتيش غير « قانوني » . هل معك اذن من النيابة ؟
وضجت العربة كلها بالضحك ..
ـ ٢ ـ
لفت وصوله انظار الجمهرة الموجودة بفناء القسم . واتجهت نظرات الفضول نحو « المتهم » ، الذي احيط على الفور بحراسة مشددة ، في طريقه لداخل القسم ..
« لا بد انه خطير » .
اختلط ركاب العربة بجمهرة الموجودين بالقسم واشتد اللغط :
ـ من هذا ؟
ـ واحد من العصابة .
ـ عصابة ؟ !
ـ عصابة التزييف .
ـ آ ..
ـ عبثا ينكمش داخل جلده ، « فالناس » لا بد الان قد رأوه . رأسه مطاطئة . خطواته سريعة ، والأسئلة من ورائه تنتشر كالنار :
ـ من هذا ؟
ـ زعيم العصابة .
ـ ضبطوا معه مائة جنيه .
ـ مائة ؟! ألف .
ـ اولاد الكلب .
ـ كاد يقتل الضابط الذي امسكه .
ـ قاوم فرقة كاملة .
ـ اخطر واحد فيهم كلهم .
ـ .. شكله ليس غريبا علي ..
ومسحت الاكف الجباه . وبدأ الموجودون يتذكرون شيئا غاب عنهم
ـ .. وانا ايضا .
اندفعت اقدام نحو حجرة التحقيق ، فوجىء الصول المحقق بأصوات تصيح .
ـ هو . هو .
ـ هو بعينه .
ـ هو يا حضرة الضابط .
ـ هو يا حضرة الضابط .
صاح الصول :
ـ هو من ؟
ـ الذي كان يأتينا بالجنيهات الزائفة .
ورمقت احدى الموجودات المتهم « بما تبقى لها من نظر » . دقت على صدرها :
ـ يا ابن الحرام ! تستحل فلوس اليتامى . حرام عليك .
ـ مالك يا نعيمة ؟
ـ مالي يا حضرة الضابط ؟ كل يوم يا سعادة البيه علبة سجاير ويفك جنيها جديدا . هو بعينه ..
وزاد اللغط فصار ضجيجا ، وتذكرت كل الذاكرات « الضعيفة » ، صورة المزيف الخطير الذي لعب عليهم .. ولم يكتف الامر على جمهرة

مقدمي البلاغات في القسم ، اذا اتضح لثلاثة من ركاب نفس الاتوبيس ، انه لا بد وان يكون الشخص الذي كانوا يبحثون عنه مـــن زمن ـ لنفس السبب ..

ـ ٣ ـ

كان يستمع في ذهول لاقوال العملاق الذي قبض عليه ، والذي تبين انه مخبر يدعى عبد العليم ، وكذلك لاقوال المحصل وبقية الشهود ، ومع كل كلمة تقال ، كان الامر يكشف عن شيء مرعب خطير يحدق به شيئـــا فشيئا . كانت عيناه على سعتهما لا تريان سوى ذلك الخطر المجهـــول الذي يتراقص في جو غرفة التحقيق . وبين لحظة واخرى كانت توقفه كلمة من شاهد او نظرة صاعقة من نظرات الصول المحقق .

فوجىء في النهاية ، بصوت الصول يصيح . لا بد انه سأل قبـــل ذلك مرات ، نفس السؤال : ـ اسمك ؟

ـ حسن يوسف عبد الله .

ـ ارفع صوتك .

ـ حسن يوسف عبد الله .

ـ صحيح هذا يا ولد ؟

ماذا يقول ؟

ـ انطق .

كل ما قيل قد حدث منه بالفعل ، لكن ، ما معنى هـــذه التصرفات كلها مجتمعة ؟.. قال باستسلام ، هربا من النظرات النارية :

ـ نعـم .

تمتم المحقق في غيظ :

ـ وقعتم اخيرا يا اولاد الكلاب .

دعوات امه الساذجة تختلط بضحكات زملائه ، والرعب يكاد يشل اطرافه . وجد اعماقه كلها ترتجف .

ـ انت زميله ؟ لا تسمع ؟

قال بصوت خائف :

ـ زميل من ؟

ـ احمد عبد المجيد سالم . زميلك ؟

ـ زميلي ؟!

ـ اعقل يا ولد احسن لك .

ـ والله لا اعرفه .

وقلب يديه في حيرة ، تراجع للخلف ، والمحقق ينفجر صائحا ، وهو يهم بالوقوف في حركة غاضبة :

ـ تلعب علينا نحن ايضا ؟ زميلك أم لا ؟

قال باستعطاف :

ـ والله العظيم ..

ـ كن عاقلا قلت لك . لا تكن عنيدا مثله . فـي النهاية (هـــو) اعترف . هرب من نظرات المحقق وساد صمت ثقيل . بدأ صوت خافت يهيب به أن يتحرك قبل فوات الاوان .

ـ هيـه ؟

ـ والله العظيم لم افعل شيئا .

صعد الرجل فيه بنظراته الغاضبة الملتهبة :

ـ لم تفعل شيئا ؟!

ـ نعم . والله العظيم .

تصنع الرجل الهدوء وطول البال :

ـ الجنيه ليس جنيهك ؟

ـ لا .

ـ لا ؟ .. لماذا اخذته اذن ؟

ـ ...

ـ ولماذا اصرارك على فك الجنيه . ومعك قطعة العشرة قروش ؟

ـ كنت محتفظا بها .

ـ لمـاذا ؟

شعر بسخف الرد ، لكنه لم يجد منه مناصا :

ـ كتذكار . عليها شعار مناسبة وطنية .

ـ اه ؟ ماذا تقول ؟

هرب من نظرات الصول الثابتة .

ـ احتفظ بها كتذكار .

ـ ماذا تقول يا اخ ؟!

ـ والله العظيم .

ـ كـذا ؟

ثم عاد المحقق يتصنع الصبر من جديد :

ـ اذن ، لماذا اخذت الجنيه ؟

ـ ...

(بدأ صوت المحقق يعلو مع كل سؤال)

ـ لماذا خفت عندما تحدث المحصل عن الذهاب الى القسم ؟

ـ ...

ـ تذكرتك كانت لنهاية الخط ؟

ـ نعـم .

ـ لماذا نزلت قبل منتصفه ؟

ـ ...

ـ لماذا حاولت الالقاء بالجنيه من النافذة ؟

ـ ...

ـ وهؤلاء الشهود ؟.. نعم . وهؤلاء الشهود ؟ (وصاح) .. اسمع . ستعترف ام لا ؟

ـ والله العظيم لم افعل شيئا .

هب المحقق واقفا :

ـ ستعترف أم لا ؟

ـ والله العظيم ..

اتجه اليه الصول والشرر يتطاير من كل جسده .

ـ والله العظيم ، والله العظيم . تقسم أنت ايضا بالله ؟ تعرفه ؟ تعرفونه يا أولاد الكلاب ؟ تعرفونه يا مجرمون ؟..

وتفجر حقد الرجل ، وتملكه الغضب المجنون مـــن هؤلاء الذيـــن يعملون ما يحلو لهم ثم يتمسحون بالله . وانهالت الصفعات والركلات ، وعبثا يرفع يوسف يده ليحمي جسمه .

ـ .. ثلاثة اشهر يا اولاد الكلب .. لا نملأ عيونكم ! ليست بالبلد حكومة ؟ خلي الجو لكم ؟..

ـ .. وتقسم بالله ! تقسمون بالله ؟ تعرفونه ؟

الضربات تكاد تسحقه . تحدث . قل شيئا . الناس لا تموت هكذا دون ضجة . دون كلمة .

ـ لا تضرب . لا تضربني . الضرب هنا ممنوع .

تجسد غيظ الرجل في كلمة قوية .

ـ أي . الضرب ممنوع ، قلت لك .

ووجد يوسف صوتا عنيدا ينمو ، وتذكر ما غاب عنه . مـع الركلة الجديدة قال المحقق بغيظ :

ـ ومن منعه ؟

ـ القانون .

صاح الرجل كمن لدغه ثعبان :

ـ القانون ؟ القانون تقول يا ابن الـ .. ؟

وسب أمه بكلمة نابية وعاد يركله ويلكمه وهو يردد :

ـ القانون ! الذي وضع القانون جالس على مكتبه . لم يأت هنا . لا يعرف الاشكال التي نتعامل معها (واشتد هياجه) . القانون لم يوضع لامثالكم . لا يعرفكم . القانون للشرفاء . لضحاياكم .

ازداد الصـوت الهامس فـي اعماق يوسف عنـادا . قـال بصوت تقطعه التشنجات :

ـ المتهم بريء .. الى ان .. تثبت .. إدا .. نته .. هذا حكم .. القانون ..

ـ اشكنا اذن .

ـ هناك نيابة . سأقول .. ضربوني ..
امسك الصول رقبة يوسف بكلتا يديه .
ـ اقتلك ؟
تدارك عبد العليم الموقف . ابعد الصول عن يوسف .
ـ تقتله في غضبك . يحسبونه علينا واحدا ككل الناس .
وقدم اليه سيجارة بدأ ينفث دخانها بغيظ .
ـ تصور يا عبد العليم . يتحدث هو الاخر عن القانون .
طيب عبد العليم خاطره واتجه الى يوسف ينصحه ، بينما يوسف يبكي تشنجا :
ـ المعاملة هنا سيئة . غير « قانونية » .
هم الصول بمعاودة الهجوم عليه . حال عبد العليم دونه وما يريد . صاح الصول وجسم عبد العليم يمنعه عن يوسف :
ـ سيئة ؟ كنت تظن نفسك ذاهبا للسينما .. الاقسام كلها هكـــذا (وعاد الى مكتبه بينما صوته يعلو مؤكدا) في السند . في الهند . كلها هكذا . جاجارين عندما ذهب الى القمر وجد الاقسام هناك هكذا .
اندفع يوسف يقول بعناد طفولي :
ـ جاجارين لم يذهب الى القمر . دار فقط حول الارض .
ـ يعني انا كذاب ؟
وهب واقفا من جديد ، وخطا نحوه خطوات غاضبة .
ـ جاجارين ذهب الى القمر . ذهب يا ولد . قل ذهب .
ـ لم يذهب .
ـ ذهب .
ـ لم يذهب .
ـ قلت لك ذهب . تكذبني ؟
وعاد ينهال فوقه ضربا ، ووجد عبد العليم ان المتهم « لطول لسانه » لا يستحق سوى الادب . ظل الصول يكرر مع كل ضربة :
ـ ذهب . ذهب . ذهب . قل ذهب يا ابن الـ ..
وسقط يوسف فاقد الوعي ، وأمر الصول بالقائه في الحجز ، لحين حضور الضابط المختص . ثم بدأ يسترد انفاسه ، ويهنىء عبـد العليم ـ وهو يبتسم ـ بالترقية المنتظرة .

ـ ٤ ـ

ابتسم الضابط ابتسامة صافية كبيرة عندما رآه .
ـ تفضل .
واشار الى كرسي امام مكتبه . وازاء الحاحه فقـد جلس يوسف غير مصدق . استمر الضابط يكتب ويقلب الاوراق التي امامه لفتـــرة كان يوسف اثناءها يختلس النظرات اليه . استراح لقسمات وجهـــه . تأمل شاربه الدقيق المرسوم في عناية . استرد انفاسه ، فرك كفيه عـدة مرات ، ووجد نفسه يرتجف وهو يشعر ببرد خفيف ، وتركزت نظراتـــه على شعر الضابط الفاحم . ترى ، ماذا يجول برأسه هو الاخر ؟ دعوات امه تملأ سمعه ، وادلة كثيرة ترد على ذهنه تؤكد له « براءته » .
ـ أهلا بالرجل .
ابتسم في حياء وهم بالوقوف .
ـ اجلس . اجلس يا رجل .
جلس على حافة الكرسي . بحثت يد الضابط بأحد جيوبه .
ـ سيجارة ؟
انتفض واقفا في شعور عارم بالجميل .
ـ شكرا . لا ادخن .
نظر اليه الضابط نظرة لم يلحظها يوسف .
ـ خذ سيجارة .
ما هذا ؟ آ ... لا بد انهم اكتشفوا براءتــه . استسلم لمشيئة الضابط . نظر الى عينيه . اوحى له جو الطمأنينة بأن يمزح :
ـ هل يسمح بالتدخين في السجن ؟
ـ اطمئن يا رجل .
الله ! لماذا جاء هذا القول على لسانه ؟ كيف يمكن أن يفسر دوافعه .
عاد الضابط ينشغل بأوراقه . قال وهو منهمك : ـ واسمك ؟
ـ يوسف حسن عبد الله .
ابتسامة الضابط الصافية ولهجته المرحة اكدتا له صدق ما دار بخاطره . دق الضابط جرس المكتب . قال للجندي حارس حجرته :
ـ اثنين قهوة مضبوط .
لمن ؟ لي انا !؟ ما هذا ؟.. لكن ، لا يجب ان يعترض . قد لا تكون القهوة من اجله فيحرج بذلك حضرة الضابط . استراح تماما للضابط وعاد يسمع دعوات امه ووثق تماما من براءته . وعلى الفور ، شعر بآلام الضرب المبرحة . وتجسد ما حدث له ، فكادت الدموع تطفر من عينيه ، وشعر باختناق صوته ، وبان كل هذا في ملامح وجهه المعبرة .
ـ ما بك ؟
ـ تصور يا حضرة الضابط . ضربوني قبل مجيئك .
قال الضابط مستنكرا :
ـ ضربوك ؟
اردف يوسف ليبين للضابط انه يعرف تماما كل حقوقه :
ـ وسيادتك تعرف ان ضرب المتهمين غير « قانوني » .
صاح الضابط في الحارس :
ـ ناد الصول حجازي .
دخل صبي البوفيه يحمل القهوة . وضع الفنجانين على المكتب .
ـ اشرب يا يوسف .
ـ العفو يا فندم .
ـ اشرب يا رجل . شيء بسيط .
هذا الرجل الطيب ! شعر يوسف بأنه يحبه حبا حقيقيا ، حبـــا كبيرا . كيف يمكن ان يرد جمائله أو ان يعبر عن شعوره نحوه ؟ قطـع افكاره دخول الصول حجازي . صاح الضابط وهو يشير نحو يوسف .
ـ تضربونه ؟ فوضى هي ؟
طأطأ الصول رأسه . لذ ليوسف ان يرشف من فنجانه وهو يرمقه بتشف . « رئيسه من سن أولاده ! » . ضرب الضابط على مكتبه بقوة :
ـ لا تعرفون ان الضرب هنا غير « قانوني » ؟
لم ينبس الصول بكلمة ، ابتسم الضابط ليوسف ، ثم عـاد يصيح في الصول وهو يضرب كفا بكف :
ـ تظنون كل من يأتي هنا لا دراية له بالقانون ! ها . تفضل وسنرى.
اتجه الضابط ليوسف بعد خروج الصول .
ـ اغبياء . لا يعرفون انهم بهذه الطريقة « يطفشون » الزبائن منا .
وضحكا عاليا . ترك الضابط اوراقه . وبدأ يتحدث الـى يوسف بلهجة تتغير نغماتها حسب المعنى الذي يريد التأكيد عليه :
ـ اسمع يا يوسف . ابغض صنعة في الانسان هـي الغبـاء . لا تتصور . الرجل الغبي اكرهه تماما . دائما يجلب المتاعب لنفسه ، ولغيره .. لكن .. الرجل الذكي ، احبه ، واقدره بغض النظر عن أي شيء ..
سعل يوسف عندما تسرب بعض الدخان الـى صدره . رمقـه الضابط بثبات :
ـ تبدو فعلا كمن يدخن لاول مرة .
ـ صدقني حضرتك . انا لا ادخن .
زر الضابط على عينيه . رمق يوسف بنظرة عميقة .
ـ على كل يا يوسف . انا يعجبني الرجل الذكي .
ثم غير من لهجته :
ـ .. وانت يا يوسف ذكي .. ذكي جدا .. تصور . لـو وجدتك لاقدر الله غبيا .. كنت سأغضب .. سأغضب جدا ..
كان ذهن يوسف مشغولا باعداد دفاعـه . نادى الضابط حارس الحجرة واشار لـه اشارة غامضة ، واتخذت ملامحه على الفور سمتا مغايرا وقال بنبرة جديدة :
ـ .. لكن الرجل الغبي كما قلت لك ، انفر منه . اكرهه ، يرفض

ـ التتمة على الصفحة ٤٩ ـ

العصا والانسان

١ ـ الساحرة :
نزلت من شرفة كوكب
تطوفين ذات مغرب
في غابة كثيرة الشباك
وفي يديك بضع حبات من البر
باركها ذئب
... وانتثر الحب
ينقره سرب
يحذره سرب
حتى اذا تألقت خناجر الفجر
تلاحق الوحش الذي يفتك بالطين
فررت بالشباك
كمنت في غصن من الأراك
رآك فارس من العربان فاشتهاك
جارية رقطاء فتانه
رقطاء
ـ رحماك يا أبي
أيستحيل وجهك النبي
مزالقا لهذه الرقطاء ؟
ثم تسللت تمغنطينه عن كثب
مجهدة .. كذئبة كسيحة القدم
قابعة في سفط من خشب
عليه نقش سلسله
وراحة مخضوبة بدم
وأحرف معكوسة مقلوبة مهلهله
تبعد العيون عن ساحرة خلابه
تنوعت فنونها في الغابه

***

٢ ـ المسحور :
الموت ينشر الضباب فوق ناظريه
وللعصا ارتعاشة الأثيم في يديه
قبلها .. واستغفر الله لها .. وقال :
لمحت فيما يلمح الوسنان
مخلوقة أشبه بالانسان
ملتفة الأنمل حول هذه العصا
ان تغمز الليل تلملم النجوم كالحصى
أو تلمس الأشجار جردا يتساقط الثمر
أو تحدج الفضاء صحوا ينزل المطر
أو تلقها أرضا فلا أفعى
في أرضنا تسعى
ولو تشاء تمسخ البشر
سوائما تسرح في مرعى
ولو تشاء تزرع القضاء والقدر
حدائقا عريضة الظلال
يطول فيها النوم والخيال .!

***

٣ ـ الانسان :
ـ « جرد عصاك ان دعاك الأوان
تأمن بها انسان هذا الزمان »
ـ مَن ـ سيدي ـ انسان هذا الزمان ؟
أساحر ؟ بهلوان ؟
ـ مهرج ؟
ـ لص ؟
ـ أقديس ؟ أذو صولجان ؟
أم قمر مزق عن أديمه الطيلسان ؟
أم فارس ملوح بسوطه الملتهب ؟
مطارد ساحرة اهابها من خشب
أم حالم يقتنص النجم بلا غمض ؟
كمارد هب من الأرض
في كل ساعة لدى السما له مهرجان
من ـ سيدي ـ انسان هذا الزمان ؟

***

٤ ـ المغني :
هل تمطر الأزياء
على جباه الناس عريانه ؟
هل تجرف الملوك والغوغاء
راعية كسيحة عمياء ؟
لو ـ مرة ـ ساحرتي ـ أجبتني
اذن لآمنت بما أريتني
لدرت كالعشاق حولك
أحرق الأعصاب والدماء
مبخرة تضوع قنديلا يضيء ليلك
لو ـ مرة ـ أجبتني
اذن لغنيت كما عهدتني :
مليكتي تركع عند عرشها العرائس
تلتهم النفوس والانفاس والنفائس
والعاريات حولها يطفن بالمعازف
تراقص الأشباح في القبور والمتاحف
يا لك من ساحرة خلابه
تنوعت فنونها في الغابه .!

بغداد

محمد النقدي

يوميات البير كامو

ترجمة ماهر البطوطي



الحلقة الثانية

٣٠ سبتمبر (١)

انـا دائمـا انتهي برؤية كل مظهر موجود في انسان ما . انها مسالة وقت . ودائما ما تاتي اللحظة التي اشعر فيها بالتوقف. والمهم في ذلك أن هذا الامر يحدث دائما حين اشعر بان هذا الشخص يفتقد الاحساس بحب الاستطلاع تجاه شيء ما .

يرفض الكتاب تنقيح كتاباتهم حتى يسطعوا سريعا ، وهـذا شيء حقير . ابدا ثانية .

٣٠ سبتمبر

اما أن يستحق المرء شيئا أو لا يستحق شيئا على الاطلاق. الخلق او عدم الخلق . في الحالة الاولى يصبح كل شيء له ما يبرره . كل شيء ، دون استثناء . وفي الحالة الثانية ، يغدو كل شيء عبثا تماما. اذن يكمن الاختيار الوحيد في شكل الانتحار الاكثر ارضاء من الناحية الجمالية : الزواج ، واسبوع ذو اربعين ساعة ، او مسدس .

في الطريق الى « لامادېلين » ، مرة اخرى في حضرة مثل هذا الجمال الطبيعي ، والرغبة في التعري من كل شيء .

١٠ أكتوبر

في سبتمبر تزفر اشجار الخروب عبير الحـب فوق الجزائـر كلها ، ويبدو كما لو أن الارض جميعا تستريح بعد ان اعطت نفسهـا للشمس ، وما زال جوفها رطبا من البذور التي تحمل نكهـة اشجـار الجوز .

١٨ أكتوبر

في طريق سيدي ابراهيم ، بعد المطر ، وعبير الحب يتسـاقط من أشجار الخروب، ثقيلا مضجرا ، ويضغط بكل احماله من الماء. وبعد ذلك اذ تمتص الشمس الماء وتستعيد الالوان بريقها ، يتضاءل عبير الحب ولا يكاد يصبح ملحوظا . مثله في ذلك مثل العشيقة التي تخرج معك الى الطريق بعد اصيل قائظ خانق والتي تحملق اليك في وسط أضواء الطريق وزحمته اذ هي تعتمد بكتفها على كتفيك .

هكسلي : « على كل حال ، من الافضل ان تكون برجوازيا طيبـا مثل الاخرين عن أن تكون بوهوميا رديئا ، او ارستقراطيا زائفا ، او مفكرا من الدرجة الثانية ... »

٢٠ أكتوبر

طلب السعادة والبحث الدائب عنها . لا نحتاج الى ابعاد كآبتنا، ولكن يتعين علينا أن نقوض ميلنا نحو الاشياء الصعبة المميتة . لنكن سعداء مع رفاقنا ، متفاهمين مع العالم ، ونكتسب سعادتنا باتباعنا طريقا يفضي على الرغم من ذلك الى الموت .

ـ « سترتجف أمام الموت » .

ـ « أجل ، ولكنني لن أترك شيئا ناقصا من رسالتي ، وهي أن اعيش » .

لا تستسلم للتوافق ولا لساعات العمل . لا تستسلم ، لا تستسلم ابدا ، بل اطلب المزيد دائما . ولكن ابق هادئا ، حتى في سـاعات العمل . وحالما نصبح وحيدين في حضرتها ، جاهد ما استطعت من أجل العري الذي يرفضنا العالم من أجله . ولكن ، فوق كل شيء ، ولاجل أن تكون ، لا تحاول التظاهر أبدا .

٢٥ أكتوبر

الثرثرة ـ غير محتملة وحقيرة .

١٦ نوفمبر

قال : « لا بد لنا من حب ، حب واحد عظيم في حياتنا ، حيث ان ذلك يعطينا فرصة للهروب من جميع اللحظات التي نمتلىء فيهـا باليأس المميت » .

٢٢ نوفمبر

من الطبيعي أن يهب المرء جزءا من حياته حتى لا يفقد حياته كلها. ست او ثماني ساعات كل يوم حتى لا يموت جوعـا . وبعدئـذ ، هنـاك نفع في كل شيء للمرء الذي يبحث عن ذلك حقا .

---

(١) سبق ان نشرت الحلقة الاولى .

ديسمبر

المطر ثقيل على النوافذ كالزيت ، وصوت حوافر الخيل الاجوف، وانسياب الماء السقيم المستمر ، وكلها اتخذت أشكالا زائلة رسخت كآبتها الثقيلة على قلب ميرسو حين كان الماء يرسخ على حذائه والبرد يتخلل نسيج بنطاله الرقيق الى ركبتيه . كانت السماء كلها مغطاة بكتلة سحب سوداء متحركة ، تتبع الواحدة منها الاخرى.والمياه المتبخرة التي انسابت تفسل وجه ميرسو بيد حانية وتظهر عارية الهالات العميقة تحت عينيه ، وليس الضباب ولا المطر . لقد ذهبت ثنيات بنطاله ، واختفى معها الدفء والثقة التي يحملها الانسان العادي من حوله في الدنيا التي صنعت من أجله .

(سالزبورج)

. . . .

الرجل الذي كان يبتسر بمستقبل زاهر ثم يعمل الان في احد المكاتب . لا يفعل شيئا سوى هذا: يعود الى البيت في بساطة، ويرفد ويدخن حتى وقت الغذاء ، ثم يعود الى الفراش وينام حتى صباح اليوم التالي . وفي أيام الاحاد ، ينهض متاخرا جدا ويقف في النافذة يراقب الشمس أو المطر أو المارة أو الطريق الساكن . طوال العام. انه ينتظر . انه ينتظر الموت . ما أعذب البشائر على كل حال بما أن..

السياسة ، ومصير الجنس البشري يصوغهما أناس لا مثاليات لهم ولا عظمة . الرجال العظماء لا يتجهون للسياسة . ويصدق هذا على كل شيء . ولكن واجبنا الان ان نخلق انسانا جديدا داخل نفوسنا . لا بد أن نحول رجال العمل عندنا الى رجال المثاليات ، ونحيل شعراءنا الى قادة الصناعة . لا بد أن نتعلم كيف نعيش أحلامنا - ونحولها الى حقائق . لقد استسلم الانسان سابقا أو ضل طريقه، ولا بد لنا ألا نستسلم أو نضل الطريق .

ليس لدينا الوقت لنكون ما نحن عليه ، كل ما لدينا من الوقت للسعادة .

أوزولد شبنغلر : تدهور الغرب :

الشكل والحقيقة :

« أنا أسمي فهم العالم أن أكون على نفس مستواه ».

« الانسان الذي يعطي تعريفات لا عرفان له بالمصير »

« بعيدا عن الضرورة السببية التي سادعوها منطق الفضاء ، يوجد أيضا في الحياة ضرورة المصير الحية ، منطق الزمن ... »

افتقار اليونان الى أي حس بالتاريخ .

« التاريخ من الازمنة الغابرة حتى الحروب الميدية نتاج طراز تفكير أسطوري أساسا » .

« كانت الاعمدة المصرية تصنع من الحجر والاعمدة « الدورية » تصنع من الخشب أصلا . كانت هذه هي الطريقة التي عبرت بها روح « الاتيكا » عن عداوتها العميقة لفكرة البقاء . الثقافة المصرية ، تجسيد لفكرة العناية ، وليس لليونان تاريخ ، فقد كان اليونانيون شعبا سعيدا .

الاسطورة ، ومعناها يختلف عن معنى السيكلوجية . وعن طريق التقابل ، يكون ما نجده في بداية التاريخ الروحي للغرب شذرة من تحليل الذات ، وهو « فيتانوفا » الغرب . (قارن مقابل ذلك الشذرات الاسطورية عن هرقل التي ظلت كما هي منذ هوميروس حتى ماساوات « سينيكا » . ألف عام . وهذا يعني : القدم - الحاضر) .

مثال : « الالمان هم الذين اخترعوا الساعات الالية ، هذه الرموز الرهيبة التي تعبر عن طوفان الوقت ، التي تدق برنينها الطنان ليل نهار في عديد من مدن غرب اوروبا ، وربما تكون اضخم تعبير يمكن لموقف تاريخي من العالم أن يقدمه » .

باعتبارنا رجال ثقافة غرب أوروبا ، لدينا حس التاريخ ، فاننا الاستثناء ولسنا القاعدة .

غباء الطراز : في الازمنة الكلاسية - العصور الوسطى - الازمنة الحديثة . أي معنى يستطيع أن يضيفه انسان السوبرمان على عالم الاسلام ؟

مصير أي ثقافة ان تنتج حضارة . وهكذا تتبع روما أثينا . الروح الاغريقية والعقل الروماني . في العالم الكلاسي ، تصبح الثقافة حضارة في القرن الرابع . في الغرب تصبح كذلك في القرن التاسع عشر .

أدبنا وموسيقانا مصوغان لاجل سكان المدن .

وهكذا نجعل تاريخ الفلسفة الموضوع الجدي الوحيد لكل فلسفة . القضية كلها تتلخص في الاتي :

التناقض بين التاريخ والطبيعة .

الحساب التاريخ .

والرسم . (ينقح) .

فبراير ١٩٣٨

تتركز روح الثورة في احتجاج الانسان ضد الحالة الانسانية . وتحت الاشكال العديدة التي يمكن ان تتخذها هذه الثورة يكمن الموضوع الازلي الوحيد للفن والدين . فهناك ثورة تشتعل دائما ضد الالهة - ابتداء من بروميثيوس فما بعد ذلك . انه احتجاج يقوم به الانسان ضد مصيره ، وما الطاغية وعرائس البورجوازية الا ذرائع للثورة .

ويمكن يقينا الامساك بهذه الروح في تكشفاتها التاريخية، ولكن المرء يحتاج لكل عاطفة مالرو حتى لا يستسلم للرغبة في الاثبات. من الاسهل اكتشافها في جوهرها ومصيرها . ومن وجهة النظر هذه، يكون العمل الفني الذي يعيد تتبع غزو السعادة عملا ثوريا .

ابحث عن التطرف في الاعتدال .

أبريل ١٩٣٨

يا للشقاء المقيم الذي يكمن في حالة الانسان الذي يعمل وفي الحضارة القائمة على أناس يعملون .

ولكن لا بد لنا ان نقاوم ولا نيأس . ورد الفعل الطبيعي هو ان ينثر المرء مواهبه خارج العمل ، ويسلك الطريق السهل للحصول على اعجاب الاخرين ، ويخلق جمهورا وعذراً للجبن و ... التمثيل في المسرحيات ! (ومعظم الزيجات تتم على هذا الاساس) ورد فعل اخر لا محيص عنه أن يحاول المرء اظهار المهارة في هذا الحقل . وبجانب هذا ، يتوافق الشيئان كل مع الاخر تماما لو أنك يئست جسمانيا وأهملت جسمك وأضعفت من قوة ارادتك .

وأول شيء تفعله هو أن تلتزم الصمت وأن تلغي الجمهور وتتعلم كيف تحكم بنفسك . وأن تحافظ على التوازن بين اهتمام نشط بالجسم وادراك واع بالوجود في الحياة . وأن تترك فكرة أن «العالم» مدين لك بالحياة وتكرس نفسك لاحراز نوعين من الحرية : التحرر من المال ، والتحرر من الغرور والجبن . الايمان بعدة قواعد والتزام هذه القواعد . ليست سنتان بالوقت الطويل ليفكر المرء فيهما في نقطة واحدة . لا بد أن تمحو كل المراحل السابقة وتركز كل قواك في عدم نسيان شيء أولا ثم بعد ذلك في الانتظار في صبر .

اذا دفعت هذا الثمن ، فهناك فرصة واحد من عشرة للهرب من أسوأ الحالات بؤسا وشقاء : حالة الانسان الذي يعمل .

أبريل

ارسل مقالين . كاليجولا : لا أهمية له . ليس ناضجا كفاية . ينشر في « الجزائر » .

عد الى الفلسفة والثقافة . اترك كل شيء اخر : رسالة : اما علم الحياة لشهادة الاجرجاسيون .

أو الهند الصينية .

اكتب شيئا في هذه اليوميات كل يوم . وفي خلال سنتين اكتب عملا كاملا .

أبريل ١٩٣٨

عاش « ملفيل » حياة مليئة بالمخاطرات وانتهى في احد المكاتب. يموت فقيرا مجهولاً . ستمكنك الوحدة والعزلة (وهما شيئان مختلفان) من استنفاد كل شيء اخيرا حتى الحقد والنميمة . ولكننا يجب أن نكون دائما على استعداد لصد تيار الحقد والنميمة في نفوسنا .

نيتشة : يدين « الاصلاح » الذي انقذ المسيحية من مبادىء الحياة والحب التي كان « سيزار بورجيا » ينفثها فيها . كان البابا بورجيا يبرر المسيحية اخر الامر .

ما يجذبني الى فكرة ما دائما هو صفتها اللاذعة الاصيلة ـ كل ما هو جديد وسطحي فيها . لا بد أن اعترف بذلك .

« س » ، الذي يلهو باغراء الناس ، الذي يعطي كثيراً جدا لكل شخص ولكن عواطفه لا تدوم ابدا ، الذي يحتاج الى اغراء الناس وكسب الحب والصداقة ولا يتمكن من أي منهما . شخصية لطيفة في الروايات ولكنها غير محبوبة كصديق .

المنظر : زوج وزوجة ، في الصالة .

للزوج بعض الصفات ، ويجب عليه أن يتظاهر . وزوجته هادئة جدا ، ولكنها تدمر كل تأثيرات زوجها بعباراتها القصيرة الرشيقة. وهي تقيم تفوقها بهذه الطريقة . وبتحكم زوجها في نفسه ، ولكن الهوان يؤلمه . وهكذا تولد الكراهية بين الزوجين .

مثال : تقول له بابتسامة : « لا تحاول ان تكون اكثر بلها مما انت عليه يا عزيزي » . ويهتز المتفرجون في الصالة ويتبسمون في قلق . يحمر وجهه ويتجه نحوها ويبتسم اذ يقبل يدها ويقول : «انك على حق تماما يا عزيزتي » . حفظ ماء وجهه . وتزداد الكراهية في قلبه نحوها .

ما زال باستطاعتي أن أتذكر الياس الذي انتابني حين اخبرتني امي انها « قد اصبحت الان عجوزا بما فيه الكفاية ليقدم لها الناس هدايا نافعة في السنة الجديدة » . وحتى اليوم لا استطيع ان امنع نفسي من الانقباض حين أتلقى مثل هذه الهدايا . ويقينا كنت أعرف أنه صوت الحب ـ ولكن ، لماذا يتخذ الحب أحيانا مثل هذه الصور السخيفة ..؟

يختلف تفكير المرء في نفس الشيء في الصباح عنه في المساء . ولكن ، اين الحقيقة ، في فكرة المساء أم في روح الظهيرة ؟ هناك جوابان ، وعنصران في الانسان .

مايو

العجوز التي تموت في ملجا العجزة . صديقتها ، الصديقة التي اكتسبتها في فترة ثلاث سنوات ، تبكي لانها لم يعد لها شيء في « الحياة » . حانوتي المقبرة الصغيرة الباريسي الذي يعيش في المقبرة مع زوجته « من كان يقول لهم أنه سوف ينتهي بهم الامر في الرابعة والسبعين من عمرهم في بيت للعجزة في مارنجو ؟ » كان ابنه موظفا وتركا باريس . ولم تريدهما زوجة الابن . مشاحنات . واخيرا يرفع العجوز الامر الى الابن فيضعهما في ملجا للعجزة . حفار القبور الذي كان واحدا من أصدقاء المراة المتوفاة . كثيرا ما ذهبا معا الى القرية في المساء . العجوز القميء الذي اصر على متابعة الجنازة حتى الكنيسة ثم الى المقبرة (كيلومتران) . ولما كان غير قادر فانه لم يستطع اللحاق بالركب وسار متأخرا عشرين ياردة . ولكنه خبير بالمنطقة ويتخذ من المنحنيات ما يمكنه من اللحاق بالجنازة مرات كثيرة ثم يعود الى التأخر ثانية .

على أنف الممرضة العربية التي تدق الكفن كيس دهني وتغطيه بضمادة دائما .

صديقات المراة المتوفاة : اناس عجاز تتحكم الخيالات فيهم . كل شيء كان رائعا فيما مضى . تقول واحدة منهم الى جارتها : « ألم تكتب لك ابنتك ؟

ـ كلا .

ـ قد تتذكر يوما ان لها اما ».

لقد ماتت الاخرى ـ كعلامة وانذار لهن كلهن .

أغسطس :

. . . .

الحرية الوحيدة الممكنة هي الحرية فيما يتعلق بالموت . الانسان الحر حقيقة هو الذي يقبل الموت كما هو عليه ويقبل نتائجه في ذات الوقت ، أي الغاء كل القيم التقليدية للحياة . وعبارة أيفان كارامازوف « كل شيء مسموح به » هي التعبير الوحيد الموجود للحرية المتماسكة. ولا بد لنا من أن نتبع كل نتائج هذه الملاحظة .

٢١ أغسطس ١٩٣٨

. . . .

الفنان والعمل الفني . العمل الفني الحق هو الذي يقول أقل ما يمكن . علاقة ما بين التجربة الكونية للفنان ، وفكرة + حياته (وهو ما ندعوه باسلوبه تاركين كل معنى منهجي قد تحمله هذه الكلمة) والعمل الذي يعكس هذه التجربة . وهذه العلاقة تكون خاطئة حين

يعطي العمل كل هذه التجربة محاطة باطار من الادب . وهي صحيحة حين يكون العمل الفني جزء مستخرجا من التجربة ، وجها واحدا من الماسة حيث ينعكس بريقها الداخلي ولكنه لا يستنفد . وفي الاولى، هناك مبالغة ، وأدب . وفي الثانية ، عمل مثمر ينتج عن مضمون التجربة الكامل الموحى به والذي لا يعبر عن ثرائه بطريقة مباشرة.

المشكلة هي اكتساب تلك المعرفة بالحياة (او بالاحرى عيش هذه الحياة) وهو ما يتجاوز مجرد القابلية للكتابة . وعلى هذا ، فالفنان العظيم ، في نهاية هذا التحليل ، هو اولا واساسا الانسان الذي له تجربة عظيمة في الحياة (على أن يكون مفهوما أنه في هذه الحالة يتضمن العيش التفكير في الحياة كذلك ، وان العيش هو فيالحقيقة تلك العلاقة الدقيقة بين تجربة الانسان واحساسه بها بالضبط).

اذا كان الحب يعني انفاق حياة الانسان فيه ، وخلق نوع خاص من الحياة ، يكون الحب الخالص حبا ميتا ، ولا يصبح الا شيئا يرجع له ، وينبغي علينا أن ننشد مفهوما لكل ما بقى .

يكون الفكر دائما في المقدمة ، وهو يرى بعيدا جدا ، ابعد من الجسد الذي يحيا في الحاضر . والغاء الامل يعني اعادة الفكر الى الجسد . والجسد محكوم عليه بالفناء.

ابتسم في رعونة وهو راقد ، ولمعت عيناه . واحسست هي بكل حبها يفيض في حلقها وانبثقت الدموع من عينيها . والقت بنفسها على شفتيه وسحقت دموعها بين وجهيهما . وبكت في فمه ، بينما تذوق هو كل مرارة حبهما في هاتين الشفتين المليحتين .

« لو انني استطيع القراءة . ولكن لا يوجد ضوء كاف لي في المساء لكي اعمل بالابرة ، ولذلك أرقد وانتظر . وقت طويل ، ساعتين وانا هكذا . اه ، لو أن حفيدتي كانت هنا لكان بامكاني ان اتحدث اليها . ولكنني جد عجوز . وقد تكون رائحتي غير مستحبة . ولا تحضر حفيدتي مطلقا . ولهذا أبقى هكذا ، وحدي ».

اليوم ، ماتت امي . وقد يكون ذلك بالامس، لست ادري. تلقيت برقية من الملجأ تقول : « ماتت الام . الجنازة غدا . المخلص ». وهذا لا يعني شيئا . قد يكون ذلك بالامس .

وكما قال لي البواب : « الجو حار في السهل . لهذا ندفنهم بسرعة ، خاصة هنا » . اخبرني انه من باريس، وانه قد وجد صعوبة في التعود على الجو هنا . في باريس يمكن أن تبقى الجثة يومين واحيانا ثلاثة أيام . ولكن هنا لا وقت لذلك . ولا تعتاد على حقيقةموتهم الا بعد ان تبدأ في الجري خلف النعش .

غير أن العملية كانت تجري بسرعة كذلك ، والشمس تستطع في حرارة مثل المارد العظيم . وكما قالت الممرضة المساعدة بحق : « ان سرت في بطء شديد ، فستتعرض لضربة شمس، واذا سرت بسرعة عظيمة فسيفطيك العرق وتنتابك الرعشة في الكنيسة » . كانت على حق . لم يكن هناك مفر .

أسر مساعد الحانوتي شيئا لي لم اتبينه جيدا . كان يرفع قبعته عن رأسه من وقت لاخر ويستخدم منديله ليمسح رأسه . قلت له :

ـ ماذا ؟ فرد وهو يشير الى السماء : « الجو حار » . فقلت: « أجل » .

ـ أهي امك ؟

ـ اجل .

ـ اكانت كبيرة في السن ؟

فاجبت حيث اني لم اكن اعرف بالضبط : تقريبا .

فصمت محدثي .

ديسمبر

فاوست معكوسا : الشاب يطلب من الشيطان مطايب الدنيا. والشيطان (الذي يرتدي معطفا رياضيا ويحب أن يقول أن عدم الاكتراث هو الامتحان الاعظم للذكاء) يرد في لطف : « ولكنك تملك مطايب هذه الدنيا فعلا . ينبغي عليك أن تطلب من الله ما تفتقده ـ اذا كنت تعتقد انك تفتقد شيئا بالمرة . لك أن تعقد صفقة مع الله، فتبيعه جسدك مقابل مطايب العالم الاخر » .

بعد فترة صمت ، يشعل الشيطان سيكارة انجليزية ويقول : « وسيكون هذا عقابك الابدي » .

بيتر وولف : يهرب من معسكر اعتقال ، يقتل الحراس ويصل الى الحدود . يطلب اللجوء في براغ ، حيث يحاول ان يبدأ حياته ثانية . وبعد اتفاقية ميونخ تسلمه حكومة براغ الى النازيين. يحكمون عليه بالاعدام ، وينفذون الحكم بعد ساعات قليلة بالبلطه .

حول العبث :

هناك حالة واحدة يكون الياس فيها خالصا : حالة الانسان المحكوم عليه بالاعدام (هل لي أن أستخدم تصويراً قصيرا ؟) الانسان الذي يلقى به الحب الى احضان الياس حين يسالونه أن كان يحب ان يموت بالمقصلة في اليوم التالي ويرفض . امن اجل فظاعة العقاب ؟ اجل . ولكن في الحالة السابقة ، تنبع الفظاعة من اليقين التام لما سيحدث ـ او بالاحرى من العنصر الحسابي الذي يخلق ذلك اليقين . وهنا ، يكون العبث واضحا اشد الوضوح . انه عكس اللاعقلاني . انه الحقيقة الواضحة البسيطة . اللاعقلاني وما يمكن ان يكون لاعقلانيا هو الامل الطائر الذي يقارب الموت ، وادراك انه كل شيء مآله التوقف وأن هذا الموت يمكن تجنبه . ولكن هذا ليس هو العبث. وحقيقة الامر هو انهم سيجزون راسه في الوقت الذي يعرف ما سيحدث ، في نفس اللحظة التي يتركز فيها تفكيره كله في حقيقة أن راسه ستقطع .

كيريلوف على حق . الانتحار اثبات لحرية المرء . وهناك حل بسيط لمشكلة الحرية . الانسان يتوهم أنه حر ، ولكن حين يحكم عليه بالاعدام يفقد هذا الوهم . وتتركز المشكلة كلها في مدى حقيقته في المقام الاول .

مارس

ذات مرة ، في هذه المقصورة الدافئة حسنة الاضاءة فيالدرجة الاولى ، اغلقت الباب خلفي وانزلت كل الاعراش . وبينما انا اجلس في هذا السكون العجيب الذي استقبلني فجاة ، شعرت كان حملا ثقيلا انزاح فجاة من على كتفي . وتحررت من كل أيامي الخانقة التي عشتها حتى ذلك اليوم . ومن المجهود المتطلب للتحكم في حياتي، ومن ضجة صعوبات كثيرة . كل شيء كان ساكنا . كانت العربة تنجر في لطف . ومع انه كان ما يزال بامكاني سماع صوت المطر على النوافذ ، فقد بدا كانه يشكل جزءا من السكون . ليس علي ان افكر طيلة الايام القليلة القادمة ، بل ارتحل . لقد اصبحت سجين الجداول والفنادق والمهام الانسانية التي تنتظرني . والان وقد توقفت عن ان اكون ملك ذاتي ، احرزت التمالك الذاتي الحقيقي . واغلقت عيني في نشوة للهدوء الذي صاحب الكون الهادىء وقد تحرر من الطغيان ومن الحب ، والذي ولد حالا خارج ذاتي .

وهران : خليج « مرسى الكبير » فوق حديقة الجيرانيوم واشجار « الفرازية » الحمراء الصغيرة . يوم مشمس غائم ، لكن يتخلله جو لطيف . بلد في وفاق مع نفسه . تكفي ثغرة طويلة بين السحب لتعيد الهدوء الى القلوب المحملة بالهموم .

القاهرة

ترجمة : ماهر البطوطي

المدينة الضائعة

سأظل ابحث فيك عنك
وفي الوجوه عن الوجوه
وفي العيون عن العيون
وفي الاكف عن الاكف
أين التي شحنت عروقي باللظى
بالكحل والبارود ..
أجرت في دمائي كل أحقادي وعنفي
مرت جحافلهم عليها ..
لم تلن عزماتها .. لم تدر ما طعم المهانة
ما ارتمت في الليل من رعب وخوف
كل المدائن من جدائلها تساق
الى فراش الفاتحين سبية
الاك زدت تمردا وعلو انف
ما زلت أبحث عنك
أسأل عابري الطرقات ..
والتجار .. والسياح ..
والرمل الذي يبدي ويخفي
ضيعت كل مواسمي في البحث والتسآل
ضاع القمح والزيتون ..
ضاع البرتقال ..
شتاي ضاع وضاع صيفي .

***

قالوا الطريق اليك عبر الشوك
فانتجعت خطاي الشوك
قالوا النار .. خضت وكيف اغفي
لو كنت لي لشمخت ..
واحتضنت يداي مدى التخوم
رفعت هامي للنجوم
هززت عطفي
لو لم يكن شعبي المصفد
في حديد الخائنين
عن السلاح .. عن الكفاح
عن الطريق اليك منفي
ما خفت من لسع السياط
ومن صرير القيد في القدمين
يكفي ما خفضت الراس يكفي
بشراك القيت الخطى فوق الطريق
اخضوضري يا كل اعوامي الجديبة
يا دموع القهر جفي
عيناك تدعوني .. اغذ السير فوق الصخر
اقرى الصخر من لحمي الممزق
من دمي أسقيه
الفـي
كل الذئاب الجائعات تجمعت حولي
تحد الناب
تشحذ سم اظفار
تزوم .. تروم حتفي
ملأت خياشمها دماى
تسيل من كل الجراح الراعفات
فأقبلت .. لكنني لم ارتعد
وسللت سيفي
لي اخوة سأشق دربهم
سأهديهم طريق مدينة الابطال
أسمع من هنا وقع الخطى
ينداح خلفي
من كل فج في المتاه الرحب
من ليل الضياع على وجوه الناس
من خيم البلى من كل كهف
يا هذه الاشتات من شعبي
ارادوا الموت واخترت الحياه
فجالديهم .. خوضي نهر الدماء ولا تكفي

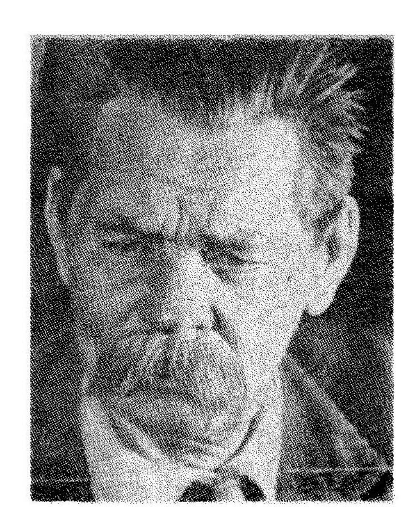
***

الويل يا ذؤبان لن تهدوا الجوارح جيفتي
فالسيف ملء يدي
والفجر المخضب ملك كفي
سأظل ازحف لو قتيلا
لو دما .. لو كوم اشلاء سأزحف
لن اموت ولن يعيق الليل زحفي
لي من لقائك يا مدينة
من لقا عينيك .. من لقيا الاحبة فيك
من لقيا ترابك
كل مـا يبري ويشفي

غزة — **عبد الكريم السبعاوي**

« الأمّ » بين قصص غوركي

بقلم أحمد محمد عطية



« لقد أثبت جوركي كيف اشتد التوتر عند الجماهير وعند ملايين الافراد ، حتى أصبح أمرا ليس الى احتماله من سبيل. وفي روايته « الام » - وهي أعظم مؤلفاته - نستطيع أن نرى أكثر الناس بساطة من الفلاحين والعمال والجهلاء والاميين ، يجمعون ويبذلون تضحيات لا حصر لها قبل أن ينطلقوا كالعاصفة ... »

« ستيفان زفايج »

لا يعتبر البعض رواية جوركي الشهيرة « الام » عملا روائيا فنيا، وانما هي في نظرهم شيء مذهبي أشبه بمجموعة صرخات أو خطب دعائية ، بينما يعدها المؤمنون بالتزام الاديب ، خير مثال لما يجب أن يكون عليه الادب في سبيل المجتمع ، وقد خبر جوركي الحياة الروسية، أو على الاصح قاع الحياة الروسية ، كما يحلو للبعض أن يسمي حياة العمال والفلاحين في مجتمع تحكمه الرجعية ، مجتمع ما قبل الثورة ..

وجوركي ليس كاتبا رومانسيا ، ربما كانت شطحاته الاولى وهو لم يزل يحبو في عالم الادب أقرب للرومانسية . فجوركي عاش الواقع وعاناه ، لذا فهو يرسم صورة دقيقة للواقع الروسي بأدق تفاصيله، وقد بلا الحياة في روسيا القيصرية ، وآمن بعد طول تقلب في الافكار والمبادىء ، أن الاشتراكية هي الحل الحتمي والطبيعي الوحيد لتقدم الشعب الروسي ونيله حقوقه . وأن دور الاديب الثوري هو أن يضع هذه القضية نصب عينيه ، وأن يظل في ثورة دائمة ، مهما تراخت عزيمة الجماهير ، ومهما قويت قبضة الرجعية ، لقد وصل مع غيره من مثقفي روسيا الثوريين الى اقتناع كامل بأن حكم القيصرية انما هو حكم ضد الشعب ، وأن الشعب يجب أن يتولى زمام أمره ، وليس هناك طريق اخر غير الاعداد لليوم الذي يطوحون فيه بحكم القيصرية الظالم ، ولهذا فان واقعية جوركي شيء جديد على الواقعية في الادب العالمي .. فقد اعتاد الكتاب الواقعيون قبل جوركي وبعده أن يقفوا في مواجهة الرومانتيكية، وينقلوا لجماهير القراء صورا طبيعية لما يحدث في الحياة، صورا وردية ، وصور سوداء .. ولا شيء أكثر ، لان قضايا شعوبهم لم تتمثل أمامهم ممكنة الحل ، ان جوركي أديب منظم بحق ، وهو واقعي لانه ابن الحياة حقا ، فقد عاشها طولا وعرضا ، وهو اشتراكي يؤمن بالحل الاشتراكي لمأساة شعبه ، ويؤمن بدور الادب الهام في انارة الطريق امام الجماهير ، انارته بالصورة الواقعية وبالهدف المأمول . وفي ضوء هذه الخطوط الرئيسية لادب جوركي ، تدلنا روايته « الام » على صدى التزامه بها ...

كتب جوركي هذه الرواية في أعقاب ثورة الشعب الروسي سنة ١٩٠٥ التي انتكست كمثيلتها ثورة سنة ١٩١٩ في مصر ، مع اختلاف الاسباب والاهداف ، واذ تنتكس الثورة تسري الروح الانهزامية بين الناس ، وتمتلىء نفوسهم باليأس في امكانياتهم وقدرتهم على القيام بثورة جديدة ، بينما تنهال الرجعية في محاولات يائسة للقضاء على فلول الثورة المنهزمة مستغلة كل ما تملكه من أجهزة لارهاب الشعب ولتثبيط همته .

وقد كتب هذه الرواية في اميركا ، بعد فراره خلسة عبر الحدود الفنلندية . في سنة ١٩٠٦ بالضبط نشرت « الام » مسلسلة لاول مرة، على صفحات صحيفة امريكية ، ثم جمعت في كتاب صدر في نيويورك ولندن ، وسرعان ما تلقفتها الصحافة الالمانية والفرنسية والايطالية، الثورية ، وطبعتها في ملاحق مستقلة بملايين النسخ . ولكنها لم تنشر في روسيا الا في عام ١٩٠٧ ، حيث نشر الجزء الاول منها وصادرته الرقابة القيصرية ، وقالت عنها الرقابة في تقريرها « أنها تحث على ارتكاب جرائم شنيعة ، وتؤلب العمال على الطبقات الحاكمة ، وتدعو الى الفتنة والعصيان . » ، وكانت مصادرة الرواية ايذانا بنشرها كلها وتوزيعها سرا . فسرت روحها بين الشعب الروسي مسرى النار في الهشيم .

وفي رواية « الام » صور غوركي أجهزة الارهاب المتشعبة التي تملكها القيصرية ، ولكنه أوضح أيضا مدى صلابة المناضلين الثوريين في مواجهة هذه الاجهزة المتعددة القوية ، وان كل ضحية تسقط ، تزيد من التهاب حماس الجماهير للثورة . ان « بافل فلاسوف » عامل بسيط جاهل، كاد ينقاد الى الهوة التي تبتلع الشباب الروسي في سن المراهقة، الخمر والانحلال ... ولكن حنان امه « بيلاجيا نيلوفنا » ، يعيده الى صوابه فيختار طريق الثورة ، واذ اختار هذا الطريق بدأ « يتخلى عن الالفاظ الجافة التي كان يستعملها في الماضي .. فهو لا يتأنق في ثيابه ، انما يهتم أكثر فأكثر بنظافة جسمه وهندامه ، وأصبحت حركاته أكثر جدية، وسلوكه أبسط وأقل غلظة ، وتغيرت أخلاقه نحو أمه ، فكان ينظف الارض في بعض الاحيان ، وينظم سريره ايام الاحاد، ويحاول بكافة السبل أن يساعدها في أعمالها .. » ، وهذه اخلاق الثوري كما يراها جوركي، والناس يعيشون في رواية « الام » كما في سائر قصصه ، كما في الحياة ذاتها ، يبصقون ، ويسبون ، ويضربون بلا رحمة . وهو يرجع قسوتهم الى قسوة حياتهم ... قال بافل لامه « فكري في الحياة التي نعيشها. ها أنت بلغت الاربعين من عمرك ، فما الذي عرفته ؟ ، كان أبي يضربك ، وأنا أدرك الان انه كان ينفس عن متاعبه فيك ، كل مرارة حياته . كان هناك ما يضغط عليه ويرهقه باستمرار دون أن يدري من أين يأتي، لقد كان يعمل كالعبد طوال ثلاثين عاما - بدأ يعمل والمصنع عمارتان ، اما الان فيتكون المصنع من سبع عمارات » . وتتردد في سطور الرواية عبارة « ان الخوف هو الذي يدمرنا ، ورؤساؤنا يستغلون خوفنا ، فيستمرون في استعبادنا » . كلها عبارات تستنكر الخوف ، وتستبعده من ثنايا المعركة .

ولكن واقعية جوركي فيها اختلاط بالرومانسية ، انظر الى تلك الفتاة « ناتاشا » ، انها ليست من الحضيض الروسي ، ولا تقاسي - بحكم وضعها الطبقي - من مظالم المجتمع الروسي ، بل هي بانتمائها الى طبقتها ألد اعداء الثورة والعاملين من أجلها، فابوها رأسمالي يمتلك أسهما في مصانع الحديد ، وعقارات عديدة ، وكانت تعيش لذلك حياة

هانئة تجد كل ما تطلبه وتشتهيه ، ولكنها مع كل هذا ، تركت هذه الحياة الهنيئة السهلة ، وراحت تسير عشرات الكيلومترات على قدميها لتشارك في الاعداد للثورة ضد النظام القائم ، نظام ابيها . انه اواقعيا وماديا عدوة الثورة ، ولكنها تؤمن بفكرة الثورة رومانسيا ، تؤمن بحق هؤلاء الجياع في الطعام والحياة المتكافئة ، انها تشعر بطيبة الكادحين الفقراء ، ان حياتهم صعبة والفاظهم كذلك ، لكن قلوبهم طيبة ، لا يعرفون نفاق البورجوازية . و ((ساشا)) ابنة احد الاقطاعيين كبار ملاك الاراضي ، انها تترك اباها وطبقتها ، وتشارك العمال حياتهم المتقشفة وثورتهم ...

والحب بين الفتى الاوكراني ((اندري)) و ((نتاشا)) ، وبين ((بافل)) و ((ساشا)) حب عجيب ، يستنكره الجميع ، حتى المحبون انفسهم ، انهم لا يعترفون الا بحب واحد ، حب القضية . ولا يجب ان يقف اي حب فردي في طريق حب المجموع وخيره . فتقول الام ((ان حبنا النسوي ليس حبا نقيا انا نحب ما نحتاجه لانفسنا .. ! كل هؤلاء الناس يتألمون من اجل الاخرين الذاهبين الى السجن والى سيبيريا ، ويموتون . وفتيات صغيرات يمشين في الليل بعيدا جدا ، عبر الوحل ، عبر المطر والثلج . سبعة فراسخ من المدينة لبيتنا .. من يدفعهم الى ذلك ؟ ولماذا يفعلونه ؟ لان لديهم حبا عظيما نقيا ، ولان لديهم الايمان ، الايمان العميق ... وهذا الحب القوي يجعلهم يشعرون بان فترات السجن ليست سوى ((اجازات دورية اجبارية)) للاستجمام والدراسة . والايمان بقدرة الانسان وتحكمه في مستقبله عند غوركي تدلنا عليه هذه العبارة ((ان الافا من الناس تستطيع ان تعيش افضل مما تعيش لو ارادت هي ذلك . ولكنها تستمر في العيش كالوحوش ، لا بل انها لتظن ان تلك حقا معيشة رائعة . اليوم يعمل المرء ويأكل ، وغدا يعمل ويأكل ، وتمضي كل ايام حياته ، وهو يعمل ويأكل فقط . ما الذي يثير الاعجاب في هذا ؟ انه ينجب بين الحين والحين اطفالا يسلونه حتى يبدأون في طلب الكثير من الطعام ، وعندئذ يغضب فيلعنهم قائلا : ((عجلوا واكبروا ايها الاطفال لقد حان الوقت لان تعملوا)) . ويود لو ان يقلب اطفاله الى حيوانات اليفة ، ولكنهم يبدأون في العمل من اجل بطونهم ماطين حياتهم كقطعة من الكعك . ان الناس الوحيدين الجديرين بلقب ((انسان)) هم الذين يكرسون حياتهم من اجل تحرير عقل الانسان)) (1) .

وقد ظلت عقد غوركي من الفلاحين الروس تطارده . ففي شبابه طرد مع فلاح ثوري (روماس) من احدى القرى لعدم اقتناع الفلاحين بمبادئهما الثورية ، وقد ظل يردد ان الفلاحين يتمسكون بالقيصر اكثر من اي طبقة اخرى ، لانه حررهم من ربقة النبلاء الروس . وفي ((الام)) لم تحرز الدعوة نجاحا يذكر بين الفلاحين بالقياس الى ثورية اهل المدينة .

والثوري يقدر واقعيته في ((الام)) ، الا انه لا يكترث لاشياء مادية كثيرة ، النقود مثلا لا تهم ، الطعام ، الملابس ... كل هذه امور مادية تترفع عنها شخصيات غوركي برومانسية . حتى الام نفسها بدأت تتغير بفعل تلك الافكار فتتعلم القراءة والكتابة وتشارك في الاعداد للثورة ، وتدوس كثيرا على عواطفها نحو ابنها في سبيل الانسان .

وابرز ما في الرواية ، الاصرار ، اصرار الانسان على العمل في دأب من اجل المستقبل ، كما ان غوركي يحارب جهاز القضاء الذي يتولى عادة محاكمة المناضلين ، لقد حول غوركي قاعة المحكمة من محاكمة القضاء للمناضلين ، الى محاكمة المناضلين للقضاء ، وللنظام القيصري باكمله .

وكل شخصيات غوركي في روايته ((الام)) شخصيات راسخة تعرف طريقها تماما وتسير فيه بلا تردد ، ولا يثنيها شيء عن عزمها . انها شخصيات تعيش في الواقع حقا ، ولكنها تؤمن بفكرة عليا ، فكرة رومانسية ، من اجل الانسان الروسي ككل ، انها شخصيات تضحي بحريتها وبامنها وبارواحها في سبيل مثل اعلى .

***

وما ابعد الفارق بين ((الام)) وقصص غوركي الثلاث الاولى (1) ((ستة وعشرون رجلا وفتاة)) و ((ايزرجيل العجوز)) و ((تشيلكاش)) . ان ((الام)) رواية ناضجة ، لكاتب واع ، يعرف هدفه بالضبط ، ويسير اليه . اما قصصه الثلاث الطويلة سالفة الذكر ، فهي قصص من واقع تجاربه ، من واقع حياته في المخبز ، وعلى ضفاف الفولغا ، وبين الحمالين واللصوص . ولكنها لا تضم الهدف ، فقصته ((ستة وعشرون رجلا وفتاة)) قصة صارخة ساخطة على الظلم الذي يحكم به الانسان على اخيه الانسان من جراء النظام الرأسمالي . انها تصور العمل الشاق في المخبز ، كالسجناء في السجن يعملون ليل نهار بلا انقطاع ، في جو حار خانق تنعدم فيه التهوية ، يعجنون ويخبزون الخبز الابيض ، ويأكلون هم الخبز الاسود ، ولا يعرفون للحم طعما غير ما ينعم به عليهم صاحب المخبز ((ونحن نعجن الدقيق ، ونصنع الكعك اليابس المملح المعجون بعرق اجسادنا ، ونكره عملنا كرها ضاريا ، غير آكلين قط مما عملت ايدينا ، مؤثرين الخبز الاسود على الكعك المملح .)) يعملون كالحيوانات اربع عشرة ساعة ، كما عمل غوركي من قبل في المخبز اربع عشرة ساعة في اليوم ، وينهارون نائمين بلا حركة الساعات المتبقية من اليوم . لا يتحدثون الا نادرا ، واغنياتهم كالعويل ، صرخات ألم ، تنفجر بها حناجرهم بين الفينة والاخرى . ورغم هذه الحياة الكئيبة القاتلة ، فانهم جميعا يحبون بقلوبهم الطيبة وبحنانهم المخزون ، فتاة صغيرة خادمة في السادسة عشرة من عمرها ، يقدمون لها جميعا الكعك والخبز الابيض عن طيب خاطر ودون ما مقابل سوى الابتسامة البريئة ، والابتسامة .. كم يحتاجونها ، ويشترونها ، يشترون سعادتهم ، بابتسامة هذه الفتاة الصغيرة ، لم يمسوها بأي اذى ، لم يخدشوا حياءها باية كلمة جارحة ، ولكنها خيبت امالهم ووقعت في الرذيلة ، فبصقوا في وجهها ... وعادت حياتهم الكئيبة اكثر كآبة بدون هذه الابتسامة البريئة .

بينما ((ايزرجيل العجوز)) ، قصة اسطورية . انها حياته بين الحمالين البحارة ، على ضفاف الفولغا ، على صفحاته . لكنها خرافية ، رومانسية ، لا تمت للواقع بصلة ، الا بافاصيص جدته التي حكاها لهؤلاء الحمالين والبحارة . انها قصة تحلق في سماء خيالية بعيدة عن الارض الروسية التي يضج سكانها بالشكوى من مر الحياة وقسوتها .

اما ((تشيلكاش)) ، فهي اول قصة طويلة كتبها غوركي بعد مطالبة الاديب الروسي ((فلاديمير كورولنكو)) له بان يكتب قصة طويلة بدلا من قصصه القصيرة المتسرعة التي غمرت الصحف الروسية آنئذ . وذكر غوركي انه كتب هذه القصة في يومين . ولا عجب ، فغوركي كان غزير الانتاج . ان ((تشيلكاش)) هو احد لصوص البحر ، الذين خالطهم غوركي صبيا ، بل شاركهم سطواتهم ... وتشيلكاش يسرق لكي يعيش ، ولانه ليس من المعقول ان يفني قواه مع عمال البحر ، كما فعل غوركي في شبابه ، ويحمل البضائع الثقيلة ، ويقابل الجليد والامطار والعواصف ، مقابل بضعة كوبيكات لا تكفي طعامه . ولكن تشيلكاش يعيش في داخله انسان شريف ، يرنو الى الارض الطيبة ، ويأمل ان يمتلك قطعة ارض في قريته ، يعيش من اجلها ويموت عليها ، ولهذا فقد ضحى بكل ما سرقه عن طيب خاطر لـ ((جافريلا)) المواطن الشريف الذي غرر به تشيلكاش ، واشركه في احدى سرقاته . لقد اعطاه كل مال الشركة ، رغم ان هذا حاول قتله ، اعطاه المال لانه قرر ان يعيش في القرية ويشتري ارضا ، ويتزوج . كم هي طيبة شخصيات غوركي الكادحة !!

***

و ((فوما غوردييف)) (١٨٩٩) روايته الطويلة ، تصور حياة التجار ، الطبقة الجديدة الناشئة من بين العمال والفلاحين ، والتي كونت

---

(1) ظهرت لرواية ((الام)) ترجمات عربية كثيرة ، اخصبها ترجمة دار اليقظة العربية بسوريا ، وترجمة مازن اللحسيني واسماعيل عبد الرحمن ، واليهما نرجع بعض العبارات المستشهد بها في هذه الصفحات ، مع المقارنة بالترجمة الانجليزية للاصل الروسي .

(1) صدرت ترجمة عربية لهذه القصص الثلاث بقلم الكاتب اللبناني منير البعلبكي .

ثرواتها من السرقة والنهب والنصب ، ولما نالت حظها من الثروة ، تقمصتها روح البورجوازية ، انها طبقة معلقة ، طبقة جديدة ، تتبرأ من اصلها وتحاول بشتى الطرق ان تكون بورجوازية متوسطة . في هذه الرواية يشرح غوركي البورجوازية ، المتوسطة ، نشأتها ، وانتهازيتها ، وحياتها ككل .

« فوما » ابن لاحد هؤلاء التجار « جورديف » الذين كونوا ثرواتهم من اعمال لا يقرها الضمير ، فقد كان جورديف هذا مجرد عامل ينزح المياه من قاع الصنادل التي يمتلكها ثري روسي وكان يؤمن بان الشخص القوي هو الذي ينتصر على ضميره ، ويدوس عليه ليصل الى غايته ، انه شخص ميكيافيللي ، يصل الى غايته بشتى السبل ، ومهما تعارضت مع المثل والقيم والاخلاق النبيلة . وبهذا وصل بالعقل في سن الاربعين الى ما يبتغيه من رثاء وجاه ، « بغش الناس ، وخداعهم » . وقد انشأ جورديف ابنه فوما على الايمان بمبادئه الانتهازية ، واحتقار العمال ، والبعد عنهم ، لانه سيدهم ومالكهم . ان جورديف انسلخ من صفوف الطبقة العاملة وصار فوقها ، يمسك برقابها ، ويهلكها ليتزايد هو ثراء. واذا افاق « يفيم » احد عماله لينبه زملاءه الى هذه الحقيقة ، ان جورديف يسمن ويثري من مص دمائهم ، وانه مصاص دماء ، بخرسه جورديف بصفعاته . انها قصة تفضح انتهازية طبقة التجار ، الطبقة الخطرة الناشئة من تطور المجتمع الروسي من مجتمع اقطاعي الى مجتمع بورجوازي . وهذا شعار هذه الطبقة يذكره غوركي على لسان «جورديف» قائلا لابنه « فوما » (1) : « يجب ان تعرف متى تستشعر الرحمة ... واول ما يجب عمله ، هو ان تنظر الى الشخص وماذا ينطوي عليه ، وما قيمته ، فاذا وجدت انه قوي وغني ، فلا باس من ان تدركك الرحمة من اجله وان تبذل له المعونة والمساعدة ، اما اذا كان ضعيفا فابصق عليه وادر له ظهرك .. » ، وهكذا كانت تتعامل فئة التجار ، تلك الفئة الناشئة ، التي لا تؤمن الا بالحيل والالاعيب ، ولا تؤمن بالثقافة،فالكتب والتعليم للشحاذين فحسب .

وفي هذه الرواية قلق المثقفين في شخص « ليوبا » و «بيزهوف»، واحتقارهما للارستقراطيين ، فتقول ليوبا « اني لا يكاد يمر علي يوم حتى يتضح لي ان الحياة شيء شاق مرير . فانا مثلا ... ماذا يكون من امري ؟! اتزوج ؟! ومن ؟! تاجرا يقضي وقته كله في سرقة الناس ، وفي السكر ، وفي لعب الورق ؟ كلا .. ان هذا لن يكون ابدا ! » ان غوركي شخص قلق ايضا ، انه يعي تماما مساوىء الحياة الروسية ، ولكنه لم يعرف لها حلا حتى ذلك الوقت (عام ١٨٩٩) . لذا فانه يصرخ في هؤلاء التجار بلسان ليوبا ، محدثة فوما جورديف : « انا اكرهك .. اكرهك انت بالذات .. انت ؟ من انت ؟ ومن عسى ان تكون ؟ شخص خرع لا يعرف شيئا في الوجود . ما الدور الذي سوف تؤديه في هذه الحياة ؟ وماذا في وسعك ان تقدم من خير للاخرين ؟ » . كل شيء في نظر التجار يجب ان يؤدي الى الكسب المادي ، الى مزيد من الثراء ، حتى عندما ينبرع جورديف بخمسة وسبعين الف روبل من اجل الخير ، لانشاء ملجا للشحاذين والمتسولين ، انه يردد ان الكوبيك يعود اليه بروبل ، انها دعاية حقة ، نعود عليهم بالخير ، كل هذه التبرعات لتكوين رابطة بين التجار والادارة الحاكمة . والمديرون من هم ؟ انهم ملاك الاراضي المبذرون الذين لجاوا الى الوظيفة بعد بيعهم اراضيهم ... ان هذه التبرعات ليست الا من قبيل التطلع الى السلطة ، لتنال طبقة التجار الاثنين معا : « المال والسلطة » . ووسط هذه الدوامة من طمع التجار واحتقارهم للايدي العاملة ، تنطق «ليوبا» الفتاة المثقفة بافكار غوركي متغنية بحب الانسان ، مؤمنة بمستقبله ، منبهة الى الوضع الخاطىء للانسان الروسي في مجتمع القيصرية ، فتردد طوال الرواية : « اريد ان يحيا كل انسان سعيدا ... مستكفيا ... وان يكون الناس جميعا على قدم المساواة ... ان كل انسان يحتاج الى الحرية بقدر ما يحتاج الى الهواء ، ولا بد من المساواة في كل شيء » . وليوبا تؤمن بالكتب ، بينما التجار لا يؤمنون الا بالمال . وبيزهوف يظل يصرخ بضياع المثقفين في هذا المجتمع ، ويكتشف ان جمعيات الخير الاصلاحية المنتشرة في الروسيا ، ليست الا جمعيات « لقتل روح الانسان » وللدوس على كرامة الانسان « لقد سمموني باسم الشفقة الانسانية »» وكيف تكون القناعة في مثل هذا المجتمع الظالم ، « ان الشخص القانع بحاله ان هو الا خراج قتال في جسم المجتمع ... » وبيزهوف شمعة وسط ظلام القيصرية ودجل وانتهازية طبقة التجار ، الذين يجعلون روح المدينة كمستنقع مليء بالمياه الآسنة ، انه يؤمن بالمستقبل ، وبحتمية التطور الى حياة افضل ، حياة العمال والفلاحين . وها هو رأي «ليوبا» في « فوما » الابن الشرعي لطبقة التجار : « انت يا كاره البشر .. يا عدو الناس ! » .

واذا افاق « فوما جورديف » الى الحقيقة المرة مكتشفا ضياع الانسان الروسي العامل والفلاح « انكم بدلا من تحسين احوال العالم والارتقاء به قد انحططتم به فجعلتموه شراكا وحفرة. قذرة لصيد ضحاياكم . انكم قد تكونون رجال عمال .. الا ان كل ما فعلتموه هو جمع القاذورات والدنس ونشر النتن والروائح الخبيثة ! اليست لكم ضمائر ؟ الا اله لكم ؟ اجل ... ان الهكم المعبود هو الذهب ، اما ضمائركم فقد استبعدتموها ، فاين استبعدتموها يا مصاصي الدماء ؟ انكم انما تحيون على حساب غيركم من الناس ، وانتم انما تعملون بايد غيركم . وكم من الناس ذرفوا الدموع من اعينهم دماء بسبب اعمالكم العظيمة التي تتبجحون بها ! » ، واذ يفضح ابن التجار حقيقتهم بهذا الصراخ العظيم ، ينقضون عليه بوحشية ويكبلونه بالقيود ويتهمونه بالجنون ويرسلون به بالفعل الى مستشفى المجانين .

وقد اعدت هذه الرواية اعدادا مسرحيا وعرضت على مسرح موسكو في عام ١٩٠١ .

وقد اعجب « تشيخوف » ايما اعجاب بهذه الرواية ، وكتب اليه قائلا : « اطبع المزيد من الرواية ، لا اقل من خمسة الاف او ستة الاف ، انها ستباع كلقمة العيش . وبوسعك ان تطبع الطبعة الاولى والثانية معا » . وبلغ نجاحها شأوا عظيما . وذكر غوركي(1) أنه اجتمع باكثر من عشرة من ابناء التجار ، اصبحوا غير راضين عن حياتهم وطبقتهم ومهنة آبائهم ، وانهم متألمون من رتابة الحياة وافتقارها الى اي معنى ، وقال غوركي تعليقا على ذلك أن بعضهم سيبدد ملله في الفسق والعربدة بينما سيصبح البعض الاخر « غربانا بيضا » مثل « سافا موزووف » الرأسمالي الذي يساعد جريدة الثورة « الاسكرا » بنشر اعلاناته على صفحاتها . والامر الغريب حقا ان غوركي ظل يردد كراهيته لهذه الرواية في جميع رسائله لتشيكوف : « لست براض عن نفسي لاني اعلم باني استطيع ان اكتب خيرا مما فعلت . ان قصة « فوما جورديف » من جميع الوجوه خطيئة فاحشة ارتكبتها ، وهذا ما يكدر صفوي » . (من رسالة الى تشيخوف في اول يوليو ١٨٩٩) (2) ، وكقوله في رسالة الى تشيخوف ايضا في يونيو ١٨٩٩ : « اني في حالة نفسية معينة ، ومتعب الى حد فظيع ، وبصورة عامة لست على ما يرام . لقد اصبح « فوما » بطل روايتي ضربا من التمساح ، حتى لقد رأيته ليلة الامس في الحلم : راقدا في الوحل يشد على اسنانه ويصرخ غاضبا : « ماذا تصنع بي ايها الشيطان ؟ ما اصنع ؟ ساهشم له وجهه . »

وعندما ذهب غوركي الى ايطاليا وعاش فيها ، لم يلفت نظره سوى العمال ، الكادحين . وهذا واضح في مجموعة قصصه القصيرة «حكايات من ايطاليا» .

ففي قصته « الاضراب » يحكي قصة اضراب سائقي ومحصلي الترام في نابلي ، وثورة الجماهير الغاضبة عليهم وتدخل البوليس لاعادة

---

(1) فوما جورديف — ترجمة فقيد الادب العربي دريني خشبة.

(1) On Literature - Selected articles - M. Gorky - p. 27-69 historicity

(2) بين غوركي وتشيخوف — دار اليقظة العربية — ترجمة جلال فاروق الشريف .

تسيير العربات ولكن المضربين القوا بانفسهم على قضيب الترام ، وتساقطت بجانبهم الجماهير تمنحهم تأييدها ، ان الجماهير الفاضبة اصبحت تتساقط بمرح لتشد ازر المضربين ، واذ لم يتمكن الجنود من اعادة تسيير الترام فوق الاجساد البشرية ، ونجح الاضراب ، عادت الحياة الى مجاريها ودارت عجلات الترام .

وقصته ((اطفال بارما)) امتداد ايضا لفكرة الايمان بالاضراب . ان عمال بلدة ((بارما)) مضربون ، وقد طال اضرابهم دون ان يرضخ اصحاب الاعمال لمطالبهم . واذ امتد بهم وقت الجوع حتى اصبح يخشى على حياة اطفالهم الابرياء فقد ارسلوا بهم في قطار الى ميناء ((جنوة))، وحيث يطل تمثال ((كولمبس)) مكتشف العالم الجديد ، على الجماهير المتلهفة لتلقي الاطفال . وقف القطار ، وتخاطف المنتظرون الاطفال بحب ومرح ، وارتفعت صيحات الايمان بالمستقبل ، ((تحيا ايطاليا)) ، ((يحيا غاريبالدي)) ، ((يحيا ابطال بارما)) . انها لمسة انسانية ، بقدر ما هي دافع قوي للجماهير المتطلعة الى مستقبل افضل ...

ويتضح من هاتين القصتين مدى حب غوركي للشعب الايطالي ، وايمانه بنضاله وبروحه المرحة ...

وقصته بعنوان ((ازهار)) ، لوحه تصويرية رائعة تمثل الحياة على الشاطىء الايطالي ، واني اميل لتسميتها لوحة اكثر منها قصة قصيرة لعدم استيفائها شروط وشكل وبناء القصة القصيرة .

اما قصته ((النفق)) فليس بها اي أثر لايطاليا ، انها قصة انسانية حقا يمكن ان تحدث في كل مكان من أرضنا ، قصة تشيد بقدرة الانسان، وسطوته على الطبيعة ، قصة العمال الكادحين الذين آمنوا بقدرتهم البشرية ، فراحوا ينحتون الجبل ، غير آبهين لصخوره ، او للخرافات التي يشيعها جيل آبائهم واجدادهم عن العالم السفلي .

انها قصة متسقة مع الخط الادبي والفلسفي لمكسيم غوركي .

***

اما قصته الطويلة ((مخلوقات كانت بشرا)) فهي قصة المشردين التعساء الذين كانت تعج بهم الروسيا ، والذين كان غوركي نفسه واحدا منهم ، وقد حكم حياتهم وصورها فعلا كفرد عاش حياتهم ، فبين مدى الفاقة التي تطبع حياتهم بطابع الحرمان من كل شيء ، حتى من ادميتهم، وهذا واضح من اصراره على اطلاق اسم ((مخلوقات كانت بشرا)) عليهم، وهم رغم كل بؤسهم وحرمانهم من ابسط مظاهر الحياة الادمية ، من المأوى والمأكل .. ورغم كل ذلك يعيشون ليومهم بلا هموم ولا مشاكل معقدة .. وقد كان المشردون اولى الفئات التي لعبت دورا اساسيا وصارت محورا هاما تدور حوله كتابات غوركي الاولى ...

وقد حلل غوركي الاسباب الدفينة الدافعة الى قسوة الحياة الزوجية في القصة الطويلة ((الزوجان اورلوف)) ، اورولوف الاسكافي البسيط الذي تقاسمه زوجته ((ماترينه)) شظف العيش في قبو تنعدم فيه التهوية وتفوح فيه رياح العفونة والقذارة . انهما يتبادلان الحب ، ورغم ذلك فانه لا يكف عن ضربها بعنف ، وهي ايضا تزيد من حدته وتعانده ، فتستفزه ليعاود ضربها ، ثم يعود قلبه الطيب فيقبلها في ود وحب .. وقد أوضح غوركي بصراحة ان مرجع هذه القسوة ، انما هو عائد الى قسوة الحياة ذاتها ، الى العذاب الذي يعانيه اورولوف في سبيل اعالة زوجته .. الى انعدام اي هدف مشترك ، الى الحياة القذرة البائسة الفارغة التي يعيشانها .

ولكن الكوليرا التي تحمل الموت الى الناس في روسيا ، تحمل معها العمل والنظافة للزوجين في مصحة ، يصارعان فيها الكوليرا وينتزعان الحياة من براثنها المحكمة على ارواح المرضى .

ان النقود والنظافة والاكل الجيد أوجدت لهما هدفا أفضل في الحياة . لذا فقد كفت الحياة الزوجية عن قسوتها ، وامتنع الزوج عن ضرب زوجته ، واصبح لكل منهما عمل بعيد عن الاخر ـ رغم وحدة المكان ـ الا ان ضميره مستيقظ . انه يربح من موت الاخرين ، انه يفقد في كل يوم صديقا له بين يديه ، انه يود لو كانت الكوليرا رجلا فيقتلها ، مع يقينه بان في ذلك القضاء على مصدر الرزق الوفير نسبيا بالنسبة الى حياته المعدمة السالفة ، ان ضميره يعذبه ، والموت يخطف من بين يديه اصدقاءه ومعارفه ، وعادت الخمر تسلبه وعيه ، وعاد يضرب زوجته، ولكنها اصبحت انسانا اخر ، انسان كادح له حقوق ، ويابى المذلة والاهانة والضرب ، لذا فقد افترق الزوجان ، كل في طريقه . لقد عرف غوركي بحق مصدر الشقاء الانساني ، في عذاب الحياة وبؤسها .

***

آمن غوركي بالاشتراكية لخير الانسانية ، لا لقيدها ، وهاجم رجال الدين ، تجار الدين من اجل الدين ، وحبا في الله وفي الشعب ، وكان هذا الايمان المطلق بالله وبالشعب ، هو مصدر قلق لحفظة النصوص الاشتراكية وعبدة الاوثان ... وايمان غوركي بالله بوجوده وقدرته وتجرده ، واضح في كل كتاباته ، ولعل افاصيص جدته الدينية وتراتيلها، حفرت في اعماقه وقلبه هذا الايمان بلا مزعزع له . ان غوركي يعرف ان الله خلق الانسان وترك له ارادته ليختار الخير والشر ، وان الشر والشيطان موجودان في نفوس البشر المستغلين والمسيطرين ، ورجال الدين هم الذين يستغلون الدين استغلالا سيئا ببث تعاليم مفرضة بين صفوف الشعب لصالح الطبقات المستغلة ، التي يدخل بينها حتما كبار رجال الدين انفسهم ، بمصالحهم الطبقية . وفي روايته التي نقلها الى العربية اديب المهجر ((نظير زينون)) بعنوان ((اين الله ، او اعترافات ابن الشعب)) (1) يقول على لسان ((لاريون)) : ((لا ينبغي ان تتكلم عن اعمال الشيطان وانما عن القسوة والعنف ، الخير والشر هما في طاقة البشر ، اذا اردتم الخير فارادتكم تأتي بالخير ، واذا شئتم الشر ، فمشيئتكم تنتج الشر ، الخير مصدره انتم ، والشر مصدره انتم ، وذلك لان الله لا يرغمكم على اقتراف الشر أو صنع الخير ، لقد خلقكم بارادته احرارا مستقلين ، واحرارا مستقلين تصنعون ما يحلو لكم ، اما الشيطان شيطانكم الذي تتحدثون عنه فهو البؤس ، نعم هو البؤس والجهل شيطانكم هو ظل الشريعة العاتية المستبدة في القلوب! ان الخير انساني، لان الانسانية مصدرها الله ، اما الشر فلا يأتي عن الشيطان ولكن عن الحيوانية ، اتعلمون لماذا يصورون الشيطان بقرنين ورجلي ماعز ؟ ذلك لانه مبدأ الحيوان في الرجل ! ...)) .

ورواية غوركي هذه تعد استعراضا لاراء فلسفية ، لتأملات داخلية، في الحياة وفي الخير والشر ، ان غوركي يغوص هنا في النفس محللا ، اكثر منه كاتبا روائيا يحكي قصة تخدم كل سطر فيها غايتها ، انه يعاود ما فعله الفيلسوف اليوناني العظيم ((سقراط)) عندما التقط الحكمة اليونانية ((اعرف نفسك بنفسك)) من على مدخل معبد دلفي ، ليتخذها محورا لفلسفته .

وها هو غوركي يبدي رأيه في رجال الدين على لسان ((لاريون)) :

(1) ((اين الله او اعترافات ابن الشعب)) ـ نشر دار اليقظة العربية بسوريا .

« .. ان الكاهن ورئيس الشرطة يستحقان الزج في السجن جزاء هذه الخديعة ، انهما لم يتورعا عن خدمة مصالحهما ونفوذهما تحت نقاب ديني ، وقاما يوطدان اركان الدين في قلوب البشر ارضاء للمنافع الشخصية ! .. »

وانه ليرى « ان الموت سر مجهول ايضا ، وانا ابحث عن حل اسرار الحياة » .

انه يتهم رجال الكنيسة باقتسام سرقة ونهب اراضي الفلاحين : « قال لي الكاهن : حموك وانت لصان خبيثان لقد سرقتما الكنيسة وانتزعتما منها « حقل الاجارو » مع ان هذه الارض تخص الابرشية على ما يعلم الجميع وقد عاقبكما الله عقابا شديدا وانزل بكما البلايا جزاء هذه السرقة . فرددت كيده الى نحره وقلت : هو ما تقول ، ولكن اذا كنا قد انتزعنا الحقل ظلما وعدوانا ، فانت قد سبقتنا الى السرقة ، كانت الارض ملكا للشعب ولكنك انت ضممتها الى الابرشية وغصبت حقوق الفلاحين ... » .

انها رواية اشبه برباعيات عمر الخيام ، كاعترافاته ، كخطياه ، كتوبته ...

« ان البشر يجزئون الله اجزاء مختلفة طبقا لحاجاتهم ، وميولهم. فالله عند البعض صالح كلي الرحمة ، وعند سواهم قاس وظالم ، اما الكهنة فقد جعلوا من الله خادما لهم ، واذا شكروا له ما منحهم من سعة العيش والرفاهية فبحرق البخور ، ولاريون وحده كان يرى في الله عظمة لا تحدها العقول ولا تدركها الاذهان ... » . وفي بحثه عن الطريق الى الله ، الى الخير والحق ، لجأ الى احد الاديرة ، فماذا وجد : « ... ورأيت ايضا ان ادارة الدير لا تختلف عن ادارة احدى المزارع او الاملاك ، رأيت في الدير كل انواع المتاجر ، فالحطب يباع والاراضي تؤجر ، والخراج يجبى على الصيد في البحيرة والفواكه والبقول تعرض للبيع ... الخ ، وكان في اصطبل الدير ثمانية عشر حصانا ، اما عدد الاخوة فيبلغ مائة وخمسين ، اغلبهم احداث ومجتهدون، اما الكهول فقليلون وهم كذر الرماد في عيون الزوار والحجاج ، وكان الرهبان يشربون المسكرات ويغازلون النساء ويلهون ، فالاحداث يتسللون ليلا من الدير الى القرية ، والطاعنون في السن يستقدمون الصبايا الى مخادعهم بحجة الغسيل ، ولا جدال ايضا في انهم يتمتعون ببعض الزائرات ... » .

في حياة غوركي شيئان اساسيان ، الناس والكتب ، فان حياته بين الناس في الحضيض ، ومطالعاته الواسعة للكتب هي التي جعلت منه ذلك الاديب العالمي ... وقد مرت في بداية حياته اوقات كان يقضي فيها الليل ساهرا حتى الصباح منكبا على القراءة في ضوء شمعة يتراقص بوهن ، ومع ذلك فلم يكن يقرأ سوى الروايات التافهة التي تغزو عالم الجنس ، بكل فخر وشوق . وقد أسف غوركي فيما بعد لهذه القراءات التافهة غير المنظمة ، ولعل هذا ما جعله يصور « فرانكا اوليسوفا » بطلة قصته الطويلة بهذه الصورة الصادقة ، التي صادفها في حياته عند زوجة الخياط الفاتنة التي اعارته تلك الروايات العاطفية الجنسية ، وعند سيدة راقية خلفتها في اعارته الكتب ، ابان عمله خادما في احد المنازل .

ان « فرانكا اوليسوفا » فتاة رائعة الجمال ، ابنة كولونيل، يمتلك مئات الافدنة من الاراضي افسدتها الروايات الفرنسية التي خلقت في مخيلتها صورا عجيبة للبطولة ، « ان المجرمين في الروايات هم الذين يلذون لي جدا ، اولئك الذين يحبكون بطريقة لبقة كل انواع شباك الغدر والوقيعة ، يقتلون ويدسون السم ، انهم اذكياء اقوياء..وعندما يقبض عليهم في النهاية يتملكني الغضب ، حتى ان الدموع تطفر احيانا من عيني . العالم كله يكره اللص ، العالم كله ضده ، وهو ضد الكل ! هاك بطلا ! اما الاخرون اصحاب الفضيلة ، فيصبحون مقتاء ساعة ينتصرون ... »

انها من النبيلات الروس الحق التي تتباهى بضرب خادمها العجوز بالسوط ، ولا نرى في ذلك الا عملا فاضلا ضروريا لحياته ، انها لتحتقر الفلاحين ، لانها تضيق بطلباتهم الكثيرة ، انها تحتقر الكتاب الروس لانهم يقولون الحقيقة ، وما حاجتها الى الحقيقة ، انها تريد ان تعيش في روايات تبعدها عن الحقيقة ، روايات غريبة ، بوليسية ، جنسية ، انها تريد ان ترى شواذ الناس ، انها لا تؤمن لا بالحب ولا بالخير .

وايبوليت الاستاذ الجامعي المثقف الثوري ، الذي يؤمن بنقيض ما تؤمن به فرانكا بحكم نشأتها الطبقية يحاول جاهدا ان يصل معها الى اسس للمناقشة الى الحقيقة ، بلا فائدة . انه يحاول ان يبين لها المسلمة بان الناس متساوون في الحقوق والواجبات ، ولكنها ترفضها بعنجهية ارستقراطية « الموجيك (الفلاح الروسي) هو الذي يجب ان يعمل ، وانت عليك ان تعلم ، والحاكم عليه ان يراقب الناس ليرى ما اذا كان كل واحد منهم يقوم بما يتوجب عليه ... لقد قلت ان الصالح العام هو ان يتساوى الناس جميعا ، هذا غبن ! والدي الكولونيل،كيف يكون مساويا « لنيكون » الموجيك ؟! » (١) .

ويخيل لمن يطالع هذه السطور انها رواية نقدية خطابية . ولكن الحقيقة ان غوركي حاك هذه المناظرات الرائعة في ثوب ادبي بديع ، وفي وصف دقيق لحياة الارستقراطية « فرانكا » اشبه باهتمام « اميل زولا » و « انطون تشيخوف » بادق التفاصيل . ان الصنعة الروائية في هذه الرواية قد حيكت بفن عظيم . لقد شرح غوركي بفنه العظيم هذا ، الارستقراطية الروسية ، وبين مدى احتقارها للشعب ، لقد اغمس روح الفنان ليخرج عملا روائيا في صالح الثورة ، ولخير الشعب. ان فرانكا وايبوليت ، لم يلتقيا في نهاية الرواية ، رغم كل امكانيات اللقاء العاطفي ، ولكن غوركي بصدق الفنان رأى ان ذلك مستحيل .ان فرانكا ابنة مخلصة لطبقتها ، وللنظرة الطبقية الضيقة التي تتباهى بجلد الشعب واحتقاره . لقد حاول « ايبوليت » ان يخرجها من عالمها الضيق الضجر ، ولكنه اخفق ، لان غوركي اراد ذلك ، اراد ان يبين ان الارستقراطية الروسية ستظل بمنأى عن اية محاولة فكرية لاقناعها بالتنازل عن امتيازاتها . ان المستقبل بيد « ايبوليت » ، بيد الذين يؤمنون بالناس البسطاء ، بالمساواة ، والحرية ، والثورة كطريق لنيلها .

القاهرة **احمد محمد عطية**

(١) فرانكا اوليسوفا ــ ترجمة الاديب السوري : حنا مينه .

عظم الضاح

« لعبة ليلية ، من العاب الصباح في الريف العراقي

***

عبثا اذن كان انتظاري .
عبثا ، اذن ، كانت اناشيدي واشواق النهار
والليل ما اغمضت جفنا فيه .
لن اروي غليلي
مما يدثر نخلك الملتف من ماء تحدر في الاصيل
او راح يقطر كالدموع من الجراد .
واموت في عطشي المقيم ولن تبل شفاه قلبي
قطرات ماء منك ، تنضح كل آنية الفخار
عند الغروب ، فما لمائك لا يقبل كأس حبي
محبولة من لؤلؤ الشفق الفريد وما تناثر من محار
غاف على شط الطفولة ، جئت احملها اليك
النخل كان يهف والقمر الندي على الرمال
يلهو فنركض خلفه متعثرين .. فيا ليالي
عودي الي بما انتهبت ، فكل ما اهوى لديك
باق كما بالامس .. عظم الضاح يقذفه الصغار
متراكضين ويبحثون بلا كلال
عنه ، فمن يلقاه يلمع ؟
آه لو القاه لانهدم الجـــدار
ولشع في قلبي كما شع الشراع
ولعاد من جزر تطوقها الثلوج السندباد
ولاثمرت تينا وخوخا كالشموس الحمر صحراء الضياع
صحراء قلبي .. آه لانبثق الربيع من الرماد
ومن الجليد يلف ايامي ، والشواطيء والرمال
بحثا فهل القاه ؟
اترع كل اقداحي السهاد
وتهدلت عندي عرائشه .. فآه لو اراه
لو شع في ظلماء قلبي كالصباح
او ان برقا منه لاح
او أقمرت شطآن قلبي من جديد فالمياه
زرقاء او خضراء واشتعلت ضفاف من نباح
زرقاء او خضراء ..
يا قمر الضفاف الا تعود
واعود اركض خلف عظم الضاح استبق الرياح :
النخل بات يجوده طل ، يهف الى الصباح
النخل والماء المحمل بالوعود
يجري ولا يجري .. اتنضح كل آنية الفخار
واموت من عطشي ؟ اذن كان انتظاري
عبثا ، وكانت كل اشواق النهار
والليل وهو يمد في قلبي حدائق من سهاد
عبثا . ابقى خلف عظم الضاح ابحث في الوهاد
في المقمرات من الليالي ، والربى ..
كل الصغار
شابوا وما ابصرت عظم الضاح يلمع في انتظاري .

موسكو — **حسب الشيخ جعفر**

لحظة اللقاء

قصة بقلم عبد العزيز مصطفى

« مهداة الى ثورة اليمن »

***

رفعت عينيها الى النافذة فلم تر شيئا . كانت الظلمة لا تزال كهفا في بطن الجبل والتراب غبار يتساقط في سرعة سبق بها طرفة العين. حتى احتضن الظلام . وصارا معا ـ التراب والظلمة ـ شيئا واحدا يحجب الرؤية . خفضت عينيها بسرعة لتسكت لمحة خوف مسحت على صدرها باظافر وحشية . اطبقت الجفنين فللظلمة رهبة اعتادتها كلما فتحت عينيها مصادفة لكن الليلة ايقظها عواء كلب . أو لعله همس غير مفهوم نشأ في الحجرة الضيقة . وكلما اغمضت عينيها نازعتها نفسها ان ترنو الظلام وما ان فعلت حتى وهمها الخوف لكنها تحاملت وظلت رانية في موج من كثافة العتمة ، ربما كانت رغبة خانقة في الصمود للخوف وما لبثت الحجرة ان اتسعت. تهادت الجدران السوداء وتحولت الظلمة الى اجنحة تصطفق وانفتح الافق فبدا الفضاء لا تميزه علامة. وعندما ترددت دمعة كان صوت رفيق كالصرخة يجري في الفضاء ورقصت الظلمة فاشتعلت اجنحتها الخافقة وذلك الصوت الرفيع السريع يجري كالنصل الحاد في احشاء الظلام .

ومرة اخرى ترامى اليها عواء الكلب فائتنست به وساعدها صوته الجريح على أن تمد يدها فتحكم الغطاء حولها وتندس في الوسادة على خدها ضاغطة على عينيها مشفقة ان تتطلع مرة اخرى الى الظلام . الظلام اسرار وما ينبغي ان تقتحمه الا بدعوة.ليس من داع الى الخوف. تحسست الوسادة باصابع رقيقة ومسحت على وجنتيها وجست فمها . قطعة ناعمة متناسقة التكوين . ضغطت برأسها على الوسادة وركلت الهواء وفي بطء سحبت قدمها النافرة . احست بنحافتها ولين جسدها على الفراش الخشن وكانت انفاسها ورعشة اهدابها تشعرها بعامها السابع عشر . والانفاس من حولها همس ضائع . ابوها لا يكاد يعي مما حوله شيئا والصغير الحبيب كأنه ليس بأخيها . فهو صغير الى درجة انه لا يدرك هو الاخر مما حوله شيئا . لعل النجوم وحدها هي التي تدرك . ما هذه العباءة الصفراء الكالحة مع قشعريرة البرد في المساء ؟ وما هذا العراء في وهج الشمس اذا تقدم الصبح ومضى بطيئا متثاقلا يئن نهاره بجرح دفين ، وتضج طيوره بلغة غامضة . والعينان الواسعتان تدوران في الفضاء المضيء بالنهار وفي الظلمة العارية بالليل ولا تفهمان شيئا . كل ما فهمته أنها سمراء وأن شابا لمحها ذات يوم تسقي أغنام أبيها الهزيلة تحت نافذة الحجرة البليدة في فضاء المرعى الممتد حتى أبنية الطريق البعيد . وكان الوقت شتاء . والحوض يعكس ماؤه وسامتها الضامرة في رجرجته وقشاته الطافية . هنالك رمقها الشاب وكانت عباءته الفاقعة تتدلى من كتفيه فلا تخفي صلابة عوده وفتوته في عضلات وجهه وكثافة شاربه ونظرته الحادة . عينان بنيتان واسعتان لكنهما متعبتان . نظر اليها بقلق كمن يتوقع شرا أو يتربص الخطر ، وظل مسددا نحوها نظرة يزداد الخوف فيها . حتى خيل اليها أن الشاب يوشك من ألم . وهمت أن تجري قدماها . أشاحت بوجهها، ومن وقتها عرفت أنها حلوة . وأن المخدر الغريب علامة كالشرخ الذي يرتفع في وجهها كل صباح في جذع الشجرة الضخمة تحت الربوة. وكالحفر التي تصنعها أقدام الغنم ، وكالسحابة الصغيرة البيضاء الرانية المنعزلة في جنب الافق ، وكقدمي ضاهر الصغير ووجهها الاسمر المعطر تحت طأة الشمس في المرعى المتجهم وصرامة الرياح في الليل .

مرة اخرى غابتها قلق وعادة يلح عليها كلما استيقظت فمدت يدها مستجيبة لرغبة جامحة ولمست وجنتها وفمها وأرنبة أنفها . ليس من حزن ، فلم التساؤل كل ليلة عن البشرة وموقع القدم تحت الغطاء ؟ انها تستطيع ان تمسح باناملها على وجهها وأن تحيط جسدها النحيل ببطن يدها وأن تمد قدمها فتعري وتنسلخ من الغطاء او تنكمش حتى تضمر وتصغر وتنزوي كورقة صفراء متآكلة لا يهم ان يلعب بها الهواء أو تدوسها قدم عابرة بلامبالاة تستطيع أيضا ان تحدق في العتمة لكنها تصحت على نفسها فلا يكاد يجذبها الظلام حتى يثقل جفنها . تود أن تتخلص من انجذابها فتزداد التصاقا بغاشيته كأنها تعاند نفسها أو لا تدري بالضبط ماذا تريد . أبوها أيضا لا يدري ماذا يريد . عمامته البيضاء الكبيرة مهرب عينيها عندما تواجهها عيناه الضائعتان في غياهب الفات . وفمه المتغضن ينفخ لينكمش وينكمش لينفرج عن أسنان صفراء. ليس من ابتسامة او ألم . وتتزايد التجاعيد بحركة الفم والمضغ. فهقه أبوها فهربت الى العمامة البيضاء . وهزها بيد خشنة كثيرة الشقوق.

ـ انظري هنا في وجهي .

أخفت وجهها بيديها وبكت . انها تخاف اتساع عينيه . وتكاد تجن كلما أخذ يهذي بغناء الراعي الحزين ، بين أغنامه الهزيلة ، ومن بعيد تبدو اعواد النخيل المائلة كأطياف تتجاوب مع الحزن . وفهقه فمايل رأسه وانحدرت العمامة البيضاء ، وأطلقها باشارة من يده ..

ـ هيا اذهبي الى اغنامك ..

ثم بحزن خافت : ـ اذهبي ..

ما جدوى الحب ؟ انها تحب أباها العجوز وتحب أمها حتى وهي في قبرها المصطف في صفوف القبور وراء المرعى كأنها لا تزال بينهم بل هي تحب صنعاء كلها كما تحب قريتها وضاهر ومع ذلك فها هي تصحب الغنم في المرعى عند أول نفحة من نفحات الشمس تسكبها على الوادي، فتحس بقشعريرة لا تدري مصدرها . لعلها وقعت في براثن السحرة الذين زاروا قريتها في الماضي ، وقتها كانت طفلة ، فلما نما عودها سقتها امها داء الخوف منهم ، ولعلها علة لا تعرفها تستقر في جسمها النحيل ، أو في شعرها الغزير الاسود كشعر هرة متنمرة . في بطن الوادي تلتقي بعلتها الخفية . هناك تشعر بالتمرد . قسوة في الخبز ومرض يتراكم حتى يشابه بلادة الغنم وركود الماء في البحيرة النائمة تحت اقدام الجبل . حتى السماء الفسيحة الحانية تتحول في الليل الى زمجرة تنشر الصقيع . حقا هي حلوة . لكن الى متى الحياة في كنف الظلام ؟ أتريد حقا أن تكون كأمها صاحبة بيت ؟ احيانا تفكر في التراب العالق بثوبها وخشونة قدميها وشعرها المبعثر فلا تدري ماذا تريد. لماذا هي حانقة وعشرات من صواحبها مثلها في الوادي وفي صنعاء كلها .

صنعاء ! كم تود أن تطوف بها زائرة كالاميرة . لو أن أولئك السحرة صنعوا لها حبالا تسير عليها آمنة من السقوط لطافت بصنعاء . وربما كان يمكنهم أن يصنعوا لها فرسا يطير بها في الفضاء حتى ترى بلادا أخرى غير صنعاء . كم هي ساذجة . وليتها ساذجة . انها شيء غريب يجعلها تفكر في شيء مجهول . تريد أن تكون اميرة يركع لها السحرة والكهان . هذا عبث ضائع وأحلام الصبية الصغار . لعلها تريد أن تكون واحدة ليس لها وجهها . أغنامها تدوس على المرعى كل صباح فتحس

كأنها تدوس على صدرها . انها بالضبط تريد أن تكون شيئاً آخر . آه يا أغنامي العزيزة . لذلك تستغرب أمانيها ، وتهزأ من نفسها وتصر على أن تنشغل باعداد الطعام قبل أن يعود أبوها من حقول الامير .

في البداية لم تنتبه الى تهافتها على مداعبة الغنم وأخيها الوحيد وانتفاضتها وقفزها في المرعى أو في الدهليز المفضي الى الحجرة الوحيدة. لكنها تنبهت اخيراً الى الرضاء المفقود ، والبكاء الصامت الزاحف على بشرتها السمراء الناعمة ، ورائحة اللحم المحترق وسذاجة الدجاج ونعاس الغروب .

طالما دارت الهواجس الشيطانية التي تدور في أعماقها ، لكنها — ذات صباح — واخر طيف ينعد ويغيب في الافق . ذهب أبوها فانفرد بها الصمت وداعبتها الشمس . وعما قريب يعود فيلوث الاصيل الباسم بعينين غائبتين ونظرات زائفة يثير فيها الرعب والاشفاق . لن يعود . أو لتهرب قبل أن يعود . أخيرا عرفت موقع القدم تحت الغطاء . الهرب حياة جديدة تلغي كل شيء وتصلح ما أفسده الماضي . لا تزال الشمس جمرات حامية . والغنم تتجول كأن ليس في الكون جديد . أما هي فقد زاغت في الحشائش الممتدة تحت قدميها . ليست عيناها الا نافذة تتلقى العدوى وترسل المكتوب الى باطنها المضطرب . لاول وهلة مستها نشوة استهانة خرافية مسا سريعا . وما لبثت عيناها أن اتسعت وابتلعت الحشائش كأنها تريد أن تبتلع الوادي كله لتأتنس به من خوف يضطرب في الاعماق . واذا الحشائش خنجر يطير في الفضاء فيستقر في ظهر الهاربة . فتتوقف قدماها بعد قفز وانطلاق . واذا هي غارقة في دم يتدفق فترتد اليها المشانق الشجرية في عاصمة الامير . هزت رأسها بعنف ونهضت في بطء واستسلام فرضته شيخوخة طارئة وانهزام عابث . لم تهرب ؟ وماذا تريد ؟ لا تدري . بل لا تستطيع ان تصارح نفسها . هو الجنون اذن . أو هو سحر أضمرته الارض حتى اختلط بالطعام والهذيان .

العواصف الحانقة — والظلمة حليفتها — لا تزال تمرق في الصمت كما يمرق النصل في الجسد الضليل . والجدران أوهام وطلاسم تفتك بصوابها . الليل بطيء ينزع رأسها بين يديه ويطير بها حتى الجزيرة. ثم يلقى بها في البحر فيلثم الجرح وتتأمل كالذاهلة دمها الجاري مع الماء . وتتساءل أين أمها؟ ثاوية في التراب. لكنها لا بد أن انساقت الى عالم مجهول . وما تلك القبور الا ذكريات لا تخفي ودائعها . أين ذلك النجم البعيد ليضيء ما في القلب من ظنون . لكن أنى للنجم أن يلتفت الى ومضة ضائعة في الفضاء . تنهدت وأزمعت أن تضغط على جفنيها حتى تغيب عن الظلام . وما هي الا دقيقة حتى نشبت وساوسها تعبث بنومها ، استمرأتها على مضض . ورددت النظر الى سقيف الحجرة والنافذة البادية كطيف تحجبه أستار بالية . هل سكرت عيناها أم هي وساوس الليل المألوفة ؟ هزت رأسها على الفراش الساخن فتلامس وجهها وشعرها المفروش على الوسادة . وما لبثت أن رأت ومضا يومض في الحجرة بضوء أبيض ثم يختفي . عرفت فيه على الفور نصلا حادا يرتفع به قبضة ابيها . ها هي عمامته البيضاء تلوح وتحتجب ، تصاعد الى رأسها دم هارب خنق التنفس . واستحالت في لحظة الى قطعة جامدة فقدت حتى الشعور بالخوف . وترددت رسائل الالم في رأسها عن طريق عينيها .

ألم أشبه بالحلم الممقوت لا تدري كيف تتخلص من وطأته السادرة. حاولت أن تزدرد ريقها أو تتنفس بجرأة تعيد للدم حركته المفقودة فارتفع النصل مرة أخرى بوضوح اكثر واقترب من رأسها . احتبست في صدرها صرخة كانت على وشك أن تنطلق . واستفاقت بفكرة طارئة مرت برأسها المتجمد في موضعه على الوسادة : لماذا يقتلها وليس من سبب كاف لقتلها ؟

أيكون ما ترى أشباحا أنشأتها الظلمة أو بعثتها آلامها الحائرة في الوادي تحت أقدام الغنم . عاد النصل يلمع فوق صدرها ويتدانى من عينيها حتى يوشك أن يشقهما بحده المرهف . أغمضت عينيها في اللحظة التي ندت عنها أنة رفيعة اختزلت فزعها . وأحست بنفسها لا تجرؤ على النظر ، وفي باطنها دهمها شعور بالاستسلام كأنها تلقي بنفسها في ذلك البحر البعيد الذي تصل اليها امواجه ولا تراه . غاصت رأسها في الوسادة . كأنها تنحدر في هوة . تمنت أن ترتطم بحجر يسند رأسها المتساقط لكنها كانت لا تزال تنجذب الى الوراء وتدوس الغنم على صدرها وتكاثرت الغنم على وجهها فمزقته واختلط الدم بحبات العرق فذاقت ملوحتها المنسابة في زاوية ثغرها . أتكون كراهيتها لابيها تسربت اليها بالرغم منها فبادلها شعورها الاثم ؟ لكن متى كان الاب يكره ابنته ؟ وما الحيلة في دمها المتفجر على وجهها والنصل في الفضاء المظلم يتدانى من صدرها . استجمعت قواها ونجحت في ان تصرخ صرخة سمعت صداها واهنا كأنين خافت . وفي لحظة بص شعاع كاللبن الحليب من النافذة . وعت أذناها ضجة في الفضاء انتفضت لها الحجرة. خيل اليها أن السماء تهتز . أو هو زلزال يرج الارض من تحتها . كانت أصوات انفجارات رافقت شعاع الفجر . ولقاء جديد ذاب له التوتر . وتضاءل الفراغ فتحددت معالمه . ورفت الظلمة كغلالة شفافة تهتز . كان كل شيء يهتز . الخبز والفأس والنافذة وهمهمة الغنم في الحظيرة المجاورة . أمعنت النظر فاذا النافذة قطرة في موج يجرفها . واذا هي تتكىء على حاجز الحظيرة في العراء . البيت على مقربة منها والوادي يمتد في مجاهل الفجر ، هنالك أدركت أنها اغفاءة طويلة عند الحظيرة بينما كانت تتفقد أغنامها كعادتها كلما خامرها القلق عليها . لا تزال الانفجارات وزمجرة الفضاء تدفع بها الى الحقيقة ، غاصت بعينيها في الفضاء كأشلاء يلعب بها الشيطان . واعتمدت على بطن كفها وقامت ويداها النحيلتان تلمان أطراف ثوبها ، وحين تقدمت في خطوات متعثرة لتعود الى البيت كانت الاشجار أشباحا تعانقت رؤوسها مع الظلمة السابقة ، أعوادها تترنح سكرى بريح تصفر ، ورحلات الروح دفات طبول ترافق الفضاء كالضجيج في اذان خرافية ضلت طريقها عبر الماضي البعيد . لم تدر هنالك لم ابتسمت حين كانت تغلق الباب الضخم فينبت ضوء الفجر طفلا وليدا في الافق العريض .

القاهرة — عبد العزيز مصطفى

العشاء الأخير

أعطني القدرة حتى أبتسم ..
عندما ينغرس الخنجر في صدر المرح.
ويدب الموت كالقنفذ في ظل الجدار
حاملا مبخرة الرعب لاحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظل ندم .
فأرى الصمت كعصفور صغير
ينقر العينين والقلب ، ويعوى
في ثنايا كل فم .

— ١ —

الرياح اختبأت في القبو ، حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الاجساد فوق المشنقة .
ووقفنا .. نحرس الباب ، ونحمي الاروقة
وصدى خيل المماليك .. يدق الارض بالخطو الجموح
يقتفون الاثرا ..
يسألون الدرب عن خطوة ريح فيه ، عن أية ريح ..
فيغض البصرا .
ومضوا والسنبك المجنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الحواري الضيقة .
نحن عدنا ، نحمل البشرى لها ..
وهتفنا باسمها ..
وهززنا كتفيها ، عبثا ..
وتدلت رأسها في راحتينا ..
ميته .
نحن كنا نحرس الباب ، ونحمي اللافته
وهي — تعويذتنا — لم نحمها !

***

الخيول المسرجة ..
صهلت .. لكن هل الفرسان فرسان كما كانوا غدا ؟
والمهاميز — التي تحملها الاقدام — غاصت في القلوب !
وسيوف ثلمت ..
فقد استأجرها النخاس تحمي هودجه .
وسيوف قنعت أن تتدلى عند الاستعراض زينة .
وحمائل ..
حملتها في دياجي الليل أضلاع المقاصل
ودفنا نبلها المقهور في عام البكاء .
شبح الفرسان ما زال على وجه المدينه
صامتا يأتي اذا جاء المساء ،
صامتا ينفض أطراف الرداء ،
ويمد الجسدا :
فيمد الخوف في الليل اليدا .
ثم يمضي ، يحمل الاكفان ، يسري في الدروب
يحمل الاكفان أثواب ركوب
والمهاميز — التي تحملها الاقدام —
غاصت في القلوب

— ٢ —

— التحيات « مساء الموت » يا قلبي ،
فلا تلق التحيه .
— من ترى مات ؟..
— أنا ..
— أنت لا تملك يوما أن تموت .
— .. الحمامات لوت أعناقها
والتوى حتى لساني بالسرطان .
— أنت لا تعرف من أنت ..
— أنا :
منذ أن مات أبي
كل من تعشقه أمي الثريه
كل من تعشقه أمي : أب لي في العماد .
— ربما .. أحمس ربته امرأه .
— .. ذهب الشمس العجوز انصهرا ،
وهوى فوق نفايات الثرى
وأنا أبكي على تل الرماد .
يفتح المخلب أجفان العيون
لترى .. لكن ترى ماذا ترى ؟!
ساعة الحائط في معبد هاتور انتهت دقاتها
وانتهت طروادة الكر على وهم الحصان !
— أنا أوزوريس صافحت القمر ..
كنت ضيفا ومضيفا في الوليمه ..
حين أجلست لرأس المائده ..
وأحاط الحرس الاسود بي ..
فتطلعت الى وجه أخي ..
فتغاضت عينه مرتعده .
أنا أوزوريس واسيت القمر ..
وتفحصت الوجوه ..
وتنبأت بما كان ، وما سوف يكون ،
فكسرت الخبز حين امتلأت كأسي من الخمر القديمه
قلت : « يا اخوة .. هذا جسدي فالتهموه ..
ودمى هذا حلال .. فاجرعوه »
.. خبأ المصباح عينيه بأهداب جناحيه لكي تخفى الجريمه
وتثني الضوء من حد الخناجر ..
— ربما أحياك يوما دمع ايزيس المقدس
غير أنا لم نعد ننجب ايزيس جديده
لم نعد نصغي الى صوت النشيج
ثقلت آذاننا منذ غرقنا في الضجيج
لم نعد نسمع الا الطلقات
يفرض الرعب الطمأنينة في ظل المسدس .
— الطمأنينة في ظل الحداد .
— سيدي ، نحن انزلقنا من ظهور الامهات
بيد تضغط ثقب الجرح ، والاخرى على حرف الزناد .

— ٣ —

عندما يبتلع (الكورنيش) أضواء الغروب

تسعل الظلمة فيه ، والبرودة
يحمل الجوع الى العار وليده .
.. كلمات ،
ثم تنسل من البرد لدفء العربات .
والمصابيح : شظايا قمر كان يضيء
حطمته قبضة الطاووس فوق الطرقات
ثم اهدته الى النسوة كي يصلبنه فوق الصدور
يتباهين به ، وهو .. رفات !
كلمات ، كلمات
ثم تنسل من البرد لدفء العربات .
.. وأنا يوسف محبوب زليخا ..
عندما جئت الى قصر العزيز ،
لم أكن أملك الا قمرا
ـ قمرا كان لقلبي مدفأه
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،
عن كل العيون الصدئه
كان في الليل يضيء ..
حملوني معه للسجن حتى اطفئه !
تركوني جائعا بضع ليال
تركوني جائعا ..
وتراءى القمر الشاحب في كفي كعكه .
.. والى الان بحلقي ما تزال
قطعة من حزنه الاشيب تدميني كشوكه .

***

أعطني القدرة حتى أبتسم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت .
قدمي تلتمس السلمة الاولى ، لكي اصعد فوقا
ويدي تلتمس الحاجز اذ أخشى السقوط .
كيف ابقى ؟!
عفن الموتى ، وأطياب الحنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، نكهه ..
.. تتمشى في دمائي كالخيوط .
منهك قلبي من الظلمة ، اني لا أرى
آه .. لو لم التهمه ـ القمر الشاحب ـ لو ..
ربما نور في الظلمة برهه .
غير اني كنت جائع
وأنا الان فقدت القمرا .
جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء ،
جائع حتى العياء .
ما الذي آكله الان اذن .. كي لا أموت ؟

أمل دنقل



(يرتفع الستار عما يشبه المقبرة ، الظلام يلف الكـون ، شيئـا فشيئا تتوضح شواهد القبور المنتصبة كالابراج ، الصمت العميق يزرع الرهبة في النفوس . لحظات وتهب نسيمات .. تقوى وتشتد فتتحول الى رياح تصفع شواهد القبور فينعب من عصفها ما يشبه الانين .

يدخل رجلان من جهة اليمين . (عمروش) غرق رأسه في سترته الملطخة بالبقع والرقع.لا تبدو في وجهه الا عيناه الذابلتان تحت اجفان متكسرة . و (خالد) رجل عادي اهم ما يميزه عيناه الحادتان ووجهه الصارم) .

خالد : (يلتفت الى عمروش) هل تشعر بالبرد ؟

عمروش : (بلا مبالاة) لا .

خالد : (يجلس مسندا ظهره الى جدار القبر) لنسترح قليلا .

عمروش : (يجلس بجانبه ورأسه لا يزال غارقا في سترته) الريح تعصف بشدة (برهة) ما هذه العواصف ؟

خالد : رياح خريفية .

عمروش : (ينكور على نفسه) انها تنذر بشتاء قاس ...

خالد : (يلتقط عودا وينكش في الارض لحظة ثم يرفع رأسه) الشيخ ضاهر هه (ابتسامة صفراء تتكوم على شفتيه) مات .. مات ميتة تليق بـه .

عمروش : (فجأة ينبت في اعماقه خوف وتسري رعدة خفيفة في جسده) لا تذكر اسمه ، انه يوحي بالخوف .

خالد : مات .. لقد مات .

عمروش : مات بعدما زرع بذور الخوف في نفوس الكثيرين .

خالد : سيضمحل الخوف كما يضمحل الضباب تحـت حرارة الشمس .

عمروش : (يطفو رأسه قليلا) بعد زمن ...

خالد : الا تزال تخاف منه ؟

عمروش : انا الليلة اخوف من اي وقت مضى .

خالد : ولم تخاف ؟

عمروش : لست ادري (لحظة) ليتنا نعود .

خالد : (مبهوتا) نعود ؟

عمروش : نعم . انا خائف يا خالد .. والخوف يعرش في نفسي حتى لاحسه في كل خلية من دمي .

خالد : لقد مضى عليك في هذا العمل اكثر من سنة ، فكيـف يتسرب الخوف الى نفسك ؟

عمروش : (كالحالم) ربما لانها جثة الشيخ ضاهر .

خالد : (بحدة خفيفة) ولكنها جثة .

عمروش : انها تثير الرعب .

خالد : غريب امرك يا عمروش . فالليلة الماضية قمنا بعملنا على اتم وجه .

عمروش : كانت جثة رجل فقير .

خالد : وهل تختلف عنها جثة الشيخ ضاهر ؟

عمروش : كثيرا .. انها تثير الرعب .

خالد : (نافد الصبر) الرعب ؟ (لحظة) عانيت الخوف منه حيا ولا تزال تعانيه وهو ميت ؟!

عمروش : ان شبحه يطوف بالقبر .

خالد : (يقف بعصبية) لن انتظر اكثر من هذا .

عمروش : (يتململ) هل تذهب وحدك ؟

خالد : (بسخرية) يسامرني الشبح .

عمروش : (بتخاذل الخائف) لا تسخر مني يا خالد . البارحة لم يداخلني اي شعور غريب وانا اقلب الجثة يمينا وشمالا . اما اليوم فاحس برجفة تأخذ جسمي كلما تصورت تلك الجثة الملعونة .

خالد : جثة الشيخ ضاهر .

عمروش : نعم .

خالد : (يائسا) هل ترغب في العودة ؟

عمروش : لا .. لا ، دعني افكر قليلا ، ربما استطعت ان اطرد هذه الهواجس المخيفة .

خالد : (يتحرك بعصبية) اية هواجس هذه التي تتكلم عنها ، كنت اترقب منك ذلك في اول ليلة رافقتني الى هذه المقبرة ، وكم كانت دهشتي حين الفيتك تقوم بالعمل كمن مارسه عدة اعوام .

عمروش : (مطرقا) اما اليوم ...

خالد : (مقاطعا) اما اليوم فاراك تتجمع في نفسك كطفل يختبىء في صدر امه .

عمروش : قبل اليوم كان منظر الجثة لا يثير اي شعور في نفسي ، كم قلبتها وكم تحسستها كما يتحسس الطبيب جسم مريضه ، اما اليوم فمجرد تخيلها يملأني رعبا وقشعريرة .

خالد : (متملقا) هيا بنا يا عمروش .. دع هذه المخاوف .

عمروش : (يشتد عصف الريح) تلبث قليلا .. جدار هذه المقبرة يمنع عنا الرياح ، اما تراها تكاد تقتلع هذه الشواهد المنتصبة ؟

خالد : (مقتربا .. بطيء اللهجة) مضى علينا وقت طويل .

عمروش : (رافعا رأسه) كل اعمالنا السابقة كانت تتم في قليل من الوقت فلنأخذ اليوم مزيدا منه (لحظة) اني اشعر برغبة ملحة في التحدث عن الموت .

خالد : (مخيبا) ان ذلك يعمق في نفسك جذور الهواجس .

عمروش : (متحجر النظرة) تصور كل تلك الجثث التي نزعنـا عنها اكفانها تهب الان من رقادها وترقص حولنا عارية .

خالد : (مأخوذا) عارية ؟

عمروش : نعم . اما كنا نتركها عارية في ظلام القبر ؟

خالد : (صامت في دهشة وخوف) .

عمروش : ثم تتقدم حادة الاف الاظافر لتخنقنا .

خالد : (مندمجا مع عمروش) لن تقوى على زحزحة هذه الحجارة الضخمة .

عمروش : (مسترسلا) ربما استطاعت .

خالد : (يتنبه) وماذا تفعل لو رأيت ابواب هذه القبور تتفتح دفعة واحدة ويخرج اصحابها عراة كما ولدتهم امهاتهم ؟

عمروش : (يغرق راسه في سترته) اغمض عيني وادفن رأسي بين يدي ، وليفعلوا بي ما شاءوا .

خالد : انت اليوم لست البارحة ولست منذ عام ، انت اليوم انسان غريب غريب .

عمروش : كل الجثث الماضية كانت تبدو لعيني ضعيفة متخاذلة ميتة .

خالد : وماذا تريدها أن تكون ؟

عمروش : احسها اليوم قوية جبارة .

خالد : (بتهكم) جثة قوية جبارة .. ؟

عمروش : (شاردا بذهول) انها تقاومني بعنف وانا افك عنهـا الاربطة ، ترفض ان تبقى عارية (يغيب شيئا فشيئا) لا استطيـع مقاومتها . انها تلتف حولي ، تكبر ، تمتد وانا اصغر واتقلص ، اكاد اذوب فيها اتلاشى .. اه .. (يتلوى على جدار القبر) .

خالد : (ينمو فيه خوف مجهول) ما هذا ؟

عمروش : (كالغائب عن الوعي) الجثة .. الجثة .. يا خالد .

خالدا : (مرتعدا) ما لها ؟

عمروش : (مطبق العينين . يزداد صوته غيابا وبعدا) هذه اليد الملعونة كم هي متصلبة . وهذه الجثة كم هي ثقيلة لا استطيع زحزحتها قيد انملة (يلوح بيديه في الهواء) يا لهذا الكفن كم مرة قد لف حولها عشرة امتار .. اه أن ثمنه ثلاثة اضعاف كفن البارحة (لحظة) ولكن ما هذا ، كفن آخر تحته (بسمة صفراء تتلامح على شفتيه) خالد!خالد ! انظر : حرير .. حرير .. (تنكمش البسمة الصفراء) اه .. يـدي تلامس الجثة .. انها باردة كالثلج (يتقلص كمن يغرق في موجة صقيع) برودتها تتسرب الى عظامي ، احس بتخاذل قواي .. يداي ترتجفان .. لا بد ان انزع هذا الكفن (يتقلب) ما ليدي تتجمد . يا للعنة ! لـن استطيع ان اتابع (صوته يختنق) خالد ! اين انت يا خالد ؟ تعـال ساعدني ، جسمي كله يضعف ، يفنى .. اه ..

خالد : (مذهولا بما يرى ، جامد العينين) مسكين يا عمروش ، شبحه طاردك في الحياة وفي الموت .

عمروش : (غارقا في غيابه ، تخرج كلماته معجونة بذعر شديد) دعني يا شيخ ضاهر لن آخذ هذا الكفن اللعين . لن اعيدها مرة ثانية (تتقلص سحنته) ارجوك دعني .. برودة الاموات تسري في جسدي (تنفرج لهجته) انت تعلم اني انسان فقير اعيش على حساب الاموات.. انتظر كل ليلة ضيفا يحل في هذه المقبرة . لكم تمنيت ان تموت البلدة كلها في يوم واحد اذن لاصبحت اغنى الاغنياء .. (يزداد التصاقـا بالقبر) ماذا تريدني أن اعمل ؟ لقد تعودت على هذا العمل من يـوم ان اغراني به خالد ولقد احببته .. انه لا يتطلب جهدا ولا تعبا ، نصف ساعة كل ليلة ، (يفرد ساقيه) ازح جسدك عني .. لماذا تلتصق بي هكذا ؟ دعني اذهب ولن تطأ اقدامي هذه المقبرة مرة ثانية . لمـاذا تحدق بي هكذا ؟ عيناك جمرتا نار ، (يخفي عنقه بيديه) اظافـرك تمتد الى عنقي .. لا .. لا .

خالد : (الدهشة تعقد لسانه) عمروش ! عمروش !

عمروش : (يهتف كمن افاق من حلم مزعج) الم اقل لك ؟

خالد : مـاذا ؟

عمروش : هذه الجثة اللعينة لا تزال حية ، والويل لمن يدنو منها.

خالد : انت تحلم .. تغيب في عالم الوهم ، تمد يدك في الهواء ، تلوح بها ، تتلوى ، تستنجد كمن يصارعه الاخطبوط .

عمروش : (في لهجة ضعف وخوف) ولكنها حية .

خالد : (محنقا) كيف تكون الجثة حية (برهة) نعم .. فـي خيالك ، في عالم الوهم الذي تسبح فيه ، سوف اريك أن لا حياة فيها، هيا نقترب من مقبرة الشيخ ضاهر لنرى .

عمروش : (ينهض متخاذلا ، الريح تولول بين القبور) لم تهـب الريح في هذا العام بمثل هذه القوة ، كأنما الطبيعة غضبت لموت الشيخ ضاهـر .

خالد : (مجاريا) لعلها تبكي عليه ، فحتى العناصر تشارك الاحياء في البكاء على الاموات !

عمروش : الاغنياء فقط ، اما الفقراء فيأتون في صمت ويذهبون في صمت . انها سنة الحياة .

(يمشيان ببطء وفي طرف المسرح يتوقف عمروش فجاة ، يلتفت اليه خالد)

خالد : هيـا .

عمروش : (في اصرار غريب) لن اتقدم خطوة واحدة .

خالد : (مستنكرا) ولكن ..

عمروش : احساس غريب ينتابني ، كلما حاولت خطوة الـى الامام احسست كأن رجلي تتسمران في الارض .

خالد : اعاودتك المخاوف من جديد ؟

عمروش : ربما .

خالد : كنت اظن انك تخلصت منها .

عمروش : لا ، بل زادت قوة ووضوحا .

خالد : (في انذهال) وضوحا ؟ ماذا تعني ؟

عمروش : الخيالات ..

خالد : (يغرق في ذهوله) اتحلم انت ؟

عمروش : (لامبالاة) بل انا في يقظة تامة !

خالد : (مستحثا) اذن كيف ترى هذه الخيالات ؟

عمروش : (غير مكترث) انها واضحة كالحقيقة ، تلح علـي وتاخذ بـي .

خالد : (يائسا) لست افهم ما تقول .

عمروش : كيف تفهم ؟!

خالد : انت واهم !

عمروش : قد يكون وهما ما اعانيه .

خالد : (ينمو في صدره غيظ مرير) فلماذا لا تطرده من ذهنك؟

عمروش : (ببرود) وهل استطيع ذلك ؟

خالد : حاول ، المهم ان تتخلص من هذه الهواجس

عمروش : (ببلاهة) وماذا افعل الان ؟

خالد : (بخبث) اطردها

عمروش : (متسائلا ببلادة) كيف ..؟ قل لي

خالد : (غيظه يكاد ينفجر) ان امرك يدهشني يا عمروش ، اتريد ان اعلمك كيف تطرد الهواجس من فكرك ؟

عمروش : (ببراءة صبيانية) نعم ! نعم !

خالد : (بصبر نافذ) اطردها وكفى !

عمروش : احاول طردها . ولكن عبثا ، انها تجول في رأسي لا تريم

خالد : (الحنق يختلط بكلماته) اف .. ما هذا ؟ لو كانت فـي راسي لطردتها شر طردة !

عمروش : اما انا ، فاقف عاجزا امامها ...

خالد : (يتصنع الهدوء) ما هذا العدو الذي يعرقل عملنا ؟

عمروش : (متحسسا خوفه من الهواجس التي تتاكله) انها الـد اعداء الانسان ، ولو كانت عدوا حقيقيا لتخلصت منها بضربة واحـدة ، ولكنها في راسي ، وهنا المصيبة .

خالد : (مطرقا) حقا ... مصيبة .

عمروش : (يعود الى جدار القبر ويتكوم من جديد ، يرشق خالد بنظرة استعطاف) اراك مطرقا .

خالد : (في شبه همس) انني افكر ..

عمروش : (بخوف وانشداه) تفكر ..؟ اينتابك مثل مـا ينتابني

من افكار وهواجس ؟

خالد : لم أجن بعد (يحدجه بنظرة اسيفة) اني افكر فيك ..

عمروش : (كالمأخوذ) وهل في ما يدعو الى التفكير ؟

خالد : (يقترب ، في نبراته هدوء وعذوبة) قل لي يـا عمروش ماذا ترى ؟ صف لي هذه الخيالات .

عمروش : (يتململ) انها تفوق الوصف (يشرد في المدى البعيد) انها تمتد في كل مكان ، انظر : الا تراها ؟

خالد : أرى ماذا ؟

عمروش : (يغرق من جديد في شروده وذهوله) انها تملأ المكـان حولنا .

خالد : (يتلفت حوله كالخائف) من هي ؟

عمروش : (مستمرا ، مطبق العينين) تمد يديها ، تتشبث بالتراب تصرخ ، تستنجد ، تلطم وجهها بعنف ، تبكي ، تولول ، تترنـح علـى الارض ، تلهث ...

خالد : (ملتصقا بجدار القبر) ما هذا ؟

عمروش : (مستمرا) انظر ! انظر ! كيف تنشب اظافرها في وجهها، الدم يسيل ، عيناها جاحظتان ، الرعب يتطاير منهما ، الشرر يخترق الظلام الكثيف ، يتكسر على جدار القبر ..

خالد : (يزداد خوفا) عمروش عمروش ما بك ..؟ (يهزه) .

عمروش : (كمن يفيق) آه .. آه .. لماذا تهزني هكذا بعنف ؟

خالد : تتكلم كالنائم وعيناك ساهمتان تحدقان في الظلمة كمـن يرى شيئا .

عمروش : الا تراها ؟

خالد : أرى من ؟

عمروش : الجثة .

خالد : يا للهول .. جثة من ؟

عمروش : جثتها .

خالد : من هي ..؟

عمروش : المسكينة .

خالد : المسكينة .. من ؟

عمروش : التي حكت لي عنها جدتي عندما كنت صغيرا .

خالد : (متنفسا بصعوبة) وماذا حكت لك ؟

عمروش : عن المسكينة التي ماتت في القبر .

خالد : (مشدوها) ماذا تقول ؟

عمروش : ماتت في القبر .

خالد : تعني انها دفنت حية ؟

عمروش : نعم .

خالد : (تبرد اطرافه) يا للهول . هذا غير معقول !

عمروش : بل هو حقيقة واقعة !

خالد : (متنبها) لا شك انك كنت شقيا في صغرك فأرادت جدتك ان تملأ راسك بهذه المخاوف .

عمروش : لقد كانت البلدة كلها تلهج بهذه القصة .

خالد : (مستشعرا الجدية في حديثه) لـم اسمع بهـا (برهة) وكيف عرفوا انها كانت حية بعدما دفنوها ؟

عمروش : في عشية دفنها مر احد الرعيان بجانب المقبرة فسمـع عويلا وصراخا من داخل القبر كأنه آت من اعماق بئر عميق .

خالد : وماذا صنع ؟

عمروش : اخذه الخوف وراح يركض الى القرية يخبر اهلها .

خالد : فجاءوا وفتحوا القبر ؟

عمروش : نعم .

خالد : ووجودها حية ؟

عمروش : لا .. وجودها مكومة في احدى زوايا القبر وقد نزعت الاكفان عنها واعملت اظافرها في وجهها .

خالد : كيف دفنوها حية ؟

عمروش : كانت مريضة وغابت في اغماءة قوية فظن اهلها انها ماتت .

خالد : وكيف استفاقت ببالك اليوم ؟

عمروش : لا ادري .. لقد غابت عن ذهني كل هذه السنين ، واليوم تعود قوية واضحة ، ان شبحها يملأ بصري وسمعي وفكري ، كأني اراهـا الان تزحف كطفل مشلول ، تغرز اظافرها في الارض وفي الجدران كأنما تبحث عن منفذ نرى منه النور ، صراخها يملأ اذني ، انينها يقطع نياطـ.. (يتنهد) يا للمسكينة على هذه الميتة الشنيعة !

خالد : والان .. ما علاقة مسكينتك هذه بعملنا اليوم ؟

عمروش : (يتبدى في عينيه حزن عميق) انهـا تشـل فكري ، تخدر اعصابي ... تملأ الدنيا حولي ، اني ارى جثتها تتقمص كل الجثث التي نزعت اكفانها عنها ، كل تلك الجثث ماتت في القبور ، كلها صرخت وولولت وادمت اصابعها في نبش التراب وهشم اسنانها عض الحجارة.

خالد : يا للشيطان ، ما هذه الافكار السوداء ؟

عمروش : وحتى انها تقمصت اليوم جثة الشيخ ضاهر !

خالد : كفى كفى . انك تهذي كالمحموم.!

عمروش : (كأنه يحدث نفسه) الشيخ ضاهر لـم يمت . انـه يزحف في القبر الان ، يتقرى منفذا للنور ، يتلمس جدران القبر .

خالد : كفى ارجوك ، كف عن هذا الهذيان !

عمروش : (يذهل في وعي) الشيخ ضاهر لا يصرخ ولا يبكـي ، فهو رجل كبير صارم لم تعرف الابتسامة شفتاه . كان يرى من العـار على الرجل ان يبكي ، انه يزحف الان صامتا يكتم فـي اعماقه غيظه الاسود .

خالد : كان فظا قاسيا !

عمروش : (الريح تئن) وسمع ! وسمع !

خالد : مـاذا ؟

عمروش : انيـن .

خالد : امجنون انت ؟

عمروش : (مصغيا) اصغ جيدا وسوف سمعه واضحا !

خالد : (ينصت) انا لا اسمع شيئا غيـر ولولة الرياح وحفيف الاشجار .

عمروش : اما انا فأسمع انينا كأنه آت مـن واد سحيق (صمت

عميق) اسمع أنه يتزايد قوة ووضوحا .

خالد : ذلك هو الوهم ، يصور لك ويسمعك ويريك .

عمروش : (باصرار) بل هو حقيقة .

خالد : كفى يا عمروش ، انه الوهم الوهم الوهم ، الا تفهم ؟

عمروش : انا خائف !

خالد : أتريد ان ترجع خالي الوفاض ؟

عمروش : لا .

خالد : قم اذن نفتح القبر ، انا اقطع أصبع الشيخ ضاهر وانت تنزع الاكفان .

عمروش : ولماذا تقطع اصبعه ؟

خالد : الا تعلم ان بها خاتما ذهبيا ثمينا ؟

عمروش : (ينفرد وجهه تحت ظل ابتسامة) لا والله ، لم اكن أعلم ، وكيف تركوه في يده ؟

خالد : لم يستطيعوا نزعه ، فقد مضى عليه في اصبع الشيخ ضاهر عشرات السنين .

عمروش : (بانتشاء) ان صيدنا اليوم لثمين (بغتة يكفهر وجهه) ولكني خائف .

خالد : (ينهض ممسكا بيد عمروش) لا تخف .. هيا بنا .

المشهد الثاني

جانب اخر من المقبرة ، عين المشهد الاول تقريبا . خالد وعمروش على باب القبر .

خالد : (يحاول ازاحة البلاطة التي تسد فم القبر) ساعدني في رفع هذا اللوح ...

عمروش : (ينزوي بخوف وانكماش) لا اقوى على زحزحة شيء .

خالد : (يجاهد بقوة) كم هي ثقيلة هذه الصفائح !

عمروش : (ببرود) ثقيلة كدمه !

خالد : انت اليوم لا تنفع لشيء (يلتصق صدره بالبلاطة) الا تمد يدك ؟

عمروش : (يهز رأسه) يداي ترتجفان !

خالد : (متضايقا من برودته) ادر ظهرك وادفع معي !

عمروش : لا اريدك ان تفتح القبر .

خالد : انت مجنون !

عمروش : سيخرج الشيخ ضاهر حالما تفتح الباب !

خالد : (ساخرا) لا بأس .. سيكافئنا .. أليس كذلك ؟

عمروش : (يضحك بلذوعة) سيعطينا أكفانه (ينقبض وجهه) ماذا نقول له ؟

خالد : نقول اننا سمعنا صوته .

عمروش : (يبحلق عينيه) هل سمعت حقا ؟

خالد : (متهكما) ألم تسمعه أنت ؟

عمروش : قد يكون الانينين من قبر اخر .

خالد : لم يمت اليوم احد غيره .

عمروش : (يغمغم) صحيح !

خالد : (يكاد يزيح اللوح الحجري) هه هه .. انه ينزاح ، ارفع معي .

عمروش : (يمد يديه بصعوبة) لعنة الله ... (ينزاح الحجر ، تندفق امواج الظلمة من فم القبر ، لحظة صمت ، الرهبة تنبعث من كل ذرة) .

خالد : انتهينا .

عمروش : (يردد كالضائع) انتهينا .

خالد : معك عود ثقاب ؟

عمروش : (يمد يده بطريقة آلية) خذ .

خالد : اشعله !

عمروش : (يحول بصره) اشعله انت !

خالد : اما زلت خائفا ؟

عمروش : كثيرا .

خالد : لم يخرج الشيخ ضاهر .

عمروش : ربما يزحف صوبنا .

خالد : يزحف في اوهامك (يشعل عود الثقاب ، لحظة صمت يتبينان خلالها ارجاء القبر) .

عمروش : (تند عنه شهقة هائلة ، تجحظ عيناه ، يتيبس رأسه يجمد) .

خالد : (مرتعدا) عمروش عمروش ما بك ؟

عمروش : (منعقد اللسان) ان ... ن ... ها ت ... ت ..

خالد : (يهزه) ماذا تقول ؟

عمروش : (مقطع الانفاس) انها تتحرك .

خالد : أمجنون أنت ؟

عمروش : (يتراجع على مؤخرته) تتحرك .. يا للفظاعة (يلملم نفسه ويجاهد في النهوض) .

خالد : الى اين ؟

عمروش : ليتني استطيع الهرب (يتيبس) ولكن رجلي لا تقويان على حملي (يحاول الزحف) ارجوك يا خالد ! اسحبني من هنا ، شدني بعيدا عن هذه المقبرة المشؤومة !

خالد : (يهز رأسه باستخفاف) انت ، انت (برهة) لا ادري ما اقول .

عمروش : ليتك تعيد هذا اللوح مكانه ، انها تتحرك ، تزحف وربما خرجت الينا .

خالد : (بهزء) الجثة طبعا .

عمروش : طبعا (محاولا اقناعه) لقد رأيتها بأم عيني ، ورأسه ، رأسه يتحرك .

خالد : رأسه ..؟

عمروش : الا تصدق ؟

خالد : ابتعد من هنا ، لا يزال الوهم يعمي عينيك !

عمروش : انت الواهم (باصرار) لقد رأيته يتحرك !

خالد : في خيالك ..

عمروش : اشعل عودا اخر وانظر .

خالد : سوف ارى (يشعل عود ثقاب ، يديم النظر ، بعد فترة قصيرة يلتفت الى عمروش في عينيه ذهول وعلى وجهه امواج حيرة) ولكن امكن هذا ؟

عمروش : (الرعب يتطاير من عينيه) ماذا ؟

خالد : الجثة ...

عمروش : تتحرك ؟

خالد : (غير مؤمن) هكذا خيل الي !

عمروش : (يتلعثم بالذعر) ألم اقل لك ؟

خالد : (يفكر) ان رأسه فقط يتحرك ، اما جسمه فساكن

كالحجر ... تعال وانظر !

عمروش : (يتشبث بالارض) لا .. لا افوى على النظر مرة ثانية .. (يحاول النهوض فيسقط كتلة صلدة) هيا لنهرب قبلما يزحف علينا .

خالد : (غير مهتم) انه ميت ولن يقوى عن ذلك .

عمروش : الا ترى رأسه يتحرك ؟

عمروش : لا يزال حيا . عندما قلت لك ذلك لم تصدقني ، ان قلبي يحدثني دائما !

خالد : هراء !

عمروش : (مستسلما) افعل ما تشاء .

خالد : سوف ادخل القبر واهز الجثة بيدي .

عمروش : او تجرؤ على ذلك ؟

خالد : ولم لا .. اهي اول مرة اجرد جثة من اكفانها ؟

عمروش : ولكنها تختلف عن بقية الجثث !

خالد : لا تختلف في شيء .

عمروش : انها حية .

خالد : اوهام .

عمروش : ولكنك انت قلت ان رأسه يتحرك .

خالد : ومع هذا فانا لا اصدق ما تراه عيني ، لا بد ان اتحسسها بيدي (يدخل) .

(لحظات صمت رهيبة ، عمروش يزحف ملتاعا ، ينكمش قرب اللوح الحجري الذي تدحرج عن فم القبر ، يسمع ضربة من الداخل ، يرتعد .. يهتف .. يتجمد) .

عمروش : يتعاركان (يسمع ضربة اخرى) مسكين يا خالد ! سوف ينشب اظافره في وجهك (ضربة ثالثة فيلتصق بالحجر ويغيب في وعي) عيناه جمرتا نار ، يداه تطوقان عنقك ، جثته تتطاول وتمتد ، تملأ المكان حولك ، تسد عليك الطريق (يفتح عينيه) انت عاجز عاجز (كمن يتهيأ) آه لو استطعت ان اقفز الى الداخل اذن لمزقته بهذه السكين الحادة (يترنح من جديد) دعه يا شيخ ضاهر ، انه مسكين ، عنده عائلة كبيرة . من يطعمها لو مات ؟ انت لا تشفق على الفقراء ...

خالد : (من الداخل) عمروش (صوته يضيع في ضربة قوية) .

عمروش : انها القاضية ، ولكن من منهما قضى يا ترى ؟ لعله الشيخ ضاهر اصحيح انه قوي البنية ، ولكنه مريض ، سوف يصرعه خالد ، ليتني اعطيته هذه السكين ، ولكن ما الفائدة ؟ انه لم يصدق انه حي (يتلوى كمن يصارع امواجا هائجة) آه جسمي يتعب ، يتراخى ، يتلاشى ، (يفيق في عينيه شبه عزم) لا بد ان ادخل ، يجب ان اساعد خالد قبل ان يقضي عليه الشيخ ضاهر ، لا يمكن ان اتركه يموت بين يديه ، سوف ازحف (يحاول الزحف) سوف ازحف .

خالد : (من الداخل ، يتغير صوته فيصبح اكثر عمقا) عمروش ادخل !

عمروش : (تعود الحياة الى اطرافه اليابسة ، ينتبه كمن يفيق من غيبوبة) آه .. آه .

خالد : (صوته عميق) ادخل .

عمروش : هل قتلته ؟

خالد : قتلت من ؟

عمروش : الشيخ ضاهر .

خالد : (تجلجل ضحكته في فراغ القبر) انه ميت ، فماذا اقتل فيه .

عمروش : اذن فما هذه الضربات القوية ؟

خالد : قتلت الجرذ !

عمروش : اي جرذ ؟

خالد الجرذ الذي كان ينهش رأس الجثة !

عمروش : (كمن فهم) الجرذ .. الجرذ !. ما ابشع ان ينهش الجرذ رأس انسان .

دمشق **الياس طعمه**

رقصة زوربا

لو أعرف طعم بكائك يا زوربا !
أرقص من سكر القلب على انقاض الحلم ،
وأبكي العالم ،
أقف على اطلال
اناجيها بيتا بيتا ..
يتشامخ قيثاري فوق الامواج
يغيبها صوتا صوتا ..
حتى انضح عرقا
حتى يشبع أحبابي موتا
فأشيع أطيافهم الحلوة خلف النجم الفجري
وأعدو نحو شوارع لم أعرفها
في الصبح المتلفع صمتا ...

***

لو أن الأرملة البكماء
لم تنشج حين تعرت عن جسد وحشي
جسد حر وفتي
... لو حلت بدلال
شعرا جدلته السنوات السوداء
لو طرفت عين منها وهي تواجه عاشقها الرعديد
لرقصت مع العملاق ، ولكن خطواتي
يعقلها شيء ليس على بال الامواج
قد أنسى :
لكن لن أتعزى يا ورد التذكار
فعبيرك مسموم بنجيع الاطهار
ومن ذا يدركني بالضحك الفاجع الا زوربا
خذ بيدي يا ساقي الوهم
وأخرجني من هذا البهو الفاسد ،
من قاع النهر الآسن .. خذ بيدي
لدغتني في الحمأ اللازب أفعى الغار
ولا ترياق ، ولا أذكار
ولما تنزل آيات الفتح ..
أو لم تر أن القبة تهوي منها الانجم
والشيطان ،
يسترق السمع ..
فتوصد نافذة الاسحار

غزه ـ فلسطين **ناهض الريس**

الفضيــــة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٧ ـ

الفرصة التي امامه . الرجل الذكي دائما يقدر الظروف .. يقدرها بفهم .. يريح ويستريح .. وانا لا اساعد الا الاذكياء .. اقول هذا وفي ذهني نموذج لانسان غبي ..

ونظر في عيني يوسف : ـ .. انت تعرفه .

وظل ينظر لعيني يوسف في ثبات لمدة ، ثم قال بتؤدة :

ـ احمد عبد المجيد سالم .

قال يوسف بتردد ذاهل : ـ لا يا فندم . لا اعرفه .

ابتسم الضابط وقال بلهجة حانية ونظراته لا تفارق عيني يوسف .

ـ هيه يا يوسف ! لا تعرفه ؟

تذكر يوسف كأنه هبط عليه الوحي :

ـ آ .. المزيف الذي امسكتموه !

اتى الضابط بحركة مرحة بيده وقال برقة :

ـ يا اخي .. هذا انت تعرفه .

وفتح الباب ، وفوجيء يوسف بالحارس يقود رجلا غير حليـــف الذقن ، نصف نائم . ويطل الارهاق مـــن كل جسده وملابسه . قـال الضابط مكملا حديثه :

ـ وهذا هو بنفسه يا عم .

نظر يوسف الى القادم من جديـــد . وراقب الضابط خلجاتهمـا جيدا . ساد الصمت لحظة ثم وجه الضابط حديثه للرجل المرهق وهـــو يشير الى يوسف :

ـ تعرفه ؟

ـ قال صوت استيقظ لتوه من سبات عميق :

ـ لا يا فندم .

ـ لا تزال غبيا ؟ علي انا ؟ لا تعرف يوسف ؟! صاح الضابط :

ـ اعرفه يا فندم .

ـ يا غبي ! ما الداعي للانكار ؟

دق قلب يوسف بعنف . انفتح فمه . هم بالكلام لكن جرس التليفون اوقف محاولته . تناول الضابط السماعة بسرعة .

ـ ألو .. مـن ؟

وانتفض واقفا :

.. نعم سيادة الحكيمدار . انا عادل .. أيوه يا فندم .. قدامي الان .. متلبس يا فندم .. حاول رمي الجنيه عند الاشتباه فيه .. كان معي فقط الشاويش عبد العليم .. معلوماتنا دقيقة يا فندم .. فعلا .. اول مرة تعمل العصابة على خط ١٢٤ .. نعم يا فندم .. يعرفان بعضهما .. البركة في توجيهاتكم ..

ونظر الى يوسف مبتسما :

.. يا فندم في حكم المعترف .. اذكى من زميله ويقدر الموقف .. سأساعده حتما يا فندم .. اوامر سيادتكم .. الحمد لله .. آن الاوان .. كفى ثلاثة شهور .. حالا يا فندم .. حالا .. مع السلامة .

وشهق الضابط بعمق وهو يضع السماعة . قال ليوسف وهـــو يجفف عرقه بمنديل انيق :

ـ يا سيدي الحكيمدار ، ومدير الامن ، والمحافظ ، والداخلية كلها تريد أن تراك .. خرج يوسف من ذهوله . قال والدوامة تدور به :

ـ لكن ، يا حضرة الضابط انا لم افعل شيئا .

تغيرت سحنة الضابط على الفور . احمرت نظراته . قال بغضب :

ـ ماذا تقول ؟

كرر قوله مطاطىء الرأس . صاح الضابط :

ـ من انت اذن ؟

ـ يا حضرة الضابط انا موظف بمصلحة الا ...

ـ وهذا دليل كاف على براءتك ؟ فف وانت تكلمنـــي . ((صنف)) لا يأني بالذوق . واتجه الى الرجل المرهق :

ـ تعرفه ؟

ـ نعم يا فندم ، يوسف .

ـ يوسف ماذا ؟

ـ يوسف .. آ .. أ ..

ـ يوسف حسن عبد الله . ادع السذاجة والعبط . زميلك !

ـ لا يا فندم .

صاح الضابط بحدة : ـ زميلك ؟

ـ نعم يا فندم .

اتجه الى يوسف : ـ هيـه ؟

ـ والله يا فندم لا اعرفه .

ـ يبدو انك غبي انت الاخر .

وهرش رأسه وصمت قليلا ثم قال :

ـ دعنا منه . كان الجنيه جنيهك ام لا ؟

قال باستسلام : ـ نعـم .

ـ مصدره ؟

ـ لا اتذكر .

ـ لماذا حاولت التخلص منه ؟

ـ ...

ـ لماذا انكرت في البداية انه يخصك ؟

ـ ...

ـ واصرارك على فك الجنيه مع وجود عملة فضية في جيبك ؟

ـ ...

ـ وشهادة الشهود ؟ وتعرف الناس عليك ؟

ـ ...

اتخذ حديث الضابط لهجة تقريرية :

ـ التهمة ثابتة ولا داعي للانكار . كن ذكيا . هيه ؟

ودق جرس التليفون من جديد .

ـ الـو ..

ورق صوت الضابط ومحت الابتسامات العريضة الملامح الصارمة :

((.. اهلا اهلا .. نعم يا شوشو .. عارف .. من ثلاثة شهـــور .. كنا مشغولين في قضية التزييف .. الحمد لله .. الله يبارك فيك ..

ومسح بيده شاربه الدفين ، وعبثت اصابع بشعره الفاحم :

.. كان معي جندي واحد .. المكافأة ؟ .. طبعا .. لكن اهم شيء في رأيي .. اغاظة مدحت وشرف وصادق وغيرهم وغيرهم .. لا تعرفين .. كانت مسألة حياة او موت لكل منـا .. هـه ؟.. الصيف الماضي ؟ .. ماله ؟.. مزيف .. فداك .. غيره ، وغيره .. وبالطـو ايضا .. اوامرك ..

واتكأ بكرسيه الى الخلف حتى لامس الجدار ، ومـد ساقيه فـــوق المكتب ، وعادت يده تعبث بخصلات شعره ، ونظر الـــى يوسف نظرة جانبية :

((لا ابدا .. عاقل جدا وذكي .. صدقيني ...

ولم يعد يوسف يسمع شيئا . وبدأ كابوس رهيب يكتم انفاسه ، بينما نظراته لا تفارق ((زميله)) ، لكن الاخر كان مغمض العينين ، نائم السحنة .

ـ هيه ؟ ستعترف .

كان قد تذكر الحائط الوحيد الذي يستند اليه :

ـ يا فندم ، ((القانون صريح في ..

ـ اه ؟ ماذا تقول ؟! اسمع ..

وغادر الضابط مكانه . رسم حلقة بسبابة وابهام يـــده اليمنى . قال مؤكدا ما يقول باصابعه الثلاثة :

ـ سأتركك وحدك . خمس دقائق تفكير . شاور عقلك .

ودفع الرجل المرهق امامه وواصل حديثه ليوسف :
ـ لا تكن غبيا مثله . كن عاقلا .
وضغط على مخارج الفاظه وهو عند الباب :
ـ واذا لم تعقل يا يوسف ، سيحقق معك الصول حجازي .. فاهم؟

ـ ٥ ـ

ظل واجما لفترة ـ خيلت اليه ـ طويلة . كانت الامور في ذهنه غامضة متشابكة . ماذا حدث وماذا يراد منه ؟ امامه مهلة خمس دقائق ليفكر ثم ليقرر بكامل « حريته » ما سوف يقول . ماذا يحدث في هذا العالم ؟ ايقسم لنفسه انه ليس مزيفا ؟ لكن ما دليله ؟ الانه لا يذكر انه لم يزيف يكون بالفعل بريئا ؟؟ ... ثم الا يمكن ان تكون الذاكرة قد خانته ؟ لا يزال يذكر قصة الرجل الذي فقد ذاكرته فنسي منزله ، وزوجته ، واولاده ، ونسي ايضا من هو . لا بد ان يكون بالفعل مزيفا والا لما حدث كل ما حدث ؟ وما المانع ان يكون كذلك وكل اصابع الاتهام تشير اليه ؟ ثم ما الفرق ؟ كل شيء ككل شيء . تلاشت دعوات امه وضحكات زملائه . ثمة جريمة ولا بد لها من فاعل . اعترف يا يوسف يسترح رجال الامن ، ويقف التزييف ، ويسترد الضحايا اموالهم،ويشتري عادل هدايا خطيبته . اعترف يا يوسف ام تظن عظامكقضبانا من حديد؟
وشعر بصوت العناد الذي واجه به الصول حجازي يطلمن جديد، وبروح جبارة تدب فيه ، تهيب به بان يقول لعادل كل ما يشاء ، وليس ماذا ستكون نتيجة ذلك على مر الايام .
وبدون ادنى تردد ، طرق الباب ، وطلب من الجندي ان يستدعي الضابط على عجل ، وبدأت تصل الى مسامعه دقات قلبه .

ـ ٦ ـ

قال دون مقدمات :
ـ يا فندم الجنيه كان يخصني .
ـ لا . لحظة من فضلك .
اسرع الضابط يستدعي جنديا ليدون الاعترافات .
ـ اسمك ؟
ـ حسن يوسف عبد الله .
ـ عملك ؟
شاء ـ مع كل ما قرره ـ ان يبقي شيئا من « وجوده الطيب » .
قال بعد تردد :
ـ لا اعمل .
ـ قلت انك موظف بمصلحة ..
ـ كنت اكذب .
واستمرت الاسئلة التمهيدية التي اجاب عليها بصدق عدا السؤال الخاص بموطنه الاصلي .
ـ لماذا كنت ذاهبا الى الجيزة ؟
ـ كنت عائدا من شبرا .
ـ ماذا كنت تفعل هناك ؟
ـ لا شيء .
ـ تركب الاتوبيس اذن دون هدف ؟
ـ هذا ما حدث .
رفع الضابط صوته وقال بلهجة تقريرية وبحزم :
ـ لا يا يوسف . قلنا لا داعي للف والدوران . ركبت الاتوبيس لتفك الجنيه .
« هذا صحيح على نحو ما » . اجاب يوسف بعد برهة من التفكير:
ـ نعم .
ابتسم الضابط وقال برقة :
ـ هكذا نستطيع أن نتعاون . ثق ، ساعمل كل ما استطيع لمصلحتك . سيجارة ؟

« ما المانع ؟ » . اشعلها له الضابط . ترك التحقيق جانبا وقال مازحا :
ـ اسمع يا يوسف . يبدو ان هذه اول مرة تقوم فيها بالتزييف. لذلك فانت مضطرب . شيء في الامر يخجلك .. لكن اطمئن .. لست اول من يقبض عليه بهذه التهمة ولن تكون بالطبع الاخير . دائما ابدا كان هناك مزيفون . والعيب ليس عيبكم مطلقا . عيب الاغبياء السذج.. (واهنف) .. مقدمي البلاغات .. (وضحك) .. الحمير ..
ونفث نفسا من سيجارته ثم قال مواصلا مزاحه :
ـ .. وبيني وبينك يا يوسف . ما دام هناك حمير ، فسيوجد دائما من يركبها .
ثبت يوسف نظرته فيه لاول مرة . قال بعد فترة صمت :
ـ ممكن اجلس ؟
ـ آ .. لا مؤاخذة .. تفضل .
وجذب يوسف نفسا عميقا من سيجارته وبدأ الصوت العنيد يزداد الحاحا .
ـ توزعها لحسابك ام لحساب غيرك ؟
ـ لحسابي .
ـ شأن الاذكياء دائما . بالمطبعة ام باليد ؟
ـ باليد .
ـ انت ماهر اذن في الرسم .
ـ تقريبا .
بدأ الضابط يتمشى في الغرفة . يوسف يرمقه بنظرات ثابتة . القى الضابط نظرة من النافذة المطلة على حديقة القسم . عاد وهو يحك جبهته .
ـ ما رأيك يا يوسف في مئات البلاغات التي وصلتنا ؟
ـ بعضها صحيح وبعضها كاذب .
ـ تعرف الذين تعرفوا عليك ؟
ـ هم يعرفونني .
وضع الضابط يده على كتف يوسف . قال بلهجة رقيقة وهو ينظر في عينيه :
ـ واحمد عبد المجيد سالم ؟
ـ لا اعرفه .
ـ لكنه يعرفك . ثم انك كنت تعرف اسمه .
ـ سمعته من الصول .
قالت نظرات الضابط : هكذا ؟
ـ صدقني يا « كابتن » . قلت لك ساعترف بكل شيء .
دس السيجارة في رماد المنفضة ، وواجه الضابط بكل وجهه والروح الشريرة تنمو في كل كيانه مع الصوت العنيد :
ـ وبم تفسر وجود النقد المزيف معه .
تمالك يوسف ان يضحك . قال ببساطة :
ـ واحد من ضحايانا .
ـ من الحمير ؟
رد يوسف بجفاء :
ـ نعم .
ـ كيف حصل عليه ؟
ـ بنفس الطريقة .
ـ بنفس الطريقة ؟
ـ نعم .
ـ طريقة قديمة يا يوسف . يحسن ان تجددوا في اسلوبكم.
تمتم يوسف بكلمات غير مفهومة . مضت فترة صمت ثقيلة .هأهأ الضابط في اعماقه منتشيا : « متهمك بريء يا عم مدحت ! » . واتته فكرة سريعة :
ـ اذن فيمكن اعتباره شاهدا .
ـ لم لا ؟

قال الضابط يملي كاتب التحقيق :

« واعترف المتهم ان احمد عبد المجيد سالم كان واحدا من ضحاياه، وحصل على الجنيه الذي ضبط معه اول امس من المتهم ، عندما تطوع ليفك له نفس الجنيه ، بعد ان كادت ان تحدث مشادة بين المتهم ومحصل الاتوبيس بسبب الفكة كما حدث اليوم » .

وعاد الضابط يتمشى ، يمناه في خصره ، يسراه تعبث بشعره الفاحم ، ابتسامة خبيثة ترتسم على شفتي يوسف ، والروح الشريرة تفصح عن عملاق خاله سيلامس السقف . عاد الضابط اليه فجاة كمن عثر على فكرة غابت عنه :

ــ اذن فبعض البلاغات صحيحة ؟

ــ بلا شك .

ــ معنى هذا انك ستخدم مطبعة .

ونظر في عيني يوسف مباشرة ، وهز كتفيه باستخفاف ، وقال ببساطة وهو يبتسم :

ــ شيء بالفعل ، والا ما زيفت بهذه الكثرة .. مئات البلاغات هنا ، والاف في البلدان الاخرى ..

وضحك بصوت مسموع :

ــ ... والحمير دائما في كل مكان .

وجد يوسف ان الامر بالفعل منطقي ومعقول .

ــ نعم استخدم مطبعة .

ــ لماذا تلف اذن وتدور يا يوسف ؟

نظر اليه يوسف . ابتسم الضابط . قال :

ــ قهوة ؟

اومات الروح الشريرة بالايجاب . وترك الضابط التحقيق من جديد :

ــ اسمع يا يوسف . الرجل الذكي هو الذي يقدر الموقف الذي هو فيه خير تقدير . لا يخدع نفسه ...

وافقه يوسف على كل ما قال . احضر الجندي فنجانين من القهوة . قال الضابط فجاة وهو يرشف من فنجانه :

ــ واين هي يا يوسف ؟

استفهم حاجبا يوسف .

ــ المطبعة .

ــ موجودة يا فندم .

ــ في مسكنك ؟

قال صوت العملاق الذكي :

ــ ان لم تكن قد سرقت .

وعاد يرشف من فنجانه . نظر الضابط الى سقف الحجرة . دق بالقلم عدة مرات فوق المكتب . استدار الى يوسف فجاة ، وقال ونظراته تقطر ذكاء :

ــ تعني ان شركاءك ربما سرقوها الان .

وضع يوسف فنجانه الذي فرغ منه .

ــ ليس لي شركاء .

طلب الضابط الى كاتب التحقيق ان يتوقف . ربت على كتف يوسف وهو يقول :

ــ اسمع يا يوسف . من المدة التي قضيتها معي ، عرفت انك شهم ، رجل . ومن دلائل الرجولة « عندكم » ان « الرجل » لا يعترف على شركائه .

شعرت الروح العملاقة امام الحديث ان صاحبها ساذج بحق ، لا خبرة له بشئون الحياة . حلا ليوسف ان يظل جالسا ، بل راودته رغبة عارمة ان يضع ساقا فوق ساق . واصل المحقق كلامه مؤكدا افكاره باشارة من يديه :

ــ يا خسارة ! انت في السجن «وهم» يمرحون .. وسياخذ واحد منهم « فتاتك » بالتأكيد ، وتخسر انت كل شيء .. ونحن ..

وهز كتفيه ، ورسم امتعاضة بشفتيه :

ــ .. لن نكون قد فعلنا شيئا .. فالتزييف سيستمر ..

ظل يوسف يرمقه بنظرات جانبية ، ودوت في اعماقه ضحكة مجلجلة . لذ له ان يرقب الضابط وهو يتمشى ، يحك جبهته ، ويدس انامله في شعره . قامة الضابط متوسطة الطول وليست بالطول الذي كان يظنه عندما رآه في بداية التحقيق . سمع صوته بعد صمت طويل:

ــ .. وعلى كل حال ، ما دام الاعتراف ليس كاملا ، فلن تستفيد . لكي تخفف العقوبة لا بد ان يكون الاعتراف كاملا . أنت ذكي وتفهم كل شيء ..

ظل يوسف مواصلا صمته .

ــ اسمع يا يوسف . لك اصدقاء ؟

تمالك نفسه ان ينفجر ضاحكا . خطرت له على الفور فكرة لا يدري الشيطان نفسه كيف يوحي بها :

ــ هذه اسماء شركائي .

اشار الضابط الى كاتب التحقيق ان يدون :

ــ حسن عبد الله يوسف . يوسف عبد الله حسن . حسن يوسف عبد الله . عبد الله يو ...

ــ قف . لا تكتب .

اتجه الضابط اليه بخطوات غاضبة .

ــ ما هذا ؟

لا بد ان قوة خفية الصقته بالكرسي فظل جالسا . قال بهدوء مثير رغم ارتجاف اعماقه :

ــ اسماء شركائي .

ــ تسخر مني يا يوسف ؟

ــ لا . ابدا ..

وفكر لحظة :

ــ .. والله هي اسماء اشخاص .. موجودين فعلا ..

رسم الضابط بيده علامة دهشته وحيرته .

ــ اعرف . ولكن ..

ثم اندفع في الحديث :

ــ .. هل اخترتهم لتشابه اسمائهم ؟

وانت العملاق لمحة اخرى من ذكاء ماكر :

ــ كل الاسماء هكذا يا حضرة الضابط . والناس ايضا .

فتح الضابط عينيه كما لو كان مستيقظا لتوه .

ــ ماذا تعني ؟

ــ لا شيء .

تمتم الضابط يحدث نفسه :

ــ يوسف حسن عبد الله . عبد الله حسن يوسف . يوسف عبد الله حسن ..

ثم صاح وقد زر على عينيه :

ــ .. مستحيل ان تكون هذه صدفة . انت لا تقول الحقيقة .

اهتف يوسف عند سماع الكلمة .

ــ ... وليس هناك اناس بهذه الاسماء .

ــ بلى هناك واقسم لك .. وستجد ايضا من يشهد عليهم .

ظل يوسف يتابع الضابط بنظراته . قلب الضابط يديه في حيرة :

ــ اتصل الصدفة لهذا الحد العجيب ؟!

خيل ليوسف ان قامة الضابط قد ازدادت قصرا . انتفخ العملاق الذي امتد في كيانه واصبح ذكاؤه لا يطاق :

ــ تلك يا حضرة الضابط اسماؤهم الحركية .

واسماؤهم الصحيحة ؟

ــ لا ادري . سيادتك تعلم . في مهنتنا هذه ، لا احد يثق بالاخر.

صمد يوسف لنظرات الضابط فلم تختلج في قسماته عضلة .

ــ انت لا تقول الحقيقة .

ــ اقسم الا شيء مما قلت يخالف الحقيقة .

اخذ الضابط يدق المكتب بقلمه دقات خافتة . قال يوسف قطعا

للصمت :

ــ عيب يا كابتن . صدقني . لقد اكرمتني .

عاد الضابط يذرع الغرفة جيئة وذهابا . استمرأ يوسف بلذة خبيثة النظر اليه . التفت الضابط ليقول بلهجة من وجد ما يقوله :

ــ اسمع يا يوسف .

ودق جرس التليفون :

((الو .. نعم يا كابتن شرف .. (ارتخت عضلات وجهه المشدودة بل ابتسم) .. انا عادل يا شرف .. موجود امامي .. الولد الذي امسكه ((عمك)) مدحت بريء .. اعترف بذلك .. (ونغم صوته واتكأ بكرسيه الى الخلف) .. بكل التفاصيل يا شرف ..

واربدت سحنته فجأة ، وهرب الدم من وجهه ، واعتدل في جلسته، وتحفزت كل خلايا جسده :

((.. ماذا تقول ؟ .. مستحيل ! .. غير معقول ! .. انت بنفسك؟ دهم يوسف خطر غامض وتحفزت كل مشاعره .

((.. انت الذي قبضت عليهم ؟ .. ومتلبسين ؟ .. والمطبعة ؟.. جاري البحث عنها ؟.. مع السلامة .. مع السلامة ..))

اسند رأسه بكف ، وغطى عينيه بالاخرى . انتفض واقفا فجأة . دب خوف حقيقي هز كل اعماق يوسف . لمح كاتب التحقيق . كأنما فوجيء بوجوده . امره ان يغادر الحجرة في الحال . اشتد خوف يوسف . اخذ الضابط يتمشى بخطوات ذاهلة لا وقع لها .

ــ .. هنيئا لك يا شرف .. نلت فرصتك . تحرياتك كانت ادق . ماذا سيقول الحكيمدار ؟ وشوشو ؟.. والمكافأة ؟ ما هذا الذي يحدث ؟

وقعت نظراته على يوسف . افاق الى نفسه . نظراته حولت خوف يوسف الى رعب حقيقي . صاح فيه بصوت يزلزل جبلا :

ــ من انت ؟

صوت يوسف الهاديء لا يفصح عن حقيقة ما يعتمل في نفسه من مشاعر :

ــ يوسف حسن عبد الله .

قذف الضابط بصينية القهوة في وجهه . انتفض يوسف واقفا. انكمش في الحائط . اتجه الضابط اليه . رفع يوسف غريزيا يديه ليغطي بهما وجهه ورأسه . جذبه الضابط من خانقه . سار به خطوات وهو يصيح :

ــ يوسف حسن عبد الله . عبد الله يوسف حسن . حسن عبد الله يوسف .

ولصقه بالحائط في عنف .

ــ .. يا ابناء الكلاب . ماذا تريدون منا بالضبط ؟

برغم كل ما حدث ، ظل شيء خبيث كامن تحت جلد يوسف يرقب المشهد المثير بلذة .

ــ .. اكاد اجن . من جاء بك الى هنا ؟

رد الصوت الهاديء المثير : ــ الشاويش عبد العليم .

ــ حمار انت وهو .

ولصقه مرة اخرى بالحائط . وتدلى ذراعا يوسف الى جنبيه :

ــ .. يا لوح . لو قيل لك : ارم بنفسك في النيل . تفعل ؟

تركه واتجه نحو النافذة يتطلع الى الاشجار . تنفس ملء رئتيه بصوت لاهث . اختفى العملاق وصمت الصوت العنيد نهائيا في اعماق يوسف ، وعادت دعوات امه الساذجة . وجلجلت ضحكات زملائه في العمل ، وانساب الدمع غزيرا من عينيه ، وشعر كأن يدا تطبق على عنقه توشك ان تهتك حلقه . سمعه الضابط يتشنج . التفت نحوه في غيظ :

ــ ماذا يبكيك ؟

ــ سيدي . انا المزيف الحق . انا الذي تبحثون عنه .

ادار الضابط ظهره . قال يحادث نفسه اكثر مما يرد على يوسف:

ــ وهؤلاء الذين امسكوهم متلبسين ؟

ازدادت دموع يوسف انهمارا . ضحك الضابط في مرارة . عاد يذرع الغرفة طولا وعرضا .

ــ هيه . ! جنيهات زائفة . عقود زائفة ..

ــ سيدي . انا المزيف الحق . انا الذي تبحثون عنه . انا معترف بكل شيء .

ــ اخرس قلت لك . اغرب عن وجهي . اذهب للحجز حتى نرى.

ــ ٧ ــ

اسقط في يد عادل ومدحت ، فقد انهارت كل ادلة الاتهام،واقسم المزيفون ((الجدد)) بكل ما لديهم من كلمة ((شرف)) ان احمد عبدالمجيد سالم ويوسف حسن عبد الله لا يمتان اليهم بصلة . بدأ الضابط شرف يذرع الغرفة في ثبات ويوجه حديثه بكل ثقة لاحمد ويوسف :

ــ انتما ايضا من شهودنا . انت (واشار لاحمد) اخذت الجنيه من هذا الرجل (واشار لرجل متهدل الملابس ، منكوش الشعر ، تصبغ الكدمات وجهه ، ويغطي الورم احدى عينيه) عندما تطوع ليفك لك خمسة جنيهات في الاتوبيس . وانت (واشار ليوسف) بنفس الطريقة من هذا الرجل (واشار لاخر نصف نائم ، يستند الى الحائط ولا يلقي بالا لما يدور حوله) .. اليس كذلك ؟

تمتم المتهمان ((السابقان)) وطأطأ رأسيهما . اتجه شرف الى المكتب . جلس باعتداد . اشار لكاتب التحقيق ان يدون الاستجواب .

ــ اسمك ؟

هم الرجل المنكوش الشعر بالرد ، لولا ان دق جرس التليفون . هب شرف واقفا والتقط السماعة في سرعة :

((الو .. من ؟ .. صادق ؟ ... كابتن صادق ؟ ..

وجالت نظراته الداهشة في وجوه من حوله ، وسقط جالسا والذعر يملأ كل قسمات وجهه :

((.. نعم ؟ .. ماذا تقول ؟ .. مستحيل .. مستحيل .. غير معقول ! ..))

القاهرة — زهير احمد الشايب

ثلجٌ صامتٌ ، ثلجٌ سرّي

قصة بقلم كونراد ايكن

ترجمة مصطفى عبود

وربما لم يقل لماذا كان ينبغي على وجه الدقة ان يقع ذلك ، او لم كان ينبغي ان يقع ذلك في اللحظة التي وقع فيها تماما ، وربما لم يخطر على باله حتى ان يتساءل عن ذلك . فقد كان الشيء في المقدمة سرا ، شيء ينبغي اخفاؤه بأي ثمن عن امه وأبيه ، والى تلك الحقيقة ذاتها يعود جانب كبير من لذته . اذ كان مثل حلية غريبة الجمال ـ طابع نادر ، قطعة نقد قديمة ، بضع حلقات صغيرة من الذهب يعثر عليها ممسوحة في ممر احد المتنزهات ، حجر من العقيق الاحمر ، محارة متميزة عن غيرها ببقعة او خط لوني خاص . ولقد حمل معه الى كل مكان ، كان ذلك الشيء كان واحدا من هذه ، حس دافيء بالتملك ، موصول وجميل على نحو متزايد . ولم يكن هذا حس بالتملك وحسب، بل حس بالاحتماء كذلك ، كما لو ان ذلك الشيء قد منحه ، بطريقة معينة ممتعة ، قلعة ، جدارا يستطيع الانسحاب خلفه في خلوة سماوية. ولقد كان هذا ، الى حد كبير ، اول شيء فيه لفت نظره ـ الى جانب غرابة الشيء نفسه ـ وكان هذا ما يقع له الان من جديد ، فيما جلس داخل غرفة الدرس الصغيرة . كانت نصف ساعة حصة الجغرافية . وكانت الانسة بيويل تفر باصبع واحدة ، وببطء ، كرة ارضية ضخمة موضوعة فوق منضدتها . ومرت القارات الخضراء والصفراء ، ثم مرت كرة اخرى ، ووجهت الاسئلة واجيب عليها ، وانتصبت امامه الان الفتاة الصغيرة، ديردريسة، التي كان لها فوق مؤخرة عنقها برج صغير مضحك من النمش ، يشبه تماما برج الدب الكبير ، وقالت للانسة بيويل ان خط الاستواء هو الخط الذي يدور حول منتصف الارض .

تغضن وجه الانسة بيويل الهرم والرمادي والحنون بتخدد مرح ، وكانت تقوم على جانبي خديها تجعدات رمادية متيبسة ، وكانت عيناها تسبحان بتألق قوي خلف نظارتين سميكتين ، مثل اسماك الشيغ (1) الصغيرة .

« اه ! هكذا ـ فالارض اذن ترتدي حزاما ، او نطاقا ، او ان امرءا ما قد رسم خطا حولها ! »

« اوه ، لا ، ليس ذاك ـ اقصد ـ »

ولم يشارك في الضحك الذي عم الا قليلا . كان يفكر باصقاع القطب الشمالي والقطب الجنوبي ، التي كانت بيضاء بطبيعتها ، فوق الكرة الارضية . كانت الانسة بيويل تتحدث لهم الان عن المناطق الاستوائية ، الغابات ، حرارة المستنقعات الاستوائية المشبعة بالبخار ، حيث تضحي الطيور والفراشات وحتى الافاعي ، مثل الجواهر الحية . وفيما انصت لهذه الاشياء ، كان قد شرع يضع سره ، بمجهود نصفي من الاحساس البهيج ، بين نفسه وبين الكلمات . هل كان هذا في الحقيقة جهدا ؟ ذلك ان الجهد يتطلب شيئا قسريا ، وقد يكون حتى شيئا لا يتقبله المرء بصفة خاصة ، في حين كان هذا الجهد ممتعا على نحو واضح ، وعفويا الى حد كبير . وكان كل ما احتاجه هو التفكير بذلك الصباح ـ اول صباح ، ومن ثم بكل الصباحات الاخرى ـ .

غير ان المسألة باجمعها كانت بمنتهى البساطة ! ولم تكن ذات شأن في البداية . اذ لم تكن سوى فكرة فقط ـ اما لماذا اضحت ، على وجه التحديد ، رائعة للغاية ، ثابتة للغاية ، فقد كان ذلك لغزا ، لغزا ممتعا على وجه التأكيد . بل كان ذلك ، وبطريقة مسلية ، لغزا مضحكا . ومهما يكن ، ودون ان يكف عن الانصات للانسة بيويل التي انتقلت الى المنطقة الشمالية المعتدلة ، فقد عاد بذاكرته عن عمد الى الصباح الاول. لقد حدث ذلك قبل دقيقة او دقيقتين بعد ان استفاق ، وربما كان ذلك في ذات اللحظة التي استفاق فيها . ولكن هل كان هناك حقا ، وعلى وجه الدقة ، لحظة بعينها ؟ هل استفاق كليا وفي الحال ؟ اما كانت يقظته تدريجية ؟ على اية حال ، لقد حدث ذلك بعد ان مد يدا كسولة الى الاعلى صوب الجسر العلوي للسرير ، وتثاءب ، ثم استرخى من جديد بين اغطيته الدافئة ، شاعرا بامتنان اكبر في صباح مثل هذا من شهر كانون الاول ، وعندها حدث الشيء . فبغتة ، ودونما سبب ، فكر بساعي البريد ، تذكر ساعي البريد ، وربما لم تكن هناك غرابة شديدة في ذلك . فقد كان يسمع ساعي البريد ، على اية حال ، كل صباح في حياته تقريبا ـ جزمتاه الثقيلتان يمكن ان تسمعا وهما تخبان ثقيلتان عند المنعطف اعلى شارع التل القرميدي الصغير ، لتقتربا ، بعد ذلك شيئا فشيئا ، وعلوا شيئا فشيئا ، ثم يأتي الطرق المزدوج على كل باب، اجتياز الشارع ، واجتيازه كرة اخرى ، حتى تتقدم الخطى الخرقاء متعثرة في النهاية صوب ذات الباب ، لتهبط الغرفة الهائلة هازة البيت نفسه .

(كانت الانسة بيويل تقول « مناطق شاسعة لزراعة القمح في اميركا الشمالية وسيبيريا » . كانت ديردريسة قد وضعت يدها اليسرى على مؤخرة عنقها .)

اما ذلك ذلك الصباح نفسه ، اول صباح ، فيما استلقى هناك وعيناه مطبقتان ، فقد انتظر لسبب ما ساعي البريد . وود ان يسمعه قادما عند المنعطف . وكانت تلك هي النكتة اذ انه لم يفعل ذلك مطلقا . لم يأت ابدا . لم يأت ابدا ـ عند المنعطف ـ مرة اخرى . ذلك ان الخطى حين كانت قد سمعت ، كانت متقدمة لتوها ـ كان على ثقة تامة من ذلك ـ قليلا اسفل التل ، صوب البيت الاول ، وحتى في تلك اللحظة ، كانت الخطى مختلفة بشكل غريب ـ كانت اكثر نعومة ، كان يغلفها غموض جديد ، كانت مكتومة وسرية ، وفيما كانت تمتلك ذات الايقاع ، الا انها قالت شيئا جديدا ـ قالت سلام ، قالت نوى ، قالت برد ، قالت رقاد . وادرك الموقف في الحال ـ اذ لم يكن هناك من شيء اكثر بساطة من ذلك ـ لقد هطل الثلج اثناء الليل ، كذاك الذي تاق اليه طوال الشتاء ، كان هو الذي جعل اولى خطى ساعي البريد صامتة ، والتي بعدها خافتة . بالطبع ! ما اروع ذلك ! لا بد انها ما زالت تثلج حتى الان ـ وسوف يكون اليوم ثلجيا ـ كانت الخطوط البيضاء المشرشرة تهمي وتنثال عبر الشارع ، عبر وجوه المنازل القديمة، هامسة ومكتومة ، صانعة مثلثات صغيرة من البياض عند الزوايا بين احجار القرميد ، موشوشة قليلا متى تجرفها الريح فوق الارض صوب ركن طافح بالثلج المجروف ، اذن سيظل طوال اليوم ، ليضحي عميقا اكثر فاكثر وصامتا اكثر فاكثر .

(كانت الانسة بيويل تقول « ارض دائمة الثلج » .)

طوال هذا الوقت ، بطبيعة الحال (فيما كان يرقد في سريره) ، ابقى عينيه مطبقتين ، منصتا الى الدنو المتسارع لساعي البريد ، لخطى الاقدام المكتومة تخبط وتنزلق فوق احجار القرميد الثلجية الغطاء ، كانت جميع الاصوات الاخرى ـ الطرق المزدوج ، صوت مثلج بعيد او صوتان ، جرس يدندن بخفوت ونعومة كما لو كان تحت طبقة من الجليد

★ عن كتاب Great American Short Stories

(1) الشيغ Minnow نوع من السمك النهري الصغير ، ينتمي الى عائلة سمك الشبوط ويمتاز بزعانفه الرقيقة .

ـ تأخذ نفس الطابع التجريدي الطفيف ، كأنها انحرفت درجة واحدة عن الواقع الفعلي ـ كأن كل شيء في العالم قد كساه غازل ثلجي. لكنه حين فتح عينيه ، في النهاية ، فرحا ، وادارهما صوب النافذة ليشاهد بنفسه هذه الرغبة المرتقبة والمعجزة التي كان يتخيلها الان بصفاء تام ، لم ير سوى نور الشمس الساطع فوق السقف ، وفيما اصابته الدهشة، قفز من السرير واطل على الشارع ، منتظرا رؤية احجار القرميد تفرقها الثلوج ، الا انه لم ير سوى الحجر المتألق العاري ذاته .

كان تأثير هذا الانبهار عليه شديدا ـ فطوال الصباح التالي ظل يحمل معه احساسا بتهاطل الثلج فيما حوله ، وظلت تقف بينه وبين العالم شاشة سرية من الثلج الجديد . واذا كان لم يحلم بشيء من هذا القبيل ـ اذ كيف كان بوسعه ان يحلم وهو يقظان ؟ ـ فكيف كان بوسع المرء اذن ان يفسر ذلك ؟ ومهما يكن ، فقد كان الوهم باهرا لدرجة اثر على كامل سلوكه . ولم يستطع الان ان يتذكر ان كان ذلك في الصباح الاول او الثاني ـ ام كان ذلك في الصباح الثالث ؟ ـ عندما لفتت امه انتباهه الى بعض الغرابة في سلوكه .

قالت له امه عند مائدة الافطار ((ولكن ، ماذا دهاك ، يا حبيبي ؟ اذ لا يبدو عليك انك تصغي ـ))

ولكم تكرر ذلك الشيء منذ تلك اللحظة !

(كانت الانسة بيويل تسأل فيما اذا كان هناك من يعرف الفرق بين القطب الشمالي والقطب المغناطيسي . كانت ديردريسة ترفع يدها السمراء المرفرفة . كان بوسعه ان يشاهد النتوءات الاربعة البيضاء المدورة التي تحيط المفاصل .)

ربما لم يكن ذلك في الصباح الثاني ولا الثالث ـ ولا حتى الرابع او الخامس . وكيف كان بوسعه ان يكون على ثقة من ذلك ؟ كيف كان بوسعه ان يكون على ثقة في اي وقت على وجه الدقة اضحى الدنو الممتع واضحا ؟ متى بدأ فعلا وعلى وجه التحديد ؟ ذلك ان الفواصل لم تكن واضحة للغاية ... وكل ما يعرفه الان ان عند مرحلة معينة او اخرى ـ قد يكون اليوم الثاني او ربما كان اليوم السادس ـ لاحظ ان حضور الثلج اضحى اكثر الحاحا على نحو ما ، وصوته اكثر وضوحا ، وعلى الضد من ذلك ، كان صوت خطى ساعي البريد يضحي اكثر غموضا. ذلك انه لم يفقد القدرة فقط على سماع الخطى وهي تدور عند المنعطف، بل انه فقد القدرة على سماعها عند البيت الاول كذلك . فقد كان ذلك بعد البيت الاول عندما سمعها ، وبعد ذلك بايام قلائل كان ذلك بعد البيت الثاني عندما سمعها ، وبعد ايام قلائل اخرى ، بعد البيت الثالث. وهكذا كان الثلج يصبح ، شيئا فشيئا ، اكثر كثافة ، وصوت انهماره اكثر ارتفاعا ، واحجار القرميد مكتومة اكثر فاكثر . وحين كان يجسد، كل صباح ، حين يقصد النافذة ـ بعد طقس الانصات ـ ان السقوف والاحجار ما زالت عارية كما كانت ، لم يعد لذلك ادنى تأثير عليه . فقد كان هذا ، على اية حال ، هو ما توقعه ، بل ان ذلك كان مبعثا لبهجته ، ومصدرا لانانيته : اذ كان الشيء ملكه الخاص ، وليس لاحد اخر سواه . وليس من احد اخر سواه يعرفه ، حتى امه وابوه . هناك في الخارج ، كانت الاحجار العارية ، وهنا ، في الداخل ، كان الثلج ـ ثلج يهطل بغزارة اكثر فاكثر ، مع كل يوم يمر ، كانما صوت العالم مخفيا ـ قبل كل شيء ـ الخطى القبيحة ، الميتة على نحو متزايد ، لساعي البريد .

قالت له امه عند مائدة الغداء ((ولكن ماذا دهاك ، يا حبيبي ؟ اذ لا يبدو عليك انك تصغي حين يتكلم الناس معك . هذه هي المرة الثالثة التي اطلب فيها منك ان تتناول صحنك ...))

كيف كان بوسع المرء ان يشرح هذا لوالدته ؟ او لوالده ؟ لم يكن هناك بطبيعة الحال ايما شيء يمكن عمله بصدد ذلك . ايما شيء ـ كل ما كان بوسع المرء ان يفعله هو ان يضحك بحيرة ، متظاهرا بانه خجل لحد ما ، معتذرا ، متخذا سمة الاهتمام المبالغ وغير الاصيل بما كان يفعل او يقال . القطة ظلت في الخارج طوال الليل . على خده الايسر ورم غريب ـ ربما رفسه شخص ما ، او ان حجارة ضربته . السيدة كمبتن ستاتي او قد لا تاتي لتناول الشاي . البيت سينظف او ((يقلب)) يوم الاربعاء بدلا من يوم الجمعة . كان مصباح جديد قد وضع لاجل واجباته المسائية ـ قد يكون الاجهاد البصري مصدر هذا الغموض الجديد والشاذ للغاية الذي يعانيه ـ كانت امه تتطلع اليه بفضول وهي تقول هذا ، وبشيء اخر كذلك . مصباح جديد ؟ مصباح جديد . نعم يا اماه ، كلا يا اماه ، نعم يا اماه . الدراسة تسير بصورة جيدة . الجبر بسيط للغاية . التاريخ ممل تماما . الجغرافية ممتعة للغاية ـ خاصة اذا ساحت بالمرء الى القطب الشمالي . ولماذا الى القطب الشمالي ؟ اوه ، حسنا ، انه لشيء مسل ان يكون المرء مكتشفا . بيري اخر او سكوت او شاكلتون . واكتشف بعد ذلك بغتة ان شغفه بالحديث قد نضب . وحدق في الفانق التي في صحنه ، انصت ، انتظر ، وبدأ من جديد ـ اه ، كم هي سماوية البدايات الاولى كذلك ـ ان تسمع او تحس ـ اذ هل كان بوسعه حقا أن يسمعه ؟ ـ الثلج الصامت ، الثلج السري .

(كانت الانسة بيويل تحدثهم الان عن قصة البحث عن الممر الشمالي الغربي ، عن هندريك هدسن ، عن نصف القمر .)

كان هذا ، في حقيقة الامر ، هو السمة المؤلمة الوحيدة في التجربة الجديدة : ذلك انها حملت له في الواقع نوعا من سوء الفهم الصامت ، بل نوعا من الصراع ، مع ابيه وامه . فكان مثل من يحاول ان يعيش حياة مزدوجة . فمن جهة ، كان عليه ان يكون بول هاسلمان، وان يحافظ على مظهر كونه ذلك الشخص ـ ان يلبس ، يغتسل ويجيب بذكاء عندما يوجه له الحديث ، وكان عليه ، من جهة اخرى ، ان يكتشف هذا العالم الجديد الذي تفتح امامه : اذ لم يكن هناك من شك ـ اي شك ـ في ان العالم الجديد كان هو الاكثر عمقا والاشد روعة من بين العالمين . فهو لا يقاوم ، وهو اعجوبة ، وجماله ببساطة يجتاز اي شيء ـ يجتاز الكلمة والفكرة معا ـ لا يطال تماما . اذن كيف كان عليه ، وهو بين هذين العالمين اللذين كان يعيهما بهذا الشكل بصورة مستمرة ، ان يحافظ على التوازن ؟ ذلك ان على المرء ان ينهض من رقاده ، ان يذهب للافطار ، ان يتحدث مع امه ، ان يقصد المدرسة ، وينجز دروسه ـ وفي كل هذا كان عليه ان يحاول أن لا يبدو بمظهر الاحمق لدرجة كبيرة. واذا كان على المرء ، طوال الوقت ان يحاول استخلاص كل المتعة من عالم اخر منفصل تماما ، عالم لا يمكن الحديث عنه ببساطة (ان كانت هناك امكانية للقيام بذلك) ـ فكيف كان بوسعه اذن ان يدبر ذلك ؟ وكيف يستطيع المرء ان يشرح ذلك ؟ بل هل من السلامة شرح ذلك ؟ ام سيبدو ذلك سخيفا ؟ وهل سيعني ذلك ايضا انه سيقع في نوع من المتاعب الغامضة ؟

كانت هذه الافكار تروح وتغدو ، تروح وتغدو ، ناعمة وسرية كالثلج، ولم تكن هذه ، على وجه الدقة ، تهيجا ، بل ربما كانت متعة ، كان يحب ان تلازمه ، كان حضورها شيئا يكاد يكون ملموسا ، شيئا يستطيع ان يداعبه بيده ، دون ان يطبق عينيه ، دون ان يكف عن مشاهدة الانسة بيويل وغرفة الدرس والكرة الارضية والنمش على عنق ديردريسة ، الا انه على نحو ما كان قد كف عن الرؤية حقا ، او انه كان قد كف عن رؤية العالم الخارجي الواضح ، واستعاض عن هذه الرؤيا برؤيا الثلج، بصوت الثلج ، بالدنو البطيء ، الصامت تقريبا لساعي البريد . ويوم امس ، كان ذلك عند البيت السادس تماما حين اضحى ساعي البريد مسموعا ، كان الثلج الان قد اصبح اشد عمقا ، وكان ينهمر بسرعة وغزارة اشد ، واضحى صوت انهماره اكثر وضوحا ، اشد عذوبة ، وموصولا على نحو اقوى . وفي هذا الصباح ـ وبالدقة التي يستطيع قياس ذلك ـ كان قد اضحى فوق البيت السابع تماما ، وقد يكون قبل خطوة او خطوتين ، وفي اكثر الاحتمالات ، فقد سمع خطوتين او ثلاث خطى قبل ان يرن الطرق ... ومع كل ضيق في الافق ، مع كل دنو يختزل المسافة التي كان فيها ساعي البريد مسموعا في البداية ، كان غريبا الطريقة التي تفاقم فيها على نحو حاد مقدار الوهم الذي كان عليه ان يحمله معه الى العمل المألوف للحياة اليومية . ومع كل يوم يمر كانت

تزداد صعوبة النهوض من السرير ، الذهاب الى النافذة ، الاطلال على الشارع الفارغ ـ كما هي الحالة دوما ـ الذي لا ثلج فيه .

مع كل يوم يمر كانت تزداد صعوبة ممارسة حركات التحايا الرتيبة الى امه وابيه عند الافطار ، الاجابة على الاسئلة التي يوجهانها ، رصف كتبه والذهاب الى المدرسة . وكم كانت صعبة بصورة فائقة ، خلال المدرسة ، القيادة الناجحة في آن واحد للحياة العامة والحياة التي كانت سرا . وكان هناك وقت باق فيه ـ بل توجع على وجه التأكيد ـ ان يحكي لكل امرء عنه ـ أن ينفجر بسره ـ فقط ليوقفه في ذات اللحظة تقريبا شعور عميق بان شيئا من السخف موروث فيه ـ ولكن هل كان ذلك سخفا ؟ ـ وما كان يحتل اهمية اعظم هو احساسه بقوة سره الخاص الغامضة . اجل : ينبغي ابقاؤه سرا . ويضحي ذلك واضحا ، اكثر فاكثر ، مقابل اي ثمن يدفعه ، مقابل اي الم يسببه للاخرين ـ

(تطلعت الانسة بيويل نحو مباشرة ، وهي تبتسم ، وقالت « قد نوجه السؤال الى بول . اني متأكدة ان بول سيستيقظ من حلم يقظته الطويل ليعطينا الجواب . هلا تفضلت يا بول ؟ » نهض عن كرسيه ببطء ، مرخيا احدى يديه على المنضدة المتألقة الصقال ، وحدق بعزيمة من خلال الثلج صوب السبورة . كان هذا جهدا ، ولكن كان من الممتع القيام به . اجاب ببطء « اجل ، لقد كان ذلك ما نطلق عليه اليوم اسم نهر الهدسن . ولقد ظن ان هذا هو الممر الشمالي الغربي . فخاب امله .» جلس من جديد ، وحين فعل ذلك استدارت ديردريسة نحوه نصف استدارة بكرسيها ومنحته ابتسامة خجولة من التأييد والاعجاب .)

مقابل اي الم يسببه للاخرين .

كان هذا الجزء منه محيرا تماما ـ محيرا تماما . ذلك ان امه طيبة للغاية ، وكذلك اباه . اجل ، كان ذلك حقيقي بما فيه الكفاية . وكان يود ان يكون طيبا ازاءهما . ان يقول لهما كل شيء ـ ومع هذا ، اهو على خطأ ان كان يريد الاحتفاظ بمكان سري لنفسه ؟

وفي الليلة الماضية ، وقت النوم ، قالت له امه « اذا استمر ذلك يا بني ، فينبغي علينا ان نستشير طبيبا ، ينبغي علينا ! لا يمكن ان ندع ولدنا ـ » ولكن ما هو الشيء الذي فالته ؟ « يعيش في عالم اخر؟» « يعيش بعيدا ؟ » كانت هناك كلمة « بعيد » ، انه واثق من ذلك ، ومن ثم تناولت امه من جديد مجلة وضحكت قليلا ولكن بتعبير لم يكن مرحا ، واحس بالاسى نحوها ...

رن جرس الانصراف . ودف الصوت اليه عبر المتوازيات المنحنية الطويلة للثلج المتهاطل . وشاهد ديردريسة تنهض ، وكان هو قد نهض تقريبا ، ولكن ليس بنفس السرعة التي نهضت فيها .

ـ ٢ ـ

خلال العودة ، التي كانت بلا زمن ، صوب البيت ، سره ان يتطلع خلل رفقة ـ او معاكسة الثلج ، الى تفاصيل برانية الوجود المجردة على طريقه . كان هناك فوق الارصفة انواع عديدة من القرميد ، مرصوفة باساليب متعددة الاشكال . وكانت جدران الحدائق متنوعة هي الاخرى ، بعضها ذو اسوار خشبية ، والبعض الاخر من الجبس ، والبعض من الحجر . وفوق المشى ، تهدلت اغصان الشجر الكثيف ، فيما كانت براعم السوسن الشتوية الخضراء الصغيرة الصلبة ، ملفوفة مكتنزة فوق السيقان الرمادية ، كانت هناك اغصان اخرى رفيعة للغاية ورائعة وسوداء وجافة . وتجمعت في الدغل عصافير كئيبة ، كدرة اللون مثل ثمرة ميتة مهجورة على شجرة جرداء . وزاط زرزور لوحده فوق دوارة اتجاه الريح . وفي مجرى للمياه ، قرب احدى البالوعات كانت ، هناك قصاصة من صحيفة ممزقة وقذرة ، مخشورة في دلتا صغيرة من الاقذار ، وظهرت باحرف كبيرة كلمة اكزيما ، وتحتها كانت هناك رسالة من السيدة اميليا دي كرافات ، ٢١٠٠ شارع باين ، فورت ورث ـ تكساس ، تشير الى انها بعد ان ظلت مريضة لسنوات ، افلح مروخ كالي في اشفائها . وفي الدلتا الصغيرة ، جنب مجرى الامتداد العميق من الطين الاسمر ، ذي شكل المروحة ، كانت هناك اغصان صغيرة ضائعة ، نازلة من اشجارها الام ، وعلب كبريت فاسدة ، عنقود كستناء متعفن ، كوم صغيرة من الحصى البراق على حافة مجرى المياه القذرة ، كسرة من قشرة بيض ، خيط من نشارة الخشب الصفراء كانت مبللة وقد جفت الان ونبيست ، حصاة سمراء وريشة مكسورة . وفي الامام كان رصيف من الاسمنت ، مصمم على هيئة متوازيات اضلاع هندسية ، وعند احدى نهاياته لوح نحاسي يكرس ذكرى المقاولين الذين شيدوه ، وعبر منتصف الطريق ، خلد حجر صناعي نسق مشوش وعشوائي لاثار خطى اقدام كلب . وكان يعرف هذا ، وكم هي عديدة المرات التي خطا فوقه . وكم كانت نفطيه التجاويف الصغيرة بقدمه تسلية غريبة ، واليوم قام بذلك كرة اخرى ، ولكن بدون مبالاة وبشعور من الانفصام ، مفكرا طوال الوقت بشيء اخر . كان هناك كلب ارتكب ، قبل زمن طويل ، خطأ ومشى فوق الاسمنت الذي كان ما يزال رطبا انذاك . وربما كان الكلب قد هز ذيله ، الا ان ذلك لم يسجل . واجتاز بول هاسلمان الان وهو في الثانية عشر من عمره ، في طريقه من المدرسة الى البيت ، نفس النهر ، الذي تجمد مع الزمن وصار حجرا ، صوب البيت عبر الثلج ، عبر الثلج المتهاطل في نور الشمس المتألق . صوب البيت ؟

بعد ذلك جاءت البوابة والعمودان اللذان كانت ترتفع فوقهما صخرتان ذواتا شكل بيضوي وهما تستقران متوازيتين بمهارة على طرفيهما ، كما لو ان كولومبس كان هو الذي اركزهما ، مجبستين في ذات وضع التوازن : مصدرا للعجب الدائم . وعلى الجدار القرميدي ، خلفهما مباشرة ، كان هناك حرف هـ محفور ، وربما كان ذلك لغرض معين . هـ ؟ هـ .

والحنفية الكبيرة الخضراء ، ذات حلقة صغيرة خضراء الاهاب مربوطة الى مفتاحها النحاسي .

وشجرة الدردار ، ذات الجرح الرمادي العميق في اللحاء ، الكليوي الشكل ، الذي كان يضع عليه يده دوما ـ ليحس الخشب البارد والحي كذلك . وكان واثقا أن الجرح قد سببته عضات حصان مربوط . اما الان فلم يكن نصيبه سوى كف عابرة ، ومجرد نظرة غفران . كانت هناك اشياء اكثر اهمية . معجزات . فخلف الافكار عن الشجر ، لم يكن سوى الدردار . وخلف الافكار عن الارصفة ، لم يكن سوى الحجر ، سوى القرميد ، سوى الاسمنت . وكذلك حتى خلف الافكار عن حذائه ، الذي يجوب الارصفة باستسلام ، رافعا ـ الى الاعلى ـ وزر سر محكم . وتأمله ، لم يكن مصقولا بصورة جيدة : فقد اهمله ، لسبب وجيه تماما : كان واحدا من الاجزاء العديدة للصعوبة المتفاقمة في العودة يوميا الى الحياة اليومية ، الى الكفاح الصباحي . في النهوض ، بعد ان يكون المرء قد فتح عينيه اخيرا ، في ارتياد النافذة ، واكتشاف ان الثلج لم يكن هناك ، في الاغتسال ، في اللبس ، في نزول العتبات المتعرجة الى الافطار .

مقابل اي الم يسببه للاخرين ، غير ان على المرء أن يواصل حالة الانفصام ، طالما بقيت حالة انعدام قابلية ايصال التجربة تتطلبها . انه لشيء حسن ، بطبيعة الحال ، ان تكون رحيما بامك وابيك ، وبشكل خاص حين يكون القلق قد بدا عليهما ، ولكن من المستحسن كذلك ان يكون المرء حازما . واذا كان قد قرر ـ كما يبدو ذلك محتملا ـ استشارة طبيب ، هو الدكتور هاولز ، من اجل ان يفحص بول ، وان ينصت الى قلبه عبر ما يشبه الديكتافون ، الى رئتيه ، الى معدته ـ حسنا ، ان ذلك شيء لا بأس به ، وسيجتازه ، ويرد الجواب على السؤال ايضا ـ وربما قدم لهم اجوبة لم يتوقعوها ؟ كلا . لن ينفع ذلك ابدا . فالعالم السري ينبغي ان يصان ، مهما يكن الثمن .

كان عش الطير في شجرة التفاح مهجورا ـ كان وقت السنة غير الملائم للحمرات★ . لقد فقد الباب الاسود الصغير المدور جاذبيته .

★ الحمرات Wrens نوع من الطيور المغردة الصغيرة ، ذات لون بني ، واجنحة قصيرة مستديرة ، وذيل مستقيم قصير ، واشهر انواعها الحمرة البيتية التي تكثر شرق الولايات المتحدة .

كانت الحمرات تمتع نفسها في بيوت اخرى ، في اعشاش اخرى ، في اشجار اكثر بعدا . وكانت هذه ايضا فكرة لم يستمتع بها الا بصورة غامضة وبنوع من التماس الخفيف . كأنه لم يلمس في تلك اللحظة سوى حافتها . كان هناك شيء قصي احتل لنفسه اهمية اكثر الحاحا . شيء كان يجرح زوايا عينية ، ويجرح زوايا عقله كذلك ـ وكان ممتعا ان يفكر كم اراد هو ذلك ، كم انتظره ـ ورغم هذا فقد وجد نفسه يتمتع بهذا المزاح العابر مع عش الطير ، كما لو كان ذلك تأجيلا وتعجيلا متعمدا تماما للبهجة المرتقبة . وكان يعي تأخره ، يعي ابتسامه وحملقته الساهمة والفارغة الان تقريبا الى عش الطير الصغير . كان يعي اي شيء ينتظره بعد ذلك : شارع التل القرميدي الصغير ، بيته نفسه ، النهر الصغير عند قاع التل ، دكان البقال والرجل الكارتوني في نافذة العرض . وفكر بكل هذا الان ، ادار رأسه مبتسما ما يزال ، متلفتا ذات اليمين واليسار خلل نور الشمس المشبع بالثلج .

كان ضباب الثلج ما يزال ، كما تنبأ به ـ شبح من الثلج الهاطل في نور الشمس البرّاق ، ناعم ورتيب ، طاف ومستدير ومتوقف ، معانقا بصمت الثلج الذي غطى ـ كسراب شفاف ـ حجر القرميد العاري المتألق . واحبه ـ توقف ساكنا واحبه ـ كان جماله مذهلا ـ يجتاز كل الكلمات ، كل التجارب ، كل الحلم . ولم يكن هناك من قصة خرافية قراها بوسعها ان توازيه ابدا ، ولم يكن هناك من شيء منحه ابدا مثل هذا المزيج المذهل من العذوبة الشفافة مع شيء اخر ، لا يسمى ، مخيف بخفة ولذة وحسب . ماذا كان هذا الشيء ؟ وفي اللحظة التي فكر فيه ، رفع رأسه متطلعا صوب نافذة غرفة نومه ، التي كانت مشرعة ـ وكان ذلك كأنه تطلع مباشرة داخل الغرفة وشاهد نفسه مستلقيا في سريره نصف يقظان . هناك ان ـ في تلك اللحظة العابرة ذاتها ربما كان في الواقع ما يزال هناك ـ حقيقي اكثر مما هنا وهو واقف عند طرف شارع التل القرميدي ، واحدى يديه مرفوعة تظلل عينيه من الشمس ـ الثلج. وهل كان قد غادر غرفته ، طوال هذا الوقت حقا ؟ منذ ذلك الصباح الاول نفسه ؟ وهل ما زال الدنو الذي يأخذ كامل مجراه هناك ، اما زال هو الصباح الاول ، وساعي البريد ألم يأت بعد عند المنعطف ؟..

وانسته هذه الفكرة ، وبآلية ، فيما فكر بها ، ادار رأسه صوب قمة التل . لم يكن هناك ، بطبيعة الحال ، أي شيء ـ لا شيء ولا احد. كان الشارع فارغا وساكنا . وخطر له ، اكثر من هذا وبسبب من فراغ الشارع ، ان يعد البيوت ـ وهو شيء كان من الغريب حقا انه لم يفكر ان يقوم به قبل ذلك . وكان يعرف في الواقع انه لم تكن هناك كثير من البيوت ـ اي الكثير منها على جانب الشارع الذي يقع فيه بيته ، والتي كان يعدها اثناء قدوم ساعي البريد ـ ورغم هذا فقد داهمته كالصدمة حين اكتشف انه لم يكن هناك سوى ستة بيوت فقط ، قبل بيته ـ اذن فقد كان بيته هو السابع .

ستة !

وتطلع الى بيته مذهولا ـ نظر الى الباب الذي يحمل رقم ثلاثة عشر ـ ثم ادرك ان المسالة بكاملها كانت على وجه الدقة وبصورة منطقية وحمقاء مثلما كان ينبغي عليه ان يدركها . ورغم هذا فقد منحه تحقق هذا الادراك بغتة وبشكل مخيف الى حد معين ، احساسا بالعجلة . فقد دفع ليكون متعجلا ، وقد حث ليضحي مندفعا ، ذلك لانه ـ وعقد حاجبيه ـ لا يمكن ان يكون على خطأ ـ فقد كان ذلك عند البيت السابع على وجه الدقة ، نفس بيته ، حين اضحى ساعي البريد مسموعا هذا الصباح ذاته . ولكن في هذه الحالة ـ في هذه الحالة ـ هل يعني ذلك انه لن يسمع في الغد شيئا ؟ ذلك ان الطرقة التي سمعها لا بد وانها كانت على باب بيتهم نفسه . وهل يعني هذا ـ وهذه فكرة اعطته احساسا استثنائيا حقا بالدهشة ـ انه لن يسمع ساعي البريد مرة اخرى ابدا ؟ ـ وهل سيكون ساعي البريد صباح الغد قد اجتاز البيت فعلا في ثلج عميق للغاية لتصبح خطى اقدامه صامتة كليا ؟ ويكون عندها قد اتم انحداره في الشارع المغطى بالثلج بصمت مطبق ، بسرية مطبقة ، بينما يكون هو ، بول هاسلمان ، ما زال لم يستيقظ في الوقت المحدد ، راقدا هناك على السرير ، او ان كان سيستيقظ في الوقت المحدد ، فهل سيسمع شيئا ؟

ولكن كيف يمكن ان يحدث ذلك ؟ اذا لم تكن حتى المطرقة نفسها قد كتمها الثلج ـ منجمدة تماما ، ربما ؟ ولكن في تلك الحالة ـ .

وتسلط عليه شعور غامض من خيبة الامل ، حزن غامض ـ كأنه قد احس ان يجرد من شيء انتظره طويلا ، شيء لا يقدر بثمن . فهل بعد كل يوم ، وخطى الاقدام اقرب فاقرب ، ومدى العالم المسموع يضيق عبر الثلج الصامت والثلج السري ، والطرقة وهي تزحف اقرب فاقرب كل يوم ، وخطى الاقدام اقرب فاقرب ، ومدى العالم المسموع يضيق على هذا النحو كل يوم ، يفيق ويفيق ، بينما يتكون الثلج ويغمق بوداعة وجمال ، هل يجرد بعد كل هذا من الشيء الاوحد الذي اراده بشوق ـ ان يستطيع ان يعد ـ كما كان يفعل ـ خطى الاقدام الاثنتين او الثلاثة المهيبة الاخيرة ، وهي تتقدم اخيرا صوب بابهم نفسه ؟ وهل سيحدث كل ذلك ، في النهاية ، على هذا النحو المفاجيء ؟ أم ان ذلك قد حدث حقا وعلى نحو فعلي ؟ بدون تدرج بطيء وبارع في الوعيد يستطيع عن طريقه ان يتنعم ؟

حملق الى الاعلى من جديد ، الى نافذته التي برقت في الشمس : هذه المرة تمنى بانفعال تقريبا بانه كان من المستحسن لو كان ما يزال في السرير ، في تلك الغرفة ، اذن لكان الصباح الاول عندها ما يزال ، وستظل هناك ست صباحات اخرى ستأتي ـ او على هذا المنوال ، سبع او ثمان او تسع ـ كيف يمكنه أن يكون واثقا ـ وربما اكثر .

ـ ٣ ـ

بعد العشاء ، بدأ الاستجواب . جلس امام الطبيب ، تحت المصباح ، واستكان بصمت الى الدق والنقر .

« والان هل لك ان تتفضل وتقول « آه ! » ؟

« آه ! »

« والان مرة اخرى ، اذا لم تمانع » .

« آه . »

« قلها ببطء واحجزها ان امكنك — »

« آه — هـ — هـ — هـ — هـ — هـ — »

« طيب » .

لكم هو اخرق كل هذا . كأن لذلك علاقة ما بحنجرته ! او بقلبه او رئتيه !

وارخى فمه الذي كانت زواياه تحس الالم بعد كل هذا المط الاخرق، وزاغ عن عيني الطبيب ، وحدق صوب المدفأة ، مجتازا قدمي أمه (نجفين رماديين) اللذين برزا من الكرسي الاخضر ، مجتازا قدمي ابيه (بخفين بنيين) اللذين اصطفا منتظمين واحدا جنب الاخر فوق بساط الموقد .

« هم — ليس هناك من شيء على وجه التأكيد ... »

واحس عيني الطبيب تستقران عليه ، ورد النظرة ، كأنه اراد فقط ان يكون مؤدبا — ولكن باحساس من المراوغة المبررة .

« قل لي ، الان ، ايها الشاب — هل تشعر انك بخير ؟ »

« اجل ، يا سيدي ، بخير تماماً » .

« لا صداع ؟ لا دوار ؟ »

« لا ، لا اعتقد ذلك . »

« دعني ارى . لنأت بكتاب ، ان لم يكن لديك مانع — نعم ، شكرا ، هذا يؤدي القصد بصورة رائعة — والان ، يا بول ، هـلا قرأت فيه ممسكا به كما اعتدت ان تفعل — »

اخذ الكتاب وقرأ :

« وحمد اخر واجب علي قوله لهذه المدينة أمنا ، هدية اله عظيم ، مجد ارض لابطال ، جبروت الجياد ، جبروت الجياد الفتية ، بأس البحر ... فلاجلك ، يا ابن كرونوس ، توجك هنا ، ربنا بوزيدون بهذا الفخار، اذ انك عرضت في هذه الطرقات اول مرة اللجام الذي يكبح جماح الجياد المطهمة المجداف الجميل ، طوع يد الرجال ، وقد كان له عظيم السرعة في الماء الاجاج ، متعقبا جنبات البحر ذوات المائة قدم ... ايتها الارض المعلاة على كل الارض ، ها هو الان دورك لتحولي كل هذه المدائح المتألقة الى اعمال ترى .. »

وتوقف ، مجربا ، وانزل الكتاب الثقيل .

« كلا — كما اعتقدت — اذ ليس هناك على وجه التأكيد اية علامة ظاهرية على الاجهاد البصري » .

وزحم الصمت الغرفة ، وكان يحس الانتباه المسلط من الثلاثة الذين يواجهونه .

« بوسعنا ان نفحص عينيه ، لكني اعتقد انه شيء اخر » .

« وأي شيء يمكن ان يكون ؟ » كان هذا صوت ابيه .

« انه هذا الشرود الغريب فحسب — » كان هذا صوت امه .

وفي محضر الطبيب كان كلاهما يبدوان لجوجين بانفعال .

« اعتقد انه شيء اخر . والان يا بول — اود كثيرا ان اوجه اليك سؤالا او سؤالين ستجيب عليهما ، اليس كذلك — انك تعرف انني صديق قديم ، قديم لك ، هه ؟ هذا صحيح ! .. »

ونقر ظهره مرتين بقبضة الطبيب المكتنزة — ثم كشر بوجهه بمودة مفتعلة ، بينما هرش الزر العلوي لصدريته . خلف كتفي الطبيب ، كانت النار ، اصابع النار تصنع نورا راقصا امام مؤخرة المدفأة الهبابية ، وكان الصوت الخافت لرفيقها العشوائي هو الصوت الوحيد .

« اود ان اعرف — هل هناك ما يقلقك ؟ »

كان الطبيب يبتسم مرة اخرى ، جفناه نازلان على الحدقتين السوداوين الصغيرتين اللتان كانت تتألق فيهما حبة صغيرة بيضاء من الضوء . لم ينبغي ان يرد عليه ؟ لم يرد عليه اطلاقا ؟ « مقابل اي الم يسببه للاخرين » — بل ان كل هذا ليس الا اقلاق للراحة ، هذه الضرورة المقاومة، هذه الضرورة للانتباه : كان مثل امرىء ينتصب فوق مسرح باهر الاضاءة ، تحت الوهج الدائري العظيم لرفعة الضوء ، كأن المرء لم يكن سوى نقمة مدربة ، او كلب بهلوان ، او سمكة اخرجت من ذيلها . ولسوف يناسبهم للغاية لو انه نبح او زمجر فقط . وفيما كان يفتقد تلك الساعات القليلة الاخيرة الغالية ، تلك الساعات التي كانت كل دقيقة فيها اكثر جمالا من الاخرى ، اكثر وعيدا — ؟ ظل يتطلع ، كما لو كان من مسافة بعيدة ، صوب حبات النور المتألقة في عيني الطبيب ، صوب الابتسامة الثابتة المفتعلة ، ثم تطلع الى ما وراء ذلك كرة اخرى ، الى خفي أمه ، خفي ابيه والرفيف الناعم للنيران . حتى هنا ، حتى بين هذه الكائنات العدائية ، وتحت هذا النور المعد سلفا ، كان بوسعه ان يرى الثلج ، كان بوسعه أن يسمعه — كان في زوايا الغرفة ، حيث الظلال اشد عمقا ، تحت الطنفة ، خلف الباب نصف المفتوح ، الذي يفضي الى غرفة الطعام . وهنا كان اكثر رقة ، اكثر نعومة ، يوشوش اكثر الهمسات عذوبة ، كأنه تحلى عن عمد ، اجلالا لغرفة الاستقبال ، بـ « اخلاقه » ، فابقى نفسه بعيدا عن الانظار ، اخفى نفسه ، ولكن بهيئة من يقول بوضوح « آه ، ولكن انتظر فقط ! انتظر حتى نخلو بنفسينا فقط ! عندها سنوافيك بشيء جديد ! شيء ابيض ! شيء بارد ! شيء ناعس ! شيء للنوى والسلام ، ولقوس الفضاء المتألق الطويل ! قل لهم ان يذهبوا! اطردهم ! ارفض الكلام . اتركهم واصعد السلم الى غرفتك ، أطفىء الضياء واصعد الى سريرك — ساذهب معك ، ساكون بانتظارك ، ساقص عليك قصة اجمل من قصة كاي الصغيرة المزحلقة على الجليد او من قصة منسبح الثلج ، سأحيط سريرك ، ساغلق النوافذ ، وسأركم كوما عميقا خلف الباب ، لكي لا يستطيع احد الدخول ابدا . تكلم معهم .. »

وبدا كأن صوت الصفير الهامس ينبعث من حازون ابيض بطيء متكون من الندف المتساقطة في الزوايا جنب النافذة الامامية — لكنه لم يكن متأكدا . واحس بنفسه يبتسم عندها ، وقال للطبيب ، دون أن يتطلع اليه ، مستمرا في النظر الى ما وراءه —

« اوه ، لا ، لست اعتقد — » .

« لكن هل انت على ثقة من ذلك يا بني ؟ »

جاء صوت ابيه عندها ناعمـا وباردا — الصوت المألوف للوعيد الناعم ...

« لست مضطرا الى ان تجيب في الحال ، يا بول ، تذكر اننا نحاول مساعدتك — قلب الامر وكن متأكدا . هل ستفعل هذا ؟ »

واحس نفسه يبتسم من جديد ، ازاء فكرة ان يكون متأكدا . يا لها من نكتة ! كأنه لم يكن على ثقة تامة من ان النظمين لم يعد ضروريا ، وان كل هذا الاستجواب ليس الا نكتة حمقاء . مهزلة هيولية ! فأي شيء كان بوسعهم أن يعرفوه عنه ؟ هذه العقول البلهاء ، هذه الادمغة البليدة المربوطة الى كل ما هو مألوف الى كل ما هو عادي ؟ مستحيل ان يخبرهم عنه ! ولم يخبرهم ، وحتى الان ، حتى الان ، والبرهان متوفر تماما ، هائل تماما ، وفي متناول اليد تماما ، حاضر هنا الى حد مدهش تماما ، في ذات هذه الغرفة فهل استطاعوا ان يصدقوه ؟ هل استطاعت امي ان تصدقه ؟ كلا — كان واضحا للغاية ، أن اي شيء سيقوله عنه ، اي تلميح يعطى مهما يكن بسيطا ، سيجعلهم متشككين — سيضحكون — سيقولون « هراء ! » ويتصورون عنه اشياء ليست صحيحة .

« لماذا لا ، لست قلقا — ولم اكون كذلك ؟ »

ثم تطلع مباشرة الى عيني الطبيب ذات الجفنين النازلين ، وانتقل من واحدة الى الاخرى ، من حبة النور الى الاخرى ، اطلق ضحكة صغيرة .

وبدا على الطبيب الارتباك . وأتكأ على كرسيه ، مرخيا يدا مكتنزة بيضاء على ركبتيه ، وتلاشت الابتسامة ببطء من على وجهه .

قال « حسنا ، يا بول ! » وتوقف محزونا « اني خائف من انك لا تأخذ المسألة بجدية كافية . وانك لا تدرك بالضبط — لا تدرك بالضبط — » واخذ نفسا سريعا عميقا واستدار ، كما لو كان عاجزا ومنتقدا الكلمات ، الى الاخرين . لكن امه وأباه كانا صامتين كليهما وليس من نجدة ستأتي .

« ينبغي عليك ان تدرك ، ان تعي ، انك لم تكن على ما يرام مؤخرا ؟ الا تدرك ذلك ؟... »

كان ممتعا ان يرقب محاولة الطبيب المتجددة للابتسام ، ويرقب النظرة المشوشة الغريبة ، كأنه كان فيها هناك حيرة خفية .

وأجاب « اني اشعر باني على ما يرام تماما يا سيدي . » واطلق من جديد الضحكة القصيرة .

واضحت نبرة الطبيب اكثر حدة « نحن نحاول مساعدتك » .

« نعم ، يا سيدي ، اعرف ذلك . ولكن لماذا ؟ انني بخير تماما ، فانا افكر فقط ، هذا كل ما هناك » .

قامت والدته بحركة سريعة الى الامام ، مرخية يدا على مؤخرة كرسي الطبيب .

قالت « تفكر ؟ ولكن ، باي شيء ، يا عزيزي ؟ »

كان هذا تحديا مباشرا ـ ينبغي مجابهته مباشرة . ولكن قبل ان يجابهها ، تطلع الى الزاوية عند الباب من جديد ، كأنه اراد ان يطمئن. وابتسم مرة اخرى لما شاهده ، لما سمعه . كان الحلزون ما يزال هناك ، يدوم بخفوت مثل شبح قطيطة صغيرة بيضاء تطارد شبح ذيل ابيض ، مصدرا وهو يفعل ذلك اكثر الهمسات خفوتا . اذن فكل شيء على ما يرام ! فقط لو كان بوسعه ان يظل حازما ، اذن لسار كل شيء على احسن ما يرام .

« أوه ، باي شيء ، بلا شيء ـ انت تعرفين الطريقة التي نفعلين بها ذلك ! »

« هل تعني احلام اليقظة ؟ »

« أوه ، لا ـ التفكير ! »

« ولكن التفكير ، بأي شيء ؟ »

« اي شيء . »

وضحك للمرة الثالثة ـ ولكن حدث ان نظر الى وجه امه ، فاصابه الفزع بسبب التأثير الذي بدا ان ضحكته قد تركته فيها . لقد فغرت فاها بسمة من الرعب .

... كان هذا شيئا مؤسفا ! سوء حظ ! كان يدرك انها ستسبب الالم ، بالطبع ـ لكنه لم يكن يتوقع ان يصبح الامر على هذا القدر من السوء . ربما ـ ربما لو أعطاهم فقط لمحة خاطفة ضئيلة ؟

قال « بالثلج ! »

« ماذا بحقك ! » كان هذا صوت ابيه . وزحف الخفان البنيان خطوة الى الامام فوق بساط الموقد .

« ولكن ، ماذا تعني ، يا عزيزي ! » كان هذا صوت أمه .

واكتفى الدكتور أن يحلق فقط .

« مجرد ثلج ، هذا كل ما هناك . اني احب التفكير فيه . »

« اخبرنا عن هذا ، يابني . »

« ولكن هذا كل ما هنالك . ليس هناك ما يقال . انت تعرف ما هو الثلج » .

قال هذا بغضب تقريبا ، فقد احس انهم يحاولون محاصرته .

واستدار جانبا ليكف عن مواجهة الطبيب ، مفضلا ان يرى بوصة السواد بين ظلفة النافذة والستائر المسدلة ، البوصة الباردة من الليل البارد الملوح . ومرة اخرى شعر بالتحسن ، وبانه اكثر ثقة .

« أماه ، الا استطيع الذهاب الى الفراش الان ، ارجوك ؟ لقد اصبت بالصداع » .

« ولكنني ظننت انك قد قلت ـ »

« لقد اصابني لتوه ، بسبب كل هذه الاسئلة ـ ! الا استطيع ، يا اماه ؟ »

« بوسعك ان تذهب حالما ينتهي الطبيب » .

« الا تعتقد ان هذا الشيء ينبغي ان يفحص بصورة شاملة ، والان ؟ » كان هذا صوت ابيه ، وتقدم الخفان البنيان خطوة اخرى ، وكان الصوت ، صوت « العقاب » الشهير ، مرنا وقاسيا .

« أوه ، وما الفائدة يا نورمان ـ »

وبغتة اضحى الكل صامتين . الا انه كان يحس ، دون ان يكون بمواجهتهم تماما ، ان ثلاثتهم جميعا كانوا يراقبونه بتركيز استثنائي ـ محدقين فيه بقسوة ، كما لو كان قد ارتكب شيئا مهولا ، كما لو كان نفسه قد اصبح غولا . كان بوسعه ان يسمع الرفيف الناعم المشوش للهب ، والكلاك ـ كليك ـ كلاك ـ كليك للساعة ، بعيدا وبخفوت انبجست ضحكتان مباغتتان من المطبخ ، لتموتا بسرعة كما بدأتا ، وهمهم الماء في الانابيب، وبعدها، بدا الصمت كأنه يعمق وينتشر صوب الخارج، ليضحى بطول الدنيا ، بسعة الدنيا ، بلا زمن ، ولا شكل ، ليتمركز محتما وعلى صواب ، بذلك التمركز البطيء الناعس ، وبتكثيف هائل ايضا لكل القوى ، عند بداية صوت جديد . وكان يعرف جيدا اي شيء سيكون هذا الصوت الجديد . ربما بدأ بصفير ، لكنه سينتهي بهدير ـ ليس هناك من وقت يفقده ـ عليه ان يهرب . ينبغي أن لا يقطع هذا هنا ـ

وبدون كلمة اخرى ، استدار وتسلق السلم راكضا .

ـ ٤ ـ

ليس هناك من وقت يفقده . كان الظلام يفد بموجات طويلة بيضاء. وزحم الليل صفير موصول ـ اخترقه عابرا على حين غرة نشيش متصل هائل لمؤثر وحشي ـ صفير بارد واطيء هز النوافذ . اغلق الباب وقذف ملابسه في الظلمة . كانت الارضية السوداء العارية مثل عبارة صغيرة ملقاة بين امواج من الثلج ، مغمورة تقريبا ، مفسولة تحت البياض ، مرتفعة كرة اخرى ، مغطاة بموجات عظيمة متكسرة من الريش . وكان الثلج يضحك ، متكلما من جميع الجهات وفي آن واحد : وتزاحم مقتربا منه حالما ركض وقفز جذلا في سريره .

قال له « اصغ لنا ! اصغ ! جئنا نوافيك بالقصة التي اخبرناك بها . هل تذكر ؟ ارقد . اغلق عينيك ـ الان ، فسوف لن ترى بعد هذا كثيرا . في هذه العتمة البيضاء ، من يستطيع ان يرى ، او يود ان يرى ؟ سنحتل محل كل شيء .. اصغ ـ »

وبدأت رقصة متنوعة جميلة للثلج في مقدمة الغرفة ، تتقدم لتعود وتنسرح فوق الارضية ، لتنتصب مثل شذروان الى السقف ، تتمايل ، تلملم نفسها من جدول ندف جديدة تنسكب ضاحكة الى الداخل عبر النافذة التي تدوي ، متقدمة كرة اخرى ، رافعة اذرعا بيضاء طويلة ، قائلة سلام ، قائلة نوى ، قائلة برد ـ قائلة ـ

في تلك اللحظة انفتح بوحشية جرح عميق من النور المرعب عبر الغرفة من الباب المشرع ـ وانسحب الثلج يفح ـ شيء غريب ولج الغرفة ، شيء عدائي . واندفع هذا الشيء عليه ، تعلق به ، هزه ـ ولم يكن هو مرتعبا فحسب ، بل كان ممتلئا باشمئزاز لم يعرفه طوال حياته .

ماذا كان هذا الشيء ؟ هذا الافلاق القاسي ؟ فعل الغضب والكراهية هذا ؟ وكان هذا كأنه يمد يدا صوب عالم اخر ليدرك ماهيته ـ وهو جهد بالكاد اضحى مقتدرا عليه . ولكنه ما زال يتذكر عن ذلك العالم الاخر ما يكفي ليعرف الكلمات التي تطرد الارواح الشريرة . ومزقت هذه الكلمات نفسها من حياته الاخرى بغتة .

« اماه ! أماه ! اذهبي ! اني اكرهك ! »

وعند ذلك الجهد ، كان كل شيء قد حل ، واضحى على ما يرام : وتقدم الصفير الموصول كرة اخرى ونهضت الخطوط البيضاء المرفرفة وسقطت مثل موجات بحرية هائلة هامة ، وكان الهمس يعلو والضحك اكثر تنوعا .

قال له « اصغ ! سنحكي لك القصة السرية الاخيرة ، والاكثر جمالا ـ اغلق عينيك ـ انها قصة صغيرة للغاية ـ قصة تصبح اصغر فاصغر ـ وهي تأتي من الداخل بدل ان تتفتح كالزهرة ـ انها زهرة تتحول الى بذرة ـ بذرة صغيرة باردة ـ هل تسمع ؟ اننا ننحدر مقتربين اليك ـ »

كان الصفير يتحول الان الى هدير ـ كان العالم كله يتحول الى شاشة شاسعة متحركة من الثلج ـ لكنه حتى هذه اللحظة قال سلام ، قال نوى ، قال برد ، قال رقاد .

بصرة ـ عراق

ترجمة : مصطفى عبود

الثـــورة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٥ ـ

الاسباني بغير اكتراث كبير . واذا كان التدخل الحازم من طرف الملكة دينا لم يقنع رجال البوليس كل الاقناع ، فقد مكنهم على الاقل مـــن ذريعة كانوا يبحثون عنها لحفظ القضية .

بعد عملية اليخت دينا تمت عمليتان اكثر اهمية بكثير ، كانـــت اخراهما قد نفذتها سفينة حربية مصرية . ولم يعد الامر يتعلق ببنادق ـ موسكوتون ـ ولكن بالبنادق الرشاشة ، والرشاشات ، ومدافع الهاون والبازوكا ، وقذائف اليد الدفاعية ، وكمية كبرى من الذخيرة الحربية: اسلحة من صنع الماني وانجليزي ، كانت في معظمها جديدة ، عصرية ومتقنـــة .

وبفضل هذا التسليح استطاعت الثورة الجزائرية ان تتقدم الى العمل ، يوم ٢ اكتوبر ١٩٥٥ في جهة وهران ، الجهة الوحيدة التـــي بقيت حتى هذا التاريخ توصف بانها « هادئة تماما » في تقارير العدو . وبعد قليل ثارت جبال الونشريس بدورها . ومضى الزمن الذي كان فيه الخصم يأمل قهر الثورة بعزل الاوراس . وغدت الان جبهة التحرير الوطني تخوض المعارك في كل انحاء الجزائر الثائرة .

وفي طول الشمال الافريقي كانت الجماهير العربية قـــد حملت السلاح ، لان ثورة جهة وهران كانت قد نظمت بالاتصال مع الثـــوار المغاربة الذين كانوا يشنون العمليات في الريف . بل انهم ارسلوا بكتائب في اتجاه تعزه (١) والاطلس . اذا كانت ثورة الشمال القسنطيني قد احبطت مناورة سوستيل فان الانطلاق المثير يوم ٢ اكتوبر من نفس العام لجهة وهران والريف قد احبط مناورة جراندفال Grandval بالمغرب . واضطر الخصم ، خشية من خسران كل شيء ، الى الاستسلام. فاسرع لإعادة محمد الخامس الى عرشه ومنح المغرب الاستقلال فـــي نطاق التكافل L'interdépendance

لقد ولد استقلال المغرب واستقلال تونس ايضا تأثيرا عميقا على الجزائر . فمن الناحية السياسية بات من المستحيل حرمان الجزائر مما حصلت عليه جارتاها . ولكن ايقاف اطلاق النار في المغرب ـ من جهة اخرى ـ طرح علينا مشكلا خطيرا : ان الجيش الفرنسي من الان فصاعدا مطلق اليدين ليركز علينا عمله . وقد كانت استراتيجيتنا ترتكز على تشتيت قواه في كل انحاء المغرب . وعندما حل السلام بتونس والمغرب ، اصبحنا وحدنا ، من الان ، الذين نقاوم هجمات اسلحته .

اننا لا نستطيع ان ننفي ان بعض المسؤولين الجزائريين ، في ذلك العهد ، شعروا بالمرارة . لقد انتشلنا من النار فستق الاستقلال ، واخواننا كانوا على الحدود يتاهبون لاكله . ولكني فكرت بان الغضب لم يكن يجدي . بل بالعكس كان ينبغي ان نحصل من الوضع الجديد على اقصى ما نستطيع من المزايا للجبهة . وذهبت لمقابلة محمد الخامس في مدريد . ووجدته رجلا بسيطا ذكيا في منتهى النزاهة ، ومهتمـــا كثيرا بعواقب ايقاف اطلاق النار المغربي علينا . قد ابالغ بعض الشيء اذا قلت اني شعرت لديه بنوع من تانيب الضمير في حقنا : هـــذا الاحساس يشرفه كثيرا لانه ، فيما يخصه ، لم يكن له شيء ياخذه على نفسه . وانتهت محادثتنا بنتائج هامة . لقد وعدنا محمد الخامس ، في غيبة المساعدة العسكرية المباشرة ، بمساعدة كبرى . لقد اعطانا ، فيما اعطانا ، تأكيداً صريحا بان تكون الحدود المغربية في كل لحظـــة بالنسبة لنا حدودا صديقة ، وممكنة العبور ، دخولا وخروجا ، للاسلحة والرجال .

(١) منطقة تقع بالمغرب شرقي فاس على الحدود الجزائرية ـ المترجم

بيد انني واصلت ارسال السفن المحملة بالسلاح الـــى الساحل الريفي ، بحظوظ في النجاح مختلفة ، ولكن ايا منها لم يكن بالنسبـــة لنا نكبة كما كانت سفينة لاتوس L'Athos ، التي اختطفتها ، كما هو معروف ، البحرية الفرنسية . لقد كنت اقدر ان هذا النشـــاط السري القوي الذي انسحب على هذه العمليات لن يمر علي بـــدون مفاجآت واخطار .

غير ان العجيب ان المتاعب لم تأتني من المخابرات الفرنسية بل من رجال المخابرات الاميركية . لانهم ، فيما اعتقد ، وجدونا جذريين اكثر من اللازم . لذلك انشأوا في ليبيا ، بالاعتماد على بعض العناصر المعتدلة في جمعية العلماء (١) وفي حزب الاتحـــاد الديمقراطي للبيـــان الجزائري ، شبكة تحت قيادة اميركي مسلم تعمل بازاء شبكتنا .

(١) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حركـــة اسسها المصلـــح الجزائري العظيم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يعتبر موضوعيا وتاريخيا من اكثر زعماء القومية العربية في الجزائر ، بعد الامير عبد القادر ، عداء للاستعمار وفذاذة في الرأي ، وانفتاحا علـــى روح العصر . كان هدفه الاول من انشاء الجمعية محاربة طبقة الكهنوت والشيوخ ، المرتبطة فكرا ومصلحة ، بالطبقة الاستعمارية الغازية ، والتي كانت تروج من المنابر سموم الايديولوجية الاستعمارية ، جاعلة من الاسلام تبريرا وقحا لـ « ضرورة » الحضور الاستعماري ، ونشر الذهانات Psychoses المرصودة لتنويم الوعي الشعبي ، وامتصاص تمرده واستيائه من نظام الاحتلال المهين ، واغراق الروح الكفاحية للشعب في مخاوف رعـــب خرافي .. لتفصلها اكثر فاكثر عن قضايا عصر الثورة العالمية المعاديـــة للاستعمار والاستغلال .

لم يكن ، اذن ، غريبا في منطق اوضاع ذلك العهد ان يغدو ابن باديس هدفا لكل السهام الرجعية : اتهموه بالالحاد والشيوعية. واعلنت مجامعهم نبذه . وكان ائمة المساجد ، الذين تمولهم السلطات الاستعمارية، يلعنونه من المنابر في صلوات الجمع . وكانت ذريعتهم في هذه الحملات الحاقدة بعض الاقوال المأثورة عليه مثل : « اللهم اجعلنا في الدنيا من اهل اليسار وفي الاخرة من اهل اليميـــن » و « الشيوعية خميرة الارض » ... وهي كلمات قالها او كتبها ، بشجاعته المعهودة ، في مواقف حاسمة خذله فيها اكثر انصاره وانجده فيها دعم اليسار الحازم . الا ان السبب الجوهري لتألب الرجعية الدينية العميلة عليه لم يكن مجرد اقواله بقدر ما كانت اعماله التقدمية والوطنية : بينما كان رجال الدين مجمعين على ان اختلاط الفتى بالفتاة رجس من عمل الشيطان ، انشأ ابن باديس سنة ١٩٣٤ اول مدرسة مختلطة في الجزائر للبنين والبنات. وبينما كان بعض قادة البورجوازية « الوطنية » في الجزائر يطـالبون بالادماج ، اي باعطاء الجنسية الفرنسية لكل الجزائريين ، كان ابـــن باديس يرد عليهم في مجلة « الشهاب » نثرا ونظما : وما زال نشيده الذي رد به على فرحات عباس الى اليوم على كل لسان :

شعب الجزائر مسلم ... والـى العروبة ينتسب

مـن قال حاد عن اصله ... او قال مات فقد كذب

او رام ادماجا لـــه ... رام المحال من الطلب

ولكن بعد وفاته تحولت ، مع السنين ، الجمعية الى حزب سياسي لبقايا الاقطاعية والبورجوازية الزراعية المتخلفة ، التي قادت على عهـــد السلطة الثورة ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ ، حملات التكفير ضد دعاة الاصلاح الزراعي ، واختلاط المرأة بالرجل في العمل والدراسة ، وتحرر المرأة الجزائرية من طغيان الاب والزوج ورق القرون ، وانتهاج سياسة حازمـــة ضد الامبريالية الاميركية وتدخلاتها السافرة في كوبا والكونغو وفيتنام وسان دوماجو . ومعروف ان جمعية العلماء وقفت من الثورة المسلحة ، بالاخص ، في البداية موقفا معاديا مرة وانتهازيا مرة اخرى . وكـــان كثير من اعضائها يصفون الثوار بنفس النعوت التي كانت تصفهم بها سلطات الاحتلال ، باستثناء قليل من مناضليها مثل العربي التبسي ورضا موحو ، الذين وقفوا مواقف شريفة من الثورة . ـ المترجم ـ

كان للمخابرات المركزية الاميركية ، هي الاخرى ، بكل وضوح ، هدفان : تسليح القوميين الجزائريين ضد فرنسا (التي كانت حليفتهم في الحلف الاطلسي) وذلك لتقطف منهم غداة الاستقلال ثمار مساعدتها، ومن جهة اخرى دعم المعسكر الجزائري المحافظ على حساب الجزائريين المتهمين بالاشتراكية .

لا هذا ولا ذاك من الهدفين قد نجح . واذا كانت الشبكة الاميركية تشتري ، في الواقع ، السلاح ـ بكميات غير كافية طبعا ـ وقد نجحت مرة او مرتين في ادخاله للجزائر ـ فانها كانت تسلمه لاناس ليست لهم اية رغبة في القتال ، وانما كانوا فور تسلمه يدفنونه الى الابد . الا ان هذه الشبكة ، بالنسبة لنا ، كانت بالعكس تضايقنا بشكل وبيل. ذلك ان عناصر هذه الشبكة كانوا صاخبين وثرثارين ومتعفنين، ومثقلين بالدولار ، ويعيشون ، بالاضافة الى ذلك ، حياة مسرفة ، وبذلك تمكنت المخابرات الفرنسية من رصدهم بسرعة ، وبحماقتهم تمكنت هذه المخابرات من اكتشاف شبكتين من شبكاتنا بروما وليبيا .

هؤلاء الهواة كانوا يحرقوننا . فقررت ان ادخل في العمل ضدهم. وقد التقيت في روما بالاميركي المسلم الذي كان يقود الشبكة . وخلال مشهد عنيف ، هددته بتصفية شبكته اذا لم تتوقف عن العمل . ولكي ابرهن له اني لا امزح حبست الرجال الذين كانوا يأتمرون بأمره في المغرب . ولم اطلق سراحهم الا بوعده الصريح بالكف عن الظهور .

بينما كنت اطارد الشبكة الاميركية ، كنت انا نفسي مطاردا من مصالح المخابرات الفرنسية ، التي ظهرت لي للمرة الاولى في القاهرة في اوائل سنة ٥٦ . كنت في مكتبي الصغير بصدد مكالمة تليفونية ، عندما دخل علي الشاويش وبيده طرد . ورفعت رأسي :

ـ ما هذا ؟

ـ انه طرد باسمك حمله اليك تاكسي من سميراميس .

كان اسمي ، طبعا ، اسما مستعارا يعرفني به قليل جدا من الناس في القاهرة .

ـ هل السائق هنا ؟

ـ ايوه . انه بالاسفل ينتظر البقشيش .

ـ اعطه اياه وسلمه الطرد ، وقل له ان يعيده للمرسل . افعل بسرعة .

ولكن القنبلة كانت زمنية بكل دقة واحكام . فلم يكد التاكسي يقطع مئة متر حتى انفجرت بدوي مرعب . وعندما وصل رجال الشرطة الى مكان الحادث وجدوا الصندوق الخلفي للسيارة معلقا بشرفة في الطابق السادس . اما السائق البائس ـ ضحية بريئة لحرب لا يعلم منها شيئا ـ فلم يعثروا من جسمه الا على بعض الحطام .

وبعد هذه الحادثة قال لي صديقي محساس الذي كان مسؤولا عن الامن :

ـ يجب عليك كليا ان تحافظ جيدا على نفسك . انك متفائل عن نفسك كثيرا . ليس عندك حتى قطعة سلاح .

وبعد هذه الكلمات ادخل في جيبي مسدسا . ورفعت كتفي : مسدس ضد قنبلة !! ولكني احتفظت بالسلاح . وتركت مصر الى ليبيا ، بدون ان اشك في ان فخا اخر ينتظرني في طرابلس.

ان ليبيا هي احب قطر عربي الي ، باستثناء الجزائر طبعا. وقليلة هي الشعوب التي كانت تبدو لي جذابة مثل الليبيين . انهم بسطاء ، اذكياء ، ودودون . واستطيع ان اقول ان حلاوة الطقس انسابت الى ارواحهم . انني اظل مشدوها عندما افكر فيهم ، وفي لطفهم الذي لا ينضب له معين ، وفي قدرتهم الرائعة على الصداقة ، وفي طهارتهم ايضا ، لانهم عاشوا بعيدا عن قلاقل العواصم الكبرى فان الفساد لم يجد اليهم سبيلا + وحتى البورجوازيون الرجعيون في ليبيا يملكون طريقة ما في التصرف تجعلهم ، من بعض الجوانب ، لطفاء .

عندما عدت الى ليبيا بعد الاستقلال ، خصني الليبيون باستقبال لن انساه ما دمت حيا . لقد غمروني بلطفهم وكرمهم فلم اعرف كيف ابرهن لهم عن صداقتي وحبي ، وقد قلدوني لقب دكتور شرف من جامعة بنغازي . وقد كنت نصف متأثر ونصف ضاحك وانا اذكرهم ، بينما كنت اعانقهم ، بان كل ما عندي من الشهادات الفرنسية هي الشهادة الابتدائية ـ متاع خفيف للقب جد ثقيل ـ ولكنهم لم يريدوا ان يصغوا الي . واصبحت دكتورا شرفيا ـ بفضل شعب من اكثر شعوب العالم لطفا وحبا .

كنت في طرابلس ، سنة ١٩٥٦ ، عندما تترك لي مواعيدي قليلا من الوقت ، اذهب للنزهة في الحديقة الكبرى بالمدينة . وفي هذه الحديقة اعطيت موعدا ، قبل ١ نوفمبر ١٩٥٤ بايام قليلة لمصطفى بن بو العيد الذي اصبح فيما بعد القائد الكبير لثورة الاوراس . ولما كان بلا اوراق هوية فقد كان عليه ان يمر على الجنوب التونسي ، ويمشي في الصحراء ، ميتا من العطش ، طوال ايام . ثم وصل مستنزفا ورجلاه داميتان . وفورا اعتقلته السلطات الليبية . وعلمت بذلك وبعد زمن قليل نجحت في اطلاق سراحه . وقضينا معا عشرة ايام لضبط خططنا. كنا نحن الاثنين جد فقيرين الى حد انه لم يكن لنا صالون للاكل غير حديقة طرابلس الكبيرة . وكل ما عندنا من طعام كان قليلا من الخبز والعنب . ولكن قلبينا كانا عامرين بالايمان بميلاد عالم افضل .

عاد بن بولعيد لمقابلتي في اوائل ١٩٥٥ ، ولكن هذه المرة اوقفه رجال الدرك التونسيون . وخلال المعركة للتخلص قتل واحدا منهم . وفر . ولكنهم ادركوه . وسلموه للسلطات الفرنسية التي حكمت عليه بالاعدام . ونجح ، لست ادري بأي معجزة ، في الفرار يوم ٤ نوفمبر من نفس العام ، والتحق بثواره في الاوراس . ولم تكد تمضي بضعة شهور كان خلالها مهتما باعادة تنظيم فرقه ، حتى جاءه الفلاحون يحملون اليه جهاز ارسال كانت احدى الطائرات الفرنسية قد اسقطته « خطأ » بعيدا من مركز عسكري . وكان جهاز الارسال محشوا بالبلاستيك المتفجر فمزق بن بولعيد . كنت اتنزه حزينا في الحديقة حيث تغدينا بزهد قبل عامين . كنت أتذكر صفاء بن بولعيد وقوته الروحية، وصبره امام المحنة ، ولم اكن اشك مطلقا وانا استعيد ذكرى المجاهد الكبير الذي اختفى ، ان الموت كان معي على موعد ، في نفس اللحظة ، بطرابلس .

كان لليد الحمراء اسم وكان لها وجه . انها تدعى جان دافيد . لماذا جعل هذا الرجل ، الذي كان كولونا فرنسيا يعيش في تونس ، نفسه في خدمة اليد الحمراء الفرنسية ؟ ولماذا قبل مهمة قتلي . ان الذين استعملوه يستطيعون وحدهم اليوم ان يقولوا ذلك لنا . سواء كانت اليد الحمراء ام لم تكن فرعا من الاستخبارات الفرنسية ، فقد جعلت الناس في ذلك العهد يتحدثون عنها كثيرا . ونجحت في القيام ببعض المحاولات ضد مناضلينا بالمانيا .

على كل حال كان جان دافيد قتالا كفؤا . لقد كشف عن ذلك البحث . وقد نظم محاولة اغتيالي بعناية كبيرة خلال ستة شهور لانه نظرا لعلاقاتي مع الحكومة الليبية ، فقد كان يظن اني محرس وهو ما لم اكنه . هذه العلاقات كانت موجودة ، والمساعدة كانت حقيقية ، ولكنها كانت تعطى لنا في سرية مطلقة ، لان ليبيا كانت ما زالت تحت النفوذ الاجنبي ، ورئيس الشرطة كان انجليزيا .. كان علي اذن ان اعمل في شروط السرية التامة . وان امر متواريا عن انظار الجميع ، بما في ذلك البوليس ومصالح الامن الليبية .

ظل جان دافيد يحضر خطته مدة ستة شهور ، مقدما نفسه على انه نائب دار تجارية . وكان لا يفتأ يتردد بين تونس وليبيا . وقد عود الجمارك الليبية والبوليس الليبي على رؤيته يمر بالليل والنهار في سيارته ، دائما متأدبا ودائما بشوشا ... واخذ الليبيون بلطافة هذا الاوروبي ، وبالتعود ، اذا جاز القول ، على مروره المتعاقب بدأوا يعفونه شيئا فشيئا من الاجراءات الطويلة التي يفرضها على الاجنبي الراكب للسيارة عبور الحدود . وهذا التعود كان ، بالنسبة لجان

(٥) الكولون هو اسم طلق على الفرنسي الذي يمتلك الارض بالمستعمرات . واسمه مشتق من لفظ الاستعمار . ـ المترجم ـ

دافيد ، ذا اهمية ، لانه بعد ان يضرب ضربته كان عليه ان يفكر في امنه ، وفي العودة الى تونس باسرع ما يكون .

هناك عواصم لا يستغرب المرء ان تصبح أوكارا مغلقة للعمـلاء السريين . ولكن طرابلس لم تكن في عداد هذه العواصم . فلا شـيء اكثر هدوءا من هذه المدينة المحبوبة . انها تستطيع دائما ان تستغني عن البوليس لان الناس مسالمون . كنت اسكن في فندق جد صغير ولكنه نظيف يدعى : اكسيلسيور Excelsior وكان صاحب الفنـدق ينام مبكرا . ولم يكن الفندق محروسا بالليل الا من حارس لا يحرس الا قليلا . كلما كنت اعود لانام في ساعة متأخرة ، لاني كنت احدد مواعيدي مع الليل ، كنت اجده دائما غافيا خلف المنضدة .

في ذلك اليوم عندما عدت الى الفندق ـ اكسيلسيور ـ حـوالي الساعة الواحدة صباحا رأيت سيارة واقفة امام الفندق . وعرفت منها انها كانت سيارة أوروبي قاطعته بالطريق في نفس الامسية عندما كنت خارجا من الفندق . ولاحظت خفية ان الكرسي الخلفي كان مملوءا بالحقائب ، كما لو ان صاحب السيارة كان يستعد للسفر .

كان الحارس ، بطبيعة الحال ، نائما . فاخذت مفتاحي من غير ان اوقظه . وصعدت للطابق الاول . وفتحت بابي وامررت يدي مـن انفتاحة الباب القليلة لانارة الغرفة . وادرت الزر ولكن شيئا لم ينره . فكرت : « القنديل محروق » وتقدمت خطوة للدخول الى الغرفة. وفي هذه اللحظة بالذات ، شعرت في اعماقي باشارة الخطر الخفية التـي تنذرنا غالبا بعد ربع الثانية الاخير ، بان خطرا يهددنا . وتوقفت: ربما كان مهاجمي قد احس بترددي ، لانـه لـم يكن ينتظر ان اعـود فاغلق الباب . ثم ضرب . ولكنه ضرب قبل الاوان . لا على الرقبة كما كـان ينبغي ان يفعل . ولكن على جانب الرأس . كانت ضربة رهيبة . ولكني لم اسقط ولم افقد وعيي . وشددت جمع يدي في اتجاهه فضربتـه وضربني هو الاخر . احسست باني اوشك ان اتلاشى . وفكرت فـي مسدس محساس فتراجعت وانبطحت على الارض ثم اطلقت النار .

اطلقت شحنة بكاملها في اتجاهه دون ان اصيبه ، واعتقد انـه اطلـق النار ايضا لان زجاج النافذة التي كانت خلفي قد تطاير شظايا. وكانت الطلقات تدمدم بقوة تصم الاذان . ورأيت هيكله ينسل فـي الظلام من زاوية الباب المضاءة وادركت انه يلوذ بالفرار .

وقفت مترنحا ، واحسست بسائل حار يسيل على وجهي ، ودون ان افكر بانه لم يعد عندي ولا طلقة واحدة لمسدسي لحقت بخصمي . وادركت الدرج ، وما ان وضعت رجلي في الدرجة الاولى حتى سقطت مغشيا علي ورحت اتدحرج الى اسفل .

واشعرت الجهات المختصة بالتلفون . فاقيم سد في الطريـق . ولكن جان دافيد هجم على السد فابتعد رجال الدرك ومر . ولكنـه ارتكب خطأ : انه احسن الظن كثيرا بااللطافة الليبية . فعلى بعد بضعة كيلومترات من الحدود ، اقيم دونه سد اخر ، واراد ان يجتازه بالقـوة مثل السابق . ولكن الرصاص انهال عليه فسقط قتيلا .

***

ضمدت جراحي . وعولجت ، وشفيت بسرعة . لقد منحني القدر وقف التنفيذ ، ثم انذرت بالخطر في روما . ولكـن لـم يحصل شيء خطير . لقد كنت احمي نفسي بحركتي الدائبة . لا ابقى ابدا طويلا في مدينة واحدة ، وجل الوقت كنت ، لضرورة ارسال السلاح ، انتقل من مكان الى مكان ، حتى اني استطيع القول اني امضيت حياتي في الطائرة بلا ادنى مبالغة . كنت في الاجواء بلا انقطاع ، في مكان ما بين القاهرة، وطرابلس ، ورومة ، ومدريد ، وتطوان .

وما زلت اذكر ، باني كنت عندما اجلس على مقعد الطائرة واشد حزامي ، افكر باني ، هنا على الاقل ، سأتمتع باستراحة : وساكون ـ لبضع ساعات ـ في امان تام .

كنت مخطئا . والمستقبل لم يتوان عن افهامي ذلك .

ترجمة العفيف الاخضر

النشاط الثقافي في العرب

الاتحاد السوفياتي

مؤتمر الكتاب السوفيات بباكو

***

عقدت اللجنة السوفيتية للعلاقات مع كتاب اسيا وافريقيا جلسة موسعة في مدينة باكو ، عاصمة اذربيجان بالاتحاد السوفياتي ، دعت اليها عددا من الادباء في اسيا وافريقيا لتعزيز التضامن مع شعب الفيتنام في نضاله ضد الامبريالية الاميركية .

وقد دام المؤتمر ثلاثة ايام (٣٠ و ٣١ اب و ١ ايلول ١٩٦٦) وحضره مندوبون عن الاتحاد السوفياتي وبلغاريا وهنغاريا والفيتنام (الشمالية والجنوبية) وغواتيمالا وغينيا والمانيا الشرقية وداهومي والهند وكينيا وكوبا ومنغوليا وبولونيا والولايات المتحدة والسودان وتانزانيا وتركيا وفنلندا وفرنسا وسيلان وتشيكوسلوفاكيا وشيلي ويوغسلافيا واليابان ، كما حضره من الكتاب العرب السادة الدكتور عبد القادر القط ومرسي سعد الدين (الجمهورية العربية المتحدة) والدكتور سهيل ادريس وعايدة مطرجي ادريس واميلي نصر الله وادونيس وحسين مروة ومحمد دكروب (لبنان) ومولود معمري وجان سيناك (الجزائر) والدكتور احمد شاكر الشلال (العراق) وعبد الله حامد الامين (السودان) .

وقد تكلم عدد من المندوبين في الجلسات العلنية الثلاث التي عقدها المؤتمر في الموضوعين الرئيسيين : تأييد شعب الفيتنام في نضاله ضد الاستعمار الاميركي ، ونضال شعوب اسيا وافريقيا من اجل التحرر .

واصدر المؤتمر ثلاثة بيانات عقب انتهاء جلساته ، يتعلق اولها بالفيتنام ، ويضم الثاني نداء الى كتاب اسيا وافريقيا . اما الثالث فيتحدث عن اجتماع اللجنة التنفيذية لمؤتمر كتاب اسيا وافريقيا ، هذا الاجتماع الذي تقرر فيه عقد المؤتمر الثالث لكتاب اسيا وافريقيا في بيروت في اواخر شباط (فبراير) القادم ١٩٦٧ .

بيان بتأييد نضال فاييتنام

باسم الادباء السوفيات ، نعلن عن احتجاجنا واستنكارنا لعدوان الولايات المتحدة الاميركية على الفيتنام ونؤكد تضامننا المناضل مع شعب فيتنام البطل .

اننا نرى اليوم واحدة من ابشع الجرائم في التاريخ الانساني تقع تحت انظارنا ، فان المعتدين المسلحين حتى اسنانهم يحاولون ، على مبعدة الاف الاميال من ارضهم ، ان يفرضوا – بالدم والنار – على شعب بلد صغير ، حكما يناسبهم بزرع الموت والخراب وباستخدام الوسائل البربرية كالنابالم ومواد التدمير الكيماوية . ولا يحدث هذا في عهد متوحش او في اعوام القرون الوسطى المظلمة ، وانما في النصف الثاني من القرن العشرين المتحضر ، قرن معجزات التكنيك والنفاذ الى جسم الذرة والنواة والصعود الى الكواكب . ان العدوان في الفيتنام بحجة مكافحة الشيوعية شهادة اضافية على ان الامبريالية هي اعدى اعداء الشعوب وثقافتها وعلى ان عهد الضغط والعنف ينبغي الا يجد له بعد مكانا في الارض .

على اننا نرى باعيننا كذلك ولادة نصر من اعظم انتصارات التاريخ البشري . ذلك ان عمال جمهورية فيتنام الديمقراطية ومناضلي فيتنام الجنوبية الذين يبدون شجاعة لا تقهر يقاومون مقاومة شديدة الغزاة الاجانب ويدافعون عن كرامة وطنهم وحريته ، وحق شعبه المقدس في تقرير مصيره بنفسه . وليست الفيتنام المناضلة وحدها ، فان الى جانبها الدول الاشتراكية الشقيقة ، وجميع القوى الثورية في عصرنا ، وكل الذين تهمهم قضية السلام والتقدم الاجتماعي .

فهل يستطيع المثقفون ان يتابعوا هذه المعركة بلامبالاة ، ومن غير ان يبذلوا كل ما في طاقتهم لتنتصر قضية شعب الفيتنام العادلة ؟ ان الجواب على هذا السؤال قد اعطي في الكلمات التي ألقيت من على هذا المنبر في هذه الندوة الادبية . اننا نحن الكتاب السوفيات ، نشجب عدوان الولايات المتحدة ، ونعلن استعدادنا لمساعدة اخواننا الفيتناميين ، بكل ما نملك من وسائل ، في نضالهم من اجل قضية عادلة . ونحن واثقون تماما من ان شعب الفيتنام البطل سيجشم الغزاة الهزيمة ، وسيدافع عن الشمال الاشتراكي ، وسيطرد من الجنوب المعتدين ويقرر بنفسه موضوع وحدته الوطنية . فليحل السلام باسرع وقت على ارض الفيتنام المعذبة ليعود شعبها الى الكفاح السلمي البناء .

ان الكتاب السوفيات يدعمون بحرارة سياسة حزبنا وحكومتنا الموجهة نحو منح شعب الفيتنام كل مساعدة يحتاجها لقهر العدوان . وان شعبنا الذي رباه لينين وحزبنا بروح من التضامن العمالي قد انجز وما يزال ينجز واجبه العالمي في الكرامة والشرف . كان الامر كذلك حين كان الوف من السوفيات ، بينهم العديد من الادباء ، يقاتلون

على ارض اسبانيا لسد الطريق على الفاشية ، وكان الامر كذلك في سنوات الحرب الكبرى الوطنية التي ضحى فيها ملايين من رجالنا بحياتهم لتحرير اوروبا واسيا من الطاعون الفاشي . وكان الامر كذلك في هذه السنوات الاخيرة حين كانت بلادنا تضع دائما كل قوتها في سبيل تحرير الشعوب من الاستعمار والامبريالية ، في خدمة قضية السلام والتقدم الاجتماعي .

ونحن مجمعون على تأييد قرار المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وتصريح مجلس السوفيات الاعلى في الاتحاد السوفياتي وتصريح مؤتمر بوخارست ، وكلها وثائق تعبر عن التأييد المطلق لمطالب حكومة الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية وجبهة التحرير الوطنية في فيتنام الجنوبية . كما نؤيد النقاط الاربع لحكومة الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية والنقاط الخمس لجبهة التحرير الوطنية في فيتنام الجنوبية — وهما وثيقتان تعتبران في رأينا القاعدة العادلة الوحيدة لوقف اطلاق النار في الفيتنام .

واليوم ، في اللحظة التي تخفي فيها الامبريالية الاميركية وجهها خلف عبارات منافقة عن « امانيها لوضع حل سلمي في فيتنام » ، وتضاعف قوة عدوانها ، اصبح التضامن المناضل مع الفيتنام ووحدة جميع القوى التقدمية امرين لا غنى عنهما . وكذلك لا بد اليوم من وحدة جميع صانعي الثقافة ، ممثلي ضمير الشعوب القادرين على ان يلعبوا دورا هاما في تجنيد جميع الرجال ذوي الارادة الطيبة من اجل مكافحة الغزو الامبريالي .

وكما اثبتت كلمات الكتاب السوفيات وكلمات مدعوينا الاجانب الى اجتماع باكو ، فان الادباء التقدميين واعون اعمق الوعي لهذا المطلب العاجل في هذه الفترة . والمشاركون في اجتماعنا مجمعون على التعبير عن ارادتهم بالا يوفروا اي جهد لتعزيز التضامن المناضل لصانعي الثقافة . فباسم جميع الكتاب السوفيات ، نصرح اننا سنستمر ببذل جميع جهودنا لتقوية جبهة التضامن العالمية للكتاب في جميع البلدان

مع شعب فيتنام البطل ، ومع اصدقائنا الادباء الفيتناميين الممتلئين شجاعة وموهبة والذين يحاربون مع مجموع شعبهم الغزاة ، والقلم والاسلحة بايديهم .

فلتوقظ الكلمة الملهبة للكتاب في العالم وعي جميع الرجال الشرفاء في كرتنا ، ولندعهم الى نضال موحد ضد الغزاة الامبرياليين.

وفي هذه الساعة التي يعاني فيها الشعب الفيتنامي اقسى المحن، نؤكد نحن الكتاب السوفيات لاخوتنا كتاب فيتنام ودنا الحار وتأييدنا الكبير . ونحن واثقون كل الثقة من انتصار قضية الفيتنام العادلة .

نداء الى كتاب اسيا وافريقيا

ايها الاخوة والاصدقاء الاعزاء !

لقد اجتمعنا ، نحن الكتاب السوفيات ، في جلسة موسعة للجنة السوفيانية للعلاقات مع كتاب اسيا وافريقيا ، وتبادلنا على نطاق واسع وجهات النظر التي شاركنا فيها اصدقاء عديدون من الخارج . وقد نوقشت القضايا العاجلة لحركتنا ، وهي تأييد الكتاب السوفيات لشعب فيتنام البطل ، وتعزيز وحدة جميع القوى الادبية في قاراتنا ، ومعالجة حركة التحرر الوطني في ادبنا السوفياتي .

لقد احرزت شعوب بلادنا ، في لهيب الثورة الاشتراكية ، حريتها واستقلالها وخلقت عهدا اشتراكيا جديدا يقوم على المساواة بين كبرى الامم وصغراها . وقد حظي النضال التحريري لشعوب اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية وسيحظى دائما بدعمنا القوي المتجرد .

ان الكتاب يسهمون ، في نتاجهم الادبي ، بنضال القوى التقدمية الثورية في بلادهم وفي العالم قاطبة . ولا يفرض هذا الاسهام وعيهم وحده ، بل هو كذلك موضع فخرهم واعتزازهم .

وقد اصبحت حركة كتاب اسيا وافريقيا ، التي تعتبر مؤتمرات دلهي وطشقند والقاهرة قواعدها المجيدة ، تجسيدا حقيقيا للتضامن العالمي بين الادباء الذين وضعوا موهبتهم في خدمة شعوبهم .

ويتطلب الوضع الحالي بالحاح شديد اعمالا جديدة مشتركة اشد تصميما من قبل كتاب اسيا وافريقيا ، ووحدة اوثق بين جميع الذين يدينون العدوان اللاانساني الذي تقوم به الولايات المتحدة في فيتنام ، والذين يناضلون ضد جميع الامبرياليين والاستعماريين والاستعماريين الجدد في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

وحين نوسع روح مؤتمر طشقند ، فاننا ندين كل ما يعود بالانشقاق الى صفوف الادباء في مختلف القارات . ونحن نعتقد ان من غير المقبول تفتيت وحدة الادباء والتهاءهم عن مهامهم بالهاب خلافاتهم الهابا اصطناعيا، بسلوك سياسة عدم صداقة وارادة سيئة . ونعتبر ان حركة كتاب اسيا وافريقيا حين تقوم على مثل انسانية وديمقراطية وعلى روح التحرر من النير الامبريالي من اجل التقدم الاقتصادي والثقافي وتساوي الشعوب في الحقوق والصداقة ، يجب ان يوحد بين الرجال الذين ما يزال في ارائهم السياسية والدينية بعض الخلافات .

وان مصالح شعوب اسيا وافريقيا تقتضي اكثر من اي يوم ان تتوحد قوى صانعي الثقافة في هاتين القارتين وان تتعزز اتصالاتهم مع الشخصيات التقدمية في العالم كله . ان الحضارة الكبرى التي خلقتها الانسانية هي ملك مشترك للشعوب كلها ، وحمايتها من اعداء التقدم واثراؤها وتنميتها ، هذا كله مهمتنا المشتركة .

زملاءنا الاسيويين والافريقيين الاعزاء !

ان الكتاب السوفيات يتابعون بود عميق نشاطكم النبيل ، وكل نجاح لكم هو موضوع بهجة لنا . ونحن مصممون على المضي في دعم تعاوننا القائم على مبادىء لا تتزعزع من المساواة والاحترام المتبادل . وسنبذل كل ما في وسعنا لتوسيع الاتصالات بين الكتاب ، وتنظيم لقاءات ادبية ، وفسح المجال واسعا لترجمة نتاج الكتاب الاسيويين والافريقيين ونشره .

وان الذين يتبنون تجديدا ثوريا للمجتمع بحاجة الى فن عظيم

يثري الحياة الروحية ويضاعف من قوى المناضلين والبناة .

فلتخدم موهبة الكتاب شعوبهم ، ولتخدم قضيتهم الكبرى: التقدم الاجتماعي والسلام !

بيان اجتماع اللجنة التنفيذية لمؤتمر كتاب اسيا وافريقيا

مدينة باكو :

اجتمع اعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر كتاب اسيا وافريقيا ، وهم يمثلون ١٣ بلدا بحضور مراقبين من ثلاثة بلدان أفريقية اسيوية ، في باكو يوم ٢ سبتمبر في جلسة رأسها السيد مرسي سعد الدين ، السكرتير العام المساعد في المكتب الدائم . وبحثوا موقف الحركة الادبية الافريقية الاسيوية ، كما بحثوا الطرق والاجراءات الكفيلة بتنميتها حتى تستطيع ان تحقق اهدافها النبيلة وان تقوم بدور فعال في المعركة ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد .

ووافقت جلسة اللجنة التنفيذية هذه على قرار الدورة غير العادية للمكتب الدائم لكتاب اسيا وافريقيا المنعقدة بالقاهرة ١٩ - ٢٠ يونيو ١٩٦٦ ورأت ان السكرتير العام السابق للمكتب لم يقم بواجباته في تطبيق الحد الادنى للاعمال التي عهد بها اليه مؤتمر كتاب اسيا وافريقيا بالقاهرة عام ١٩٦٢ .

ولقد استنكر المجتمعون ما قام به السكرتير العام السابق للمكتب من اساءة خطيرة في استخدام السلطة التي خولها لـه مؤتمر القاهرة والتي ادت الى ركود المكتب .

وقد وافق المجتمعون ، اعضاء اللجنة التنفيذية ، موافقة تامة على القرارات التي اتخذتها الدورة غير العادية للمكتب الدائم لكتاب اسيا وافريقيا المنعقدة بالقاهرة من ١٩ الى ٢٠ ونيو ١٩٦٦ ، بما في ذلك القرار الذي يقضي بنقل مقر المكتب من كولومبو الى القاهرة والقرار الذي يقضي بانتخاب ممثل الجمهورية العربية المتحدة السيد يوسف السباعي لمنصب السكرتير العام للمكتب ، وذلك بهدف توطيد الحركة الافريقية الاسيوية للكتاب والعمل على تنميتها بروح منبثقة من مؤتمر طشقند (١٩٥٨) ومؤتمر القاهرة (١٩٦٢) .

وقد اتفق المجتمعون ، بتوصية من المكتب ، على دعوة المؤتمر الثالث لكتاب اسيا وافريقيا للانعقاد في فبراير - مارس عام ١٩٦٧ ، واحيطوا علما بموافقة الوفد اللبناني على انعقاد المؤتمر ببيروت .

والسيد السكرتير العام ، يوسف السباعي ، مكلف في هذا الشأن بارسال الطلب المناسب الى حكومة لبنان . واتضح للمجتمعين انه من المفيد انشاء لجنة تحضيرية للمؤتمر ودعوة كتاب يمثلون الدول الاعضاء في المكتب الدائم (غانا - الهند - اندونيسيا - الكاميرون - ج.ع.م - الاتحاد السوفياتي - السودان - سيلان - اليابان) وكذلك ممثلين للرأي العام الادبي في الجزائر وداهومي وغينيا والعراق وكينيا ولبنان ومالي ومنغوليا وتركيا وجمهورية جنوب افريقيا للاشتراك في هذه اللجنة .

واتفق على ان ممثلي بلاد اسيا وافريقيا الاخرى يمكنهم الاشتراك في هذه اللجنة التحضيرية ان ارادوا المساهمة في اعداد المؤتمر.

وبعد تبادل وجهات النظر ، على نطاق مستفيض ، اتفق المشتركون في الجلسة على ان يناقشوا في المؤتمر « مشاكل معركة التحرر الوطني وانعكاساتها في الادب الافريقي الاسيوي » وقد اقترح تقديم تقارير عن دور الكتاب في معركة الشعب الفيتنامي ضد عدوان الاستعمار الاميركي، وعن الحركة المضادة لتسلل الاستعمار والاستعمار الجديد في الميدان الثقافي ، وعن تنفيذ توصيات مؤتمر طشقند ومؤتمر القاهرة - كما اقترح دراسة مسائل تنظيم وتشكيل حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين.

وقد كلف السكرتير العام المكتب الدائم بدعوة اللجنة التحضيرية للانعقاد في شهر اكتوبر ١٩٦٦ بالقاهرة ، وذلك لوضع جدول الاعمال بصفة نهائية وتسوية المسائل الاخرى المتعلقة بالمؤتمر . ومن المأمول فيه ان يشترك في المؤتمر الكتاب التقدميون في القارات الاخرى ممن يؤيدون افكار حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين .

وناشدت اللجنة التنفيذية كتاب اسيا وافريقيا ان يزيدوا من وحدة القوى الادبية التقدمية المناهضة للاستعمار باسم نضال الشعوب من اجل التحرر الوطني والسلام .

الولايات المتحدة

الكتاب ضد حرب الفيتنام

***

تشكلت في شهر اذار الماضي بالولايات المتحدة جمعية تحمل اسم « الكتاب الاميركيون ضد حرب الفيتنام » . وقد قام على تشكيلها كاتبان معروفان هما روبيرت بلي R. BLY ودافيد راي D. RAY وغاية الجمعية تشجيع الكتاب والطلاب وجميع المثقفين على اتخاذ موقف واضح من هذه الحرب التي يتجاهلها البعض ، من اجل دفعهم الى تنظيم ندوات ومناقشات تقرأ فيها النصوص والاشعار ، في جميع اماكن الاجتماع العامة في البلاد . وسرعان ما انضم عدد من الكتاب الى الحركة التي كان بين اعضائها روبيرت بلي ، روبيرت غربلي ، لورنس فيرلنغيتي ، دونالد هول ، جورج هيتشكوك ، غالوي كينل ، جون لوغان ، روبيرت لويل ، روبيرت بيترسون ، دافيد راي ، جيمس شفيل ، لـوس سيمسون ، ويليام ستافورد ، جيمس رايت ... ولم يكن تعاطف الجمهور مع الحركة عائداً الى شهرة الاسماء المنضمة اليها (وفيهم من حاز على

جائزة بوليتزر وسواها) بقدر ما كان عائدا الى تنوع اصولهم .. فان طليعة كتاب « البيتنك » ، وعلى رأسهم فيرلنغيتي ، يقفون الى جانب الجامعيين او الكتاب « الرفيعي الثقافة » امثال روبيرت لويل . ثم انضم اخرون ولا يزالون الى هذه الحركة . وقد قامت الندوة الاولى في ٥ اذار الماضي في بورتلاند ، باوريغون ، واجتذبت اكثر من سبعمئة شخص ، واستمرت الجلسة اكثر من ثلاث ساعات « وكانت اكثر الجلسات التي حضرتها اثارة وحيوية » كما يقول روبيرت بلي . ثم عقدت ندوات اخرى في جامعة واشنطن ، وجامعة شيكاغو ، ودار بلدية نيويورك ، وجامعة ويسكنس .. وما تزال الندوات تقام في مختلف المدن حتى ايامنا هذه ، بنجاح مطرد .

وقد جمع روبيرت بلي ودافيد راي نصوص المواد التي قرئت في الندوات في كتاب بعنوان « قراءة شعرية ضد حرب الفيتنام » طبعته دار « سيكستيز » .

ويقصد الكتاب الى ايقاظ فئة هامة من الامة الاميركية ، هي فئة المثقفين . وقد حددوا عملهم منذ الجلسة الاولى في بورتلاند : « ليس في هذا اية نزعة بيتنيك ، بل القضية قضية حركة من اكثر الحركات جدية يقوم بها شعراء وكتاب ضد الوضع الفاجع في فيتنام . انه ليس عملا للتسلية ! » وقد جاء في المقدمة من غير التباس : « لو لم يكن ثمة تعاون للمثقفين ، فان الولايات المتحدة جديرة بان تعمل اي شيء . فالجموع غير المثقفة ، تبتلع دائما كل ما تدفعه واشنطن في افواهها . ان الجمهور الاميركي يتالف من قسمين : قسم عاجز عن اي شيء ، وقسم قادر على كل شيء » . وهذه الفكرة تجد لها تعبيرا اخر في جملة لفرويد تقول : « حيث ينقص انتقاد الجموع ، يستسلم الناس لاعمال وحشية وخيانة وغدر كان يظن بانها مستحيلة » والانتقاد هذه المرة عنيف جدا ضد تواطؤ الامة وعناد ممثلها .

ويفضح روبرت بلي بعض الاساليب التي تستعملها الجيوش الاميركية لتجنب اتفاقيات جنيف (رصاص ذو رؤوس مجوفة ، صواريخ فارغة الخ...) ورفض المساعدة للمدنيين الجرحى ، والوان التعذيب طبعا ، ولكن لا حاجة بعد الى اعطاء التفاصيل التي تمتلىء بها الصحف، وحتى الاميركية منها ، وهنا نفرض بعض المقارنات نفسها : « فقد كان الفرنسيون يعذبون لان ضميرهم لم يكن مرتاحا لوجودهم في الجزائر ، وكذلك الالمان لوجودهم في باريس اثناء الحرب .. والاميركيون هم اليوم في الوضع نفسه في فيتنام . انهم ليسوا محررين . بل الاصحاب مجموع السكان هم اعداؤهم . ولم اتحدث الى اي جندي عائد من الفيتنام الا ورأيت هذا الشعور في اعماق عينيه المذعورتين ! » والواقع ان الفرق الاميركية تخضع لتأثيرات بسيكولوجية : فهذه الحرب ليست الا حربا عادلة، ولكن ممنوع كشف اي شيء عند العودة الى الولايات المتحدة!..

ولم تكن رغبة الكتاب ، وكلهم تقريبا شعراء ، ان « يعملوا » اية دعاية ، وانما كانوا راغبين في كشف موقف « وان يشهدوا بانهم ، بحضورهم المادي على المسرح ، يعارضون الحرب في الفيتنام » ، ولم يكونوا يتقاضون شيئا على هذه الجلسات العلنية التي كان معظمها يعقد في الجامعات ، وليست هذه النقطة مثار استغراب اذا عرفنا المبالغ الضخمة التي تدفعها الجامعات للكتاب في الاوقات العادية .

ويضم كتاب بلي وراي اجمل النصوص والقصائد التي القيت في الندوات ، وبينها مقتطفات من روبرت بلي وروبرت غريلي وجيمس رايت وغالواي كينل ووليام ستافورد ودافيد راي وجورج هيتشكوك ، وقليلة هي القصائد العنيفة ، ولكنها كلها تقريبا مرة وقاسية ببرودة . والواقع ان الشعراء لم يتنازلوا عن الشعر الجيد فيما هم يتساءلون عن السياسة العادلة . وافضل القصائد هي التي تتصل اتصالا عميقا بشخصية الشاعر وفنه ... اننا لا نستطيع ان نعتبر قصيدة « هذه الاحلام الاميركية » للوس سامبسون من شعر المناسبات :

بينما كنت انظر الى الشارع
في يوم مشمس من ايام كاليفورنيا النموذجية
كان بيتي هو الذي يحترق
واهلي ممددين في السافية

في حين كان الجيش الاميركي يدخل
انني في كل يوم اسهر بعيدا

عن حياتي ، في بلد اجنبي
يتكلم الناس فيه لغة اجنبية
انها لغة غريبة عني
واعتقد انها غريبة عنهم هم ايضا

وقد لاحظ « الملحق الادبي للتيمس » (١٢ ايار ١٩٦٦) ان الشعراء كانوا وهم يعنون بجودة قصائدهم يتجنبون خطر « المواقف المصطنعة التي تولد عادة حين يكتشف الشعراء انهم يستطيعون ان يخطبوا او يكونوا مفيدين » ان رد فعل الشعراء واع وعميق : فليست القضية تقتصر على الاحتجاج ، بل هم يعرفون ان يطلبوا رأي السياسيين والباحثين الاكفاء ويستطيعون بذلك ان يقترحوا حلولا عريضة الخطوط. ومن هذه الحلول رأي أ.ف. ستون : « ان مشكلة العالم الاولى هي ضبط الولايات المتحدة . ولكننا نعارض عزلها . ان سلطة اميركا الواسعة تمنع منظمة الامم المتحدة من ان تعمل كما ينبغي ، ولكننا نعارض بقوة في ابعادها عن الامم المتحدة . والامل الوحيد في «تعقيل» نظراتها وعاداتها الاستفزازية للحرب هو في ادخالها بصورة اكمل في مجلس الامم . المطلوب ضبطها واستيعابها لا عزلها ـ هذا ما يبدو لنا الصيغة الفضلى » .

الام سينتهي عمل الكتاب ؟ ان الرأي العام منفعل ، وقد روع المثقفون ، ولا سيما الطلاب الذين كانوا افضل رواد الندوات ، الوانا من الاحتجاجات ، ولكن جونسون تحرك : واصدر امره الى ج. ادغار هوفر بأن « يهدىء » شعور الاستياء في الصحافة والكليات . ولكن الكتاب لن يتراجعوا .. وقد كتب روبيرت بلي يقول : « اذا استمرت هذه الحرب القذرة ، فسنعود الى العمل في الخريف » (١) .

---

(١) هذه المقالة مترجمة عن مجلة « ليتان مودرن » العدد ٢٤٣ ، بقلم سيرج فوشيرو .

ندوة الاداب

- تتمة المنشور على الصفحة ١٣ -

أمور كثيرة لا احب ان اوردها . من هذه المستويات التي يحاول اضفاءها أن سناء معاصرة لحواء ، وأن ليلى كانت في عصر خوفو ترعى الغنم في شبه جزيرة سيناء وكان جد رجب يسعى في الغابات يدفن في أحضان النساء مخاوفه من الظلام والمجهول والموت ، وأنيس عبد لهارون الرشيد وابن ادم وحواء وبرمثيوس مسطولا . الانسان الذي كان في بداية حياته انسانا ثوريا ، نعرف أنه أوشك أن يقتل في مظاهرة ثورية ، الانسان الذي بدأ وكله تطلعات ، وانتهى هذه النهاية المحزنة المؤسية . أما سمارة فأنيس يتساءل أهي ملكة أم من الرعية . ويقول لنا ان من الجائز أن تكون كليوباطرة أو المرأة التي تبيع العسل في درب الجماميز ، ثم يتضح لنا أنها كليوباطرة عندما ينتهي من الفصل الذي تظهر فيه كليوباطرة وهي تخرج من البساط المطوي لتقول ليوليوس قيصر في كبرياء : أنا كليوباطرة ملكة مصر . وكما أخطأت كليوباطرة خطأها الناجم عن الضعف أخطأت سمارة حين أقبلت تغزو هذا العالم بزهوها وجديتها وكبريائها ذلك الخطأ التراجيدي ، الحب أو الجنس . فانهزام سمارة ، في اعتقادي جاء نتيجة شعورها بالضعف ازاء رجب القاضي .

ابراهيم الصيرفي : يخيل الي ان هناك تفسيرا اخر وراء هزيمة سمارة .

د. لطيفة الزيات : وهو ؟

ابراهيم الصيرفي : في ظني أن سمارة منذ وضعت قدمها في العوامة كانت مسوقة الى الموت ..

د. عبد القادر القط : لكنها أقبلت لكي تدرسها ..

ابراهيم الصيرفي : العوامة ، كما قلت سيادتك ، جزء من الدورة . وقد دخلتها سمارة بقميص أبيض والقميص الابيض نصف كفن ، حين قارنه أنيس بجلبابه الابيض ... كفنه ...

د. عبد القادر القط : حين ندخل في الرموز ...

ابراهيم الصيرفي : رموز نعم . لكن ستتوالى بعدها كثير من الجزئيات الكاشفة لها وأنا أعرف وجهة نظركم عن هذا . اذا لم يكن في الرواية ما يسند الرمز ويلح على اثارته غدا اعتسافا واسقاطا ممن يحاول ان يراه بهذا الشكل . نرى أنيس يقول لها « بدأت الرحلة ... وعيناك جميلتان » فتسأله عن العلاقة بين هذا وذاك فينفي ان هناك علاقة بين شيء واخر ، وكأنما نحس سمارة بتلك العلاقة .. فالرحلة هي الموت .. فسألته « ولا حتى بين طلقة رصاصة وموت انسان ؟ ... »

د. لطيفة الزيات : استطيع أن أفسرها لك بأنها حيوان ثديي ..

ابراهيم الصيرفي : هي كذلك بالفعل .. او هذا ما ستئول اليه . الهاموش حيوان ثديي وهي حيوان ثديي . فالعلاقة بين الرحلة وعينيها هي العلاقة بين طلقة رصاصة وموت انسان . ثم مقارنتها بكليوباطرة ونحن نعرف مصيرها ... المشكلة هنا انهم جميعا كانوا يواجهون الحياة وقد فقدوا أهم سلاح في مواجهتها ، وهو الدين ، القاعدة التي تتخذ منها الحياة منطلقها اذ تخفي وراءها الخوف من الليل والمجهول والظلام والموت ..

د. لطيفة الزيات : أستطيع أن أرد عليك في كل ما ذكرت فأقول لك ان الانسان الجاد الذي لا يأخذ في حسابه وجود الخير والشر في مجتمعه والموت والحياة جنبا الى جنب ليس بالجاد . وأن دخول سمارة العوامة ، وخصوصا اذا تذكرنا أنها امتنعت عن المخدرات طيلة وجودها في العوامة ، لا يعني بحال أنها دخلت بقدمها الى الموت . ولكني لا أريد أن أستطرد في تفاصيل . أقول لك بعبارة صريحة انها كانت تخرج مع رجب ولا توجد فتاة جادة تخرج مع انسان الا اذا كانت مرتبطة واياه بعاطفة ، وأنهما كانا يتبادلان الكلمات . كانت تحبه ، لكن دون اقتناع به كانسان لانها انسانة جادة .

بعد ذلك أريد أن أقول ان هذا عالم أنيس . لكن اذا رأينا عالم أنيس وحده دون العوالم الاخرى التي خلقها المؤلف ، فاننا نرى رواية قاصرة ، وتصبح الرواية بالفعل عن جماعة من المساطيل فحسب . والكاتب على وعي كبير بهذا العالم ، انهم يجتمعون على الموت كما قال ابراهيم الصيرفي والكاتب واع جدا انه عالم مجرد ، عالم مفصول عن الحياة ، حتى أنيس رغباته مجردة ، مثلا حين يقول عن سمارة « ألا تعلم أني على موعد مع فكرة مجردة ذات طابع جنسي » ، حتى رغباته في الحياة أصبحت أفكارا مجردة ، أي انه فقد كل علاقة له بالحياة . هذا العالم يعارضه عالم سمارة التي تدخل كنسمة الهواء من الخارج فتهد هذا العش نهائيا . مجيء سمارة وخروج هؤلاء الناس الى العالم الخارجي وما تبع هذا الخروج من أحداث ، هد هذا العالم تماما ، حتى ألقوا بالجوزة في النيل وحاول بعضهم قتل البعض الاخر ، ليس هذا فحسب والكاتب واع بهذه الحقيقة كل الوعي ، حتى انه في صفحة ٥٤ يذكرنا بهذه العملية . خرج أنيس بالمجمرة حين علم بمجيء سمارة ، يعرضها لتيار الهواء وراح ينتظر . مجرد تعريضها للهواء . « واتسمت المراكز المحترقة في شتى القطع حتى استحال سواد الفحم حمرة متوهجة هشة عميقة ناعمة . اندلعت عشرات من الالسنة الصغيرة الموسومة بالشفق ، فانتشرت ثم تلاقت اجنحتها مكونة موجة راقصة نقية شفافة مكللة الاطراف بزرقة خيالية ، ثم ازت فنطاير من جوفها سرب من عناقيد الشرر .. الخ» .

يذكر هذا في مجال دخول سمارة الى العوامة ، وهذا ما سوف يحدث تماما . المجلس كله ينفض ، ويتشابك الجميع في صراع وحشي . وتندلع السنة النار لمجرد نسمة هواء من العالم المتفاعل الحي هبت عليهم .

د. عبد القادر القط : لكن يا دكتورة لطيفة لا دخل لسمارة فيما حدث .

د. لطيفة الزيات : الى حد كبير سمارة ...

د. عبد القادر القط : لا هي اقترضت الخروج ، ولا هي التي كانت تقود العربة .

ابراهيم الصيرفي : اقترحت عليهم الخروج في بداية الرواية .

د. عبد القادر القط : ولم يخرجوا ..

ابراهيم الصيرفي : ورحلتها السابقة مباشرة على تلك الرحلة ، اقتراح غير مباشر بها .

د. عبد القادر القط : بهذه التأويلات الكثيرة التي تدخلنا فيها ، يتحتم على الانسان أن يمسك بالقلم ويقف عند كل سطر يؤوله .. لان سمارة كانت في رحلة فلا بد أن يخرجوا ...

ابراهيم الصيرفي : لا .. هي كلمتهم عن رحلتها السابقة مباشرة على تلك الرحلة يا دكتور عبد القادر . وقالت لهم لو خرجتم لجددتم أنفسكم ..

د. شكري عياد : نحن ولا شك نريد أن ننصف الرواية بقدر ما نستطيع وعلى قدر ما لدينا من امكانيات للفهم . فهل التكنيك المتبع في ترجمة الاشياء الى مدلولات معنوية هو أليق الاشياء بتفسير هذه الرواية ؟ هل ترجمة المحسوسات مثل المجمرة بشيء معنوي هو دخول حياة جديدة على الحياة الراكدة والتهابها . هل هذا يلزمنا باتباع هذا المنهج في كل جزئية ؟

د. لطيفة الزيات : لا .. لا يلزمنا .

د. شكري عياد : وهذا هو الاسلوب الذي كتبت به الرواية .

د. عبد القادر القط : قال الدكتور شكري عياد ان هذه النماذج واقعية تمثل ميلنا الطبيعي مع الحياة مع أنفسنا أكثر من الحياة مع الخارج . وقالت الدكتور لطيفة الزيات ان هذه تجربة بشرية . كذلك قال الدكتور شكري ان أنيس مثقف ، وفي الحق أو أن هذه النماذج كانت طبيعية لكان من الممكن أن نعايشها أكثر مما عايشناها . هذه النماذج ، كما قلت ، نماذج متشابهة ضاعت سماتها النفسية التي كان من الممكن ، من خلال اللاوعي الذي يستيقظ في ظل المخدرات ، أن تكشف أشياء من أحوالها الداخلية أكثر مما تكشفت . وقد اعتمد

الاستاذ نجيب محفوظ ، في الحقيقة، على تكرار المشهد أكثر مما ينبغي. اعتمد على تكرار المجلس كثيرا . فعبارات أنيس اللطيفة عن التاريخ والماضي والحاضر وبعض العبارات السريعة المتبادلة بين الشخصيات هي كل ما اعتمد عليه الاستاذ نجيب محفوظ . لكن يخيل الي أننا كنا بحاجة الى أن يفلسف الموضوع وأن تدرس نماذج انسانية ، وقد كان ذلك ميسورا من خلال سلطان المخدرات ، أن يتكلم الشخص كلامه بين دخائل نفسه وتجارب ماضيه . صحيح أن أنيس أخبرنا عن مأساة وقعت في حياته ، أن امرأته وابنته ماتتا ، لكننا لم نعرف بالضبط ان كان هذا وراء أسر المخدرات له أم لا . وهل هو صحيح مثقف ، أم كان يقرأ كما قلت في بداية الندوة بطريقة آلية . هل هو رجل يقرأ ليثقف نفسه ، أم هو يقرأ في ساعة الصحو لانه منعزل عن الحياة وهذه سلواه ؟

د. شكري عياد : اتصور انه يقرأ لكي يجيب عن اسئلة اضخم من ان يجاب عليها بطريقة يمكن ان يتصورها أنيس . بهذا ليس له الا ان يلجأ الى الكتب . لهذا اتصور انه مثقف حقيقي . ولهذا ارى انه اذا كان للرواية بعدان ، بعد واقعي واخر فلسفي ، فانهما يلتقيان عنده مع خلفية البعد الفلسفي بشكل حاد . اما ان هناك ...

د. عبد القادر القط : لكن يا دكتور شكري والله حكاية البعد الفلسفي هذه كثيرة جدا على انيس .

ابراهيم الصيرفي : ليس ضرورة ان يكون ذلك بالمعنى المنهجي.. النظري .

د. لطيفة الزيات : لا .. ليست النظرية .. لا .. لا .. انيس عنده نظرية وجودية .

د. شكري عياد : انسان عادي يمكن ان تشغله مشكلة ميتافيزيقية.

ابراهيم الصيرفي : هو يعنيه دائما ان يتساءل : من اين ، والى اين ، ما مغزى حياتنا ؟

د. عبد القادر القط : نعم . كل انسان تدور في ذهنه اسئلة من هذا القبيل . ولكن الفلسفة تقاس بالمظهر الذي يأخذه التساؤل ، لا بالتساؤل نفسه . التساؤل موجود في داخل كل فرد ، انما هي الطريقة التي يتساءل بها كل فرد ومدى سعتها او ضيقها . فكون هذا التساؤل يتخذ صورة عبارات سريعة عابرة عن الماضي والتاريخ أو عن اناس لو كانوا يراقبوننا من فوق لقالوا حياة او لا حياة ، هذه اشياء لا استطيع ان اسميها فلسفية بالمعنى ...

د. لطيفة الزيات : الاديب غير مطالب بالكتابة بهذا الاسلوب .

د. عبد القادر القط : لا .. لا .. لا اقصد نظرية فلسفية بل نظرة فلسفية .

ابراهيم الصيرفي : نستطيع ان نعتبرها هموما انسانية .. هموما كبيرة .

د. لطيفة الزيات : قلت يا دكتور عبد القادر القط وانت تتحدث عن الشخصيات ان انيس زكي كان يستطيع من خلال تخيلاته أن يعطينا اعماقا اكثر من ..

د. عبد القادر القط : نعم ..

د. لطيفة الزيات : اعتقد ان الكاتب لم يكن منصرفا الى تقديم شيء من هذا ..

د. عبد القادر القط : واعماقا خاصة بالموقف لا بكل شخصية...

د. لطيفة الزيات : كان هم الكاتب ، في اعتقادي ، بين طرفين متباعدين متناقضين ، بينهما حد في الوسط . الطرف الاول هو انيس والثاني سمارة اما الحد الاوسط فهو عبده . قبل عم عبده جميع متناقضات الحياة وتعايش معها . اما الطرفان انيس وسمارة فرافضان للحياة متناقضان . انيس رافض كلية قبول فكرة لحياة تنطوي على العدم . وسمارة رافضة نهائيا فكرة وجود اناس بهذا الشكل ، غير جادين . والكاتب يريد ان يقول بالانقلاب الذي تم اخر الرواية ، انه لا يوجد في نهاية الامر شيء اسود وشيء ابيض وان الميت قد ينطوي على امكانيات للحياة ، والحق قد ينطوي على امكانيات للموت .

ابراهيم الصيرفي : الا يمكن ان تحتوي الرواية اشياء ، الى جانب انيس وسمارة وعم عبده ؟

د. عبد القادر القط : والله انا في الحقيقة اعترض على هذا النوع من النقد التأويلي ان صح التعبير ، وهو منهج خاطىء وخطير ، لدرجة اني قرأت اليوم في « الجمهورية » واحدا يعلق على الرواية فيقول ان عم عبده رمز للشعب المصري .

د. لطيفة الزيات : لم اقل رمزاً .

د. عبد القادر القط : لا .. ارأيت الى اين يؤدي المنهج ؟

د. لطيفة الزيات : لا .. لم اقل .

د. عبد القادر القط : انما اتكلم عن طبيعة المنهج حين التطبيق . هل الكاتب يكتب للناقد القادر على التأويل ام يكتب لقارىء ذكي لديه قدر من الثقافة يستطيع به ان ينفذ الى ما وراء الظاهر، على ان يعني هذا الظاهر شيئا عنده . الاستاذ نجيب محفوظ لا يكتب لنا كنقاد نحاول ان نقول ان المجمرة حين خرجت كان شكلها كذا وحين دخلت. وانما يكتب لقارىء ذكي نفترض فيه أنه ذكي ، لكن ليست لديه هذه القدرة على التأويل في كل صفحة وكل سطر . اعتقد ان الاستاذ نجيب محفوظ يتكلم عن حالة نفسية وعن معنى خاص وراءه ، معنى كلي . اما ان أفتت العمل بهذا الشكل ، هذا شيء خطير ولم يعنه ألكاتب .

ابراهيم الصيرفي : النقد احيانا رؤيا خاصة للعمل الفني .

د. لطيفة الزيات : انا معترضة على كلمة رؤيا خاصة ، كما اعترض على كلام الدكتور عبد القادر القط . لماذا ؟ انا متفقة معك على ان الكاتب يكتب للقارىء لا للنقاد .

د. عبد القادر القط : وانا احتاط واقول للقارىء الذكي .

د. لطيفة الزيات : للقارىء الذكي . لكن مهمتنا الاساسية كنقاد ان نوصل العمل للقارىء . وهذه في اعتقادي ، مهمة النقاد . ان نقرأ العمل قراءة تحليلية ، والمنهج الذي اعتمدت عليه ليس تأويليا كما قلت، وانما هو تحليلي . وانا مستعدة اذا سمح الوقت ان ادعم هذا باقوال واجزاء واقتباسات من الرواية . واما رؤية الناقد فتلك رؤية له وحده، لكن اذا حاولت ان اساعد القارىء فلا اخلق عملا جديدا ، بل امسك بالعمل الذي امامي .

د. عبد القادر القط : ما رأي الدكتور شكري في هذا ؟

ابراهيم الصيرفي : بهذه الطريقة ندخل في مناقشة مناهج النقد والعمل نفسه جدير بالكلام .

د. عبد القادر القط : الجانب المنهجي معناه اما ان يؤخذ الكلام الذي قلناه مأخذ التسليم والتصديق أو الشك . وهذا كله قائم على موقف المستمع من منهجنا في النقد ، هو كلام هام في الموضوع .

د. شكري عياد : ارى اننا متفقون على اسقاط الرموز . فترجمة الشخصيات او الاحداث برموز لا يمكن ان يكون الكاتب قد فكر فيها لان الاستاذ نجيب محفوظ كاتب حقيقي يقول الشيء الحقيقي . اي لا يضع عم عبده رمزا للشعب المصري .

د. لطيفة الزيات : انا لم اقل عم عبده شعب مصر ..

د. شكري عياد : هذا بالنسبة للاستشهاد الذي ذكره الدكتور عبد القادر القط . يبقى ان الشخصيات والاشياء يمكن ان تفهم على

عدة مستويات ، وان انظر فيها الى تقابلات وعلاقات لا تبدو من القراءة الاولـى .

ابراهيم الصيرفي : معنى ذلك اننا قد نجد للجوزة ، الجـوزة في العوامة ، شخصية ، وان نجد للعوامة دلالات ؟

د. عبد القادر القط : انا معترض على الدرجة التي يمكن ان يصل اليها هذا المنهج في التأويل .

ابراهيم الصيرفي : لا .. بلا تعسف .

د. لطيفة الزيات : انا متفقة مع الدكتور القط في هذه النقطة . ان تحويل الرمز الى مدلول ، اذا كان من السهولة بحيث يحول الـى مدلول ، يعني اي شيء يشير اشارة مباشرة الى الخارج ، فانه لا يكون رمزا . ولهذا ينبغي الا نسرف في عملية الرموز هذه . لكن هـذا لا يمنعنا من ان نحلل تركيب الرواية ، وعلاقة اقطاب الرواية بعضهـم ببعض ، والصراع الدائر بينهم ونتيجة هذا الصراع ، الى اخر هذه الامور.

د. شكري عياد : دون ان نقول رموزا ، العوامة القائمة على الماء لها دون اللجوء الى الرموز دلالتها . وعم عبده له دلالات .

د. لطيفة الزيات : دلالة عم عبده عندي تختلف عن دلالتها عندك ، ولهذا لا اقول الا ما استطيع اثباته من النص فحسب . لذلك عندمـا عرضت لعم عبده قلت انه يجمع بين المتناقضات ، وهذا شيء نتفق عليه جميعا . قواد وقرة عينه الصلاة ، في نفس الوقت .

د. شكري عياد : هذه هي الحياة ؟

د. لطيفة الزيات : لا اقول ماذا يعنيه ذلك . هو فقط من يقبـل الحياة بكل خيرها وبكل شرها .

ابراهيم الصيرفي : الم يكن للدين والعلم تأثير في هذه الرواية؟

د. شكري عياد : هذه افكار من غير شك بتدخل .

ابراهيم الصيرفي : لا .. ليست مجرد افكار ، انما محاور ، ومحاور هامة جدا ، ربما بنيت عليها ابعاد كبيرة في الرواية . اعني الم يكن العلم من اسباب المأساة التي وقع فيها انيس ، ثم سمارة ؟ العلم بغير دين . فهو حين دخل في تفكيره العلمي ، والرواية تقول انه يلاحظ الاشياء ويقول للشجرة العجوز انت معمرة لانك بلا عقل . ثم تتضـح مشكلة ان العلم لا يعنى بالسؤال من اين والى اين وما مغزى الحياة . ومعنى ذلك ان العلم لا يعرض الا لجزئيات الوجود الراهنة ، مشكلات الحياة اليومية . وان انيس من خلال رؤيته التي قدمها له العلم عن الزمن الكوني ببلايين سنينه الضوئية قد رأى التاريخ فاذا به في عينه مجرد ربع ساعة كونية .. او لحظة ..

د. عبد القادر القط : اعتقد ان مثل هذه المشاكل لا يمكن اعتبارها محاور . محور عن العلم ومحور عن الدين ومحور عن الاخلاق . هذه جميعا في رأيي ، تعبر عن معنى كلي واحساسي عام وهذه كلها روافد تغذي هذا الاحساس وهذا المعنى الكلي . انا لا احب ان اقف عند كل جزئية انما افتح نفسي لكل جزئية واحاسب نفسي اخر الامر عن الحالة التي وضعتني فيها الرواية ، اي افكار زرعت في نفسي بالنسبة للحياة والكون . وهذا بالطبع لا يمنعني من ان اقف بعض المواقف المتأنية عند بعض الرموز وبعض العبارات ، ولكن لا اعملها بطريقة منهجية بهـذا الشكل . والا لكان المؤلف مهندسا .

د. لطيفة الزيات : اريد ان اقول كلمة صغيـرة . ان فقدان الايمان باي شيء ، لا بالدين وحده هو سبب من اسباب مأساة انيس او مأساة الوجود في عقل انيس . وهذا بالطبع هو فقدان الايمان تحت فلسفة العبث كلها في العالم كله ، لا عند انيس وحده . واريد ان اقول انه لا مانع من ان يكون الكاتب عبقريا واصيلا ومهندسا في نفس الوقت.

د. عبد القادر القط : ليس الى هذا الحد . لا ...

د. لطيفة الزيات : .. فالفن موهبة وحرفة ...

د. عبد القادر القط : لا .. فحين تصل الحرفية الى هذا الحد الذي يجعل الانسان مطالبا بان يقف من كل صفحة يؤول ويفك عبارات ورموزا ..

د. لطيفة الزيات : ليس الكاتب .. بل الناقد .

د. عبد القادر القط : والناقد ايضا ، نفرض على الناقد ان يقف في كل سطر وصفحة . يصبح مهندسا اكثر من اللازم . وانا لا اقول ان الاستاذ نجيب محفوظ مهندس في هذه الرواية . ولذلك احتاط ولا اقول كما يقول ابراهيم الصيرفي ان كل ربط بين الحاضر والتاريخ مقصود وممكن ان يؤول . انما اقول ان بعض هـذه العبارات ممكن ان يؤول وبعضها كلام مسطول فارغ . والاستاذ نجيب محفوظ مطالب بان يقدم لي الصورة الحقيقية لمسطول .

د. لطيفة الزيات : بالطبع .

د. عبد القادر القط : بما فيه من كلام منطقي قابل للتأويل وغير قابل له .

د. لطيفة الزيات : هذا صحيح مائة في المائة .

د. شكري عياد : اعتقد ان علينا ونحن بصدد انهاء الندوة ان نذكر المستمع باننا متفقون على الاقل في ان الشخصيات والمكـان والحوادث ذات دلالات ، لا نقول رمزية اطلاقا ، ولا تفصل تفصيلا جزئيا او تترجم حرفا بحرف ، وانما هي دلالات لها وجودها بحق ، تـرى الدكتورة لطيفة انها دلالات عن موقف من الحياة بين اقطاب معينـة موجودة ، وانا شخصيا ارى انه الى جانب هذه الدلالة الوجودية مـن ناحية النظرة الى العالم لها لونها الخاص المحلي في هذا الانغلاق على الذات الفردية .

د. عبد القادر القط : انا شخصيا استمتعت بالرواية . قلـت انها ليست جديدة على الروايات الخمس او الست التي كتبها الاستاذ نجيب محفوظ بعد الثلاثية . لكن مما لا شك فيه انها كما قالت الدكتورة لطيفة الزيات افق جديد الى حد كبير وانها تفرض على القارىء ان يقرأها بطريقة خاصة ، وانه اذا قرأها بهذه الطريقة فسيستمتع بها كما استمتعت بها .

د. لطيفة الزيات : وانا احب ان اهنىء الاستاذ نجيب محفوظ على هذه الاضافة الجديدة الى الادب العربي . واقول انه ليس مفروضا ان يخرج كل قارىء بكل المستويات التي تحفل بها الرواية . ممكن الا يرى فيها قارىء الا الحكاية السطحية ان يصل قارىء اكثر منـه عمقا مستوى ابعد ، هذا هـو الساري اليوم في جميع الروايات الحديثة . فرجينيا وولف مثلا كانت تقول في اوائل القرن ان من لم يقرأني للمرة الثانية لم يقرأني ابدا .



لبنان

حول مقال الدكتور عوض

***

اثار المقال الذي نشرته جريدة « الاهرام » في القاهرة بتاريخ ٥ - ٨ - ٦٦ ، والذي كتبه الدكتور لويس عوض عن قضية مجلة « حوار » ، موجة من الاستياء في اوساط المثقفين اللبنانيين لا تقل حدة عن الموجة التي اثارها هذا المقال في اوساط المثقفين المصريين .

ومرجع هذا الاستياء ان الدكتور عوض ، في معرض حديثه عن تطور علاقته بمجلة « حوار » قد شوه الدوافع الحقيقية التي دفعت المثقفين اللبنانيين الى الوقوف من تلك المجلة موقفهم الشجبي ذاك .

لقد انبرت الصحافة الوطنية في تلك الفترة ، ومنها « الصياد » و « الانوار » و « الشعب » و « الاخبار » و « صوت العروبة » و « النداء » ، ثم انضمت اليها « الاداب » وسواها ، فاخذت تفضح نزعات منظمة حرية الثقافة التي تمول مجلة « حوار » وتنشر التقارير عن المقالات التي تنشرها المجلات الاخرى التي تصدر عن هذه المنظمة بلغات مختلفة والتي تشير الى نزعة واضحة لتأييد الصهيونية ومحاربة الفكرة العربية ...

وقد كنت انا شخصيا احرر الصفحة الادبية في جريدة «الانوار» واتناول هذا الموضوع بين الفينة والفينة . ولم يشأ رئيس تحرير « الاداب » ان يخوض ، منذ البدء ، هذه المعركة في مجلتنا حتى لا يفسر ذلك بانه خوف من المنافسة مع تلك المجلة ، ثم فضلنا ان نتهم بهذا على ان نتهم بالصمت تجاه نزعات مشبوهة لدى تلك المنظمة ...

ويأتي اليوم الدكتور عوض فيصنف المجلات والجهات التي هاجمت « حوار » تصنيفا عجيبا جدا ، اذ يقول ان الذي اشعل نار هذه المعركة « ربما كان صحافة الحلف الاسلامي في العالم العربي ، بل وقاد صفوفها ورفع رايتها ممثلو الثقافة الغربية في بيروت وعلى رأسهم مؤسسة فرانكلين وممثلو الثقافة الرجعية في مصر ... » .

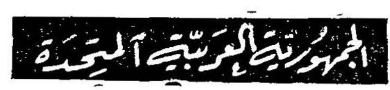
وواضح ان هذا الكلام لا يستند الى اي اساس من الصحة ، فان جميع الصحف التي هاجمت « حوار » هي بلا استثناء مناهضة للحلف الاسلامي ، وجميع ممثلي الثقافة الغربية في بيروت قد دافعوا عن تلك المجلة ... اما « ممثلو الثقافة الرجعية » في مصر ، فلسنا نعرف من هم ، ويبقى الامر على كل حال امرا نسبيا ... وهناك اليوم من يعتبر بعض كتابات الدكتور عوض بالذات كتابات رجعية ...

واما قول الدكتور عوض « ان المجلات الادبية في لبنان تقتتل حتى الموت في سبيل الرواج » فكلام في الهواء ، لانه ليس ثمة اي تنافس بين المجلات الادبية في لبنان ، اذ لكل منها اتجاهاته الخاصة المعروفة ، ولكل منها قراؤه .. فليس من المعقول مثلا ان تنافس « حوار » وهي المجلة المعروفة باتجاهها مجلة « كالاداب » معروفة كذلك باتجاهها !

والعجيب المضحك في امر مقال الدكتور عوض ان موقفه الاستنكاري لمنظمة حرية الثقافة يأتي بعد ثلاثة اعوام على الاقل من موقف الصحف الوطنية القومية في لبنان والجمهورية العربية المتحدة ، ثم هو بعد ذلك يتكلم بلهجة التبجح الشديد التي تبدو خصوصا في مطلع كلمته « صحافة الغرب غاضبة علي .. » وهو في سياق حديثه يقول « عودت نفسي الا اكتب حرفا في اية مجلة عربية تصدر خارج مصر.. » ولكنه ينسى انه ذكر في المقال نفسه انه كتب في مجلة « حوار » ... الا اذا كان يعتبر هذه المجلة ، بوعيه او لاوعيه ، مجلة غير عربية !

ولهجة هذه العبارة بالذات لهجة تدل على روح اقليمية بغيضة آن ان يتخلى عنها بعض الذين ما يزالون يعتنقونها في مصر او في لبنان.. والحق ان اهمية الثورة المصرية بالذات تكمن في انها بالدرجة الاولى ثورة عربية ، وانها تفتح مصر على العالم العربي وتخرجه من النزعات الفرعونية والمتوسطية وسواها .. وان اي مثقف عربي متحرر يشرفه ان يسهم بالكتابة في اية مجلة عربية متحررة ، في حدود بلاده الضيقة او في ارجاء الوطن العربي ...

ع.م.ا



رسالة القاهرة — من سامي خشبة

ملاحظات عن مهرجان المسرح الاقليمي

***

مع اعياد ثورة ٢٣ يوليو ، وصلت الى القاهرة مجموعة من الفرق المسرحية التي انشأتها المحافظات وأجهزة الحكم المحلي في الاقاليم في غضون السنة او السنتين السابقتين . وصلت هذه الفرق الى القاهرة لتقيم مهرجانا مسرحيا استمر طيلة ستة عشر يوما ، قدمت في اثنائها سلسلة من العروض المسرحية - بالاضافة الى عروض الرقص الشعبي - استطاعت أن تنقل الى رواد المسرح في القاهرة صورة مشرقة ومتفائلة لمستقبل الفن الدرامي في بلادنا .

وقد يكون من المفيد أن نسجل - في البداية - بعض الملاحظات حول الاعمال التي قدمت ، وقد لا يكون ضارا ان تتخذ هذه الملاحظات مسحة احصائية مخففة :

- اعتمدت أكثر الفرق على مخرجين مسرحيين من القاهرة ، يعملون فعلا في المسرح القومي ومسرح الحكيم ومسرح الجيب والمسرح الحديث ، نذكر منهم عبد الرحيم الزرقاني وكرم مطاوع وحسين جمعة وكمال عيد وسعد اردش . بينما لم تعتمد هذه الفرق على أي ممثلين قاهريين ولا أعتقد أن أيا منها قد ضمت ممثلا محترفا .

- لم تزد نسبة المسرحيات المترجمة على ١٠ بالمائة على أكثر تقدير ، مسرحيتان بالتحديد ، هما « الحضيض لجوركي » قدمتها فرقة الاسكندرية ، و « موتى بلا قبور » لسارتر قدمتها فرقة المنصورة .

- كانت أقدم مسرحية مصرية هي « الصفقة » لتوفيق الحكيم ، بينما قدمت ثلاث مسرحيات مصرية جديدة شاهدتها القاهرة لاول مرة ، هي مسرحيات « عسكر وحرامية » لالفريد فرج ، « الزوبعة » لمحمود دياب ، « الوافد » لميخائيل رومان . والمؤلفون الثلاثة معروفون في القاهرة ، وقد نال أولهم جائزة المسرح التشجيعية لهذا العام عن مسرحيته الكبيرة « سليمان الحلبي » . ومع هذا فقد منحت لجنة

التحكيم الجائزة الاولى لفرقة الاسكندرية التي قدمت مسرحية مترجمة.

ـ قدمت مسرحية محمود دياب «الزوبعة» مرتين، قدمتها فرقة كفر الشيخ وأخرجها حسين جمعة، وقدمتها فرقة البحيرة وأخرجها عبد الرحيم الزرقاني، أولهما مخرج شاب يعمل منذ سنوات قليلة في مسرح الحكيم، والثاني مخرج «عجوز» نوعا ومن عمد المسرح القومي.

ـ كان لتوفيق الحكيم مسرحيتان في المهرجان، «الصفقة» و «شمس النهار»، ولم تقدم أية مسرحية من عصر ما قبل توفيق الحكيم.

ـ فرقة واحدة اعتمدت على نفسها اعتمادا كاملا، هي فرقة الشرقية. فقد قدمت مسرحية «ناعسة» لمؤلف من أهل المحافظة وأخرجها وصمم مناظرها مخرج ومصمم من أهل المحافظة أيضا.

ـ جاءت معظم الفرق من شمال الجمهورية العربية، وكان نصيب الصعيد فرقة واحدة جاءت من أقصى المحافظات الجنوبية قبل أسوان، محافظة سوهاج !.

وأعتقد من الممكن ان ننظر الى هذا المهرجان المسرحي الكبير باعتباره موسما مسرحيا كاملا وسريعا عاشته العاصمة بفضل أقاليم الجمهورية العربية النشيطة، وبفضل طموح هذه الاقاليم الى بناء مؤسسة فنية تعتمد الفن الدرامي العظيم، وتضمن الا تتحول «النهضة المسرحية» الى هبة قصيرة الامد، تزدهر على مسارح القاهرة ثم تخبو على مقاهيها بعد سلسلة من المواسم المسرحية المتوسطة. ان نظرة شاملة الى تاريخ حركة المسرح الالماني مثلا، بعد الحرب العالمية الاولى ـ وبغض النظر عن فترة سيطرة النازية ـ لتؤكد قدرة المراكز المسرحية المحلية، التي تمولهـا بلديات الاقاليم والمدن ـ ذات الطابع القومي في نفس الوقت ـ على تطوير الدراما الالمانية دائما وتجديدها وخلق أبطال جدد لمجالات ابداعها المختلفة. كما أن نظرة مماثلة لحركة المسرح الامريكي بعد الحرب العالمية الثانية لتؤكد أن مسارح الجماعات، مثـل «مسرح الجماعة» أو «مسرح الدائرة في الميدان»، ومسارح الجامعات، أو ما يطلق عليه بوجه عام «مسرح خارج برودواي» قد كان شريان الحياة الرئيسي للدراما الاميركية طوال العقدين الاخيرين، بل وفي العقدين السابقين على الحرب العالمية الثانية، ابان ازدهار تيـار المسرح الاجتماعي في الولايات المتحدة.

ولكننا ينبغي الا ننسى ان نظام المسارح المحلية المعانة في المانيا، قد كان جزءا تاريخيا من الطابع العام الذي تميز به المسرح الالماني منذ عصر جوتة وشيللر. كما كان مجرد وجود برودواي في الولايات المتحدة بمقاييسه التجارية التي يتحكم فيها شباك التذاكر وبميوله الاستعراضية وتقاليده التي تدفعه الى الاعتماد على الكوميديات الموسيقية الخفيفة، هو ما حتم وجود مسرح «خارج برودواي»، حيث وجدت بيئة فنية مختلفة لا تخضع للمقياس التجاري وتبحث عن المتعة والوعي الانسانيين بأساليبها الخاصة وعلى أيدي أبطال ثقافتها المتميزين، وحيث ازدهرت الدراما الامريكية الاصيلة التي عادت لتغزو برودواي وتخضعه لمقاييسها ومفاهيمها الخاصة ـ حتى على المستوى التجاري ـ فيما بعد.

ان ظاهرة اعتماد فرق الاقاليم المسرحية في مهرجانها الاخير، والاول، على المؤلفين القاهريين من توفيق الحكيم الى ميخائيل رومان، وعـلى المخرجين القاهريين كذلك، لتدفع الى التأكيد على ضرورة بحث هـذه الفرق عن استقلالها الكامل عن تأثيرات القاهرة «المهنية» في مجالات التأليف والاخراج والتنفيذ المنظري، بعد ان حققت استقلالهـا الكامل فعلا في مجال التمثيل. عليها أن تمد المسرح المصري القومي بمسرحياتها وأساليبها الاخراجية، تعطي القاهرة بمثل ما تأخذ منها، حتى تكـون الدراما المصرية، مصرية لا مجرد صناعة قاهرية فحسب.

ولقد كان من المضحك حقا ان تقدم فرقة محافظة مرسى مطروح، مدينة البحر الصحراوية النائية، مسرحية الكاتب قاهري «طليعي !» هو ميخائيل رومان، تنافس قضية اغتراب الانسان ووحدته في عالم آلي شمولي موحد يقضي على فرديته، حيث تتمزق كل العلاقات الانسانية وحيث يعترف الفرد بكل حقوقه نظريا، ولكن لا يتمتع بأي من هـذه الحقوق الا اذا سلم ذاته تسليما كاملا للنظام الشمولي الدقيق، يمنحه في مقابل هذه الذات رفما وحجرة وطعاما، يمنحه اعترافا بوجوده. قد تكون هذه الازمة أزمة واقعية في باريس ايونسكو أو في لندن بيكيت أو في نيويورك ألبي، ولكنها ستفقد معظم واقعيتها في القاهرة اذا قدمها مؤلف قاهري، وستكون شيئا بالغ الشذوذ والافتعال، شيئا مجلوبـا رفيقا، اذا ظهر على مسرح مرسى مطروح، المدينة التي لا تملك مصنعا واحدا حتى الان وما زالت تشكو من نقص جهازها الاداري !، وتحت اسم مؤلف مصري.

ان احتياج الدراما المصرية الى المسارح الاقليمية ينبع اساسا من احتياجها الى كتاب مسرحيين قادرين على الوصول الى الناس من خلال حس تاريخي وواقعي باللغة والشخصية والموقف والفكر، من اجل دفع هذه الدراما على طريقها الاصيل الذي بدأ بمحمد تيمور وابراهيم رمزي والحكيم، ووصل الى ألفريد فرج ومحمود دياب. وربما كانت الاستفادة من التراث الشعبي بعمليات التحويل الدرامي لنصوص التراث طريقا صالحا للوصول الى هذا الهدف، خاصة اذا وضعنا في اعتبارنا فكـرة بلورة الشخصية القومية للدراما المصرية، ولكن الشيء المؤكد أنه ليس هو الطريق الوحيد. وكانت مسرحية محمود دياب «الزوبعة» هـي الدليل الى ذلك الطريق الاخر.

وتحكي المسرحية قصة قرية كان أشرارها قد دبروا مؤامرة ضد رجل شريف صارم مرهوب، مما نتج عنه الحكم على هذا الرجل بالسجـن المؤبد جزاء لجريمة لم يرتكبها وانما ارتكبها من دبروا لـه المؤامرة. ويصل القرية خبر عودة هذا المظلوم الجبار الوشيكة بعد عشرين عـامـا كاملة، كانت القرية في أثنائها قد نسيت ما فعلته، بل واستـلـب وجهاؤهـا ارض الـرجل وداره، ونعتوا ابنه الوحيد بالبله والعي.. ويتحكم الخوف في القرية. فيقتل أحد المجرمين زميله خوفا من صحوة ضميره المفاجئة. وسالب الارض المتظاهر بالتقوى يعيدها لابن العائد المنتظر، وغاصب الدار يعيدها ويعرض ابنته للزواج من الابن نفسه. أما بقية «البلد» التي لم ترتكب اثما سوى انها صدقـت المؤامـرة واستسلمت للمتامرين، فتقرر الدفاع عن نفسها. انهم ما زالوا يلقون التهم جزافا، وما زالوا مستسلمين للموقف الذي اعتادوا عليه طوال عشرين عاما. يشكلون قوة جمعية ظالمة رغم براءتها، غبية رغم قدرتها على الفهم، متعصبة رغم استعدادها لطلب الغفران ومنح المغفرة. أمـا ابن المظلوم المنتظر فيواجه قريته بذاته المتفوقة المقلقة فـي البدايـة يبادلها لعنة بلعنات. ومن خلال اهتمام القرية الذي أصبح مـركـزا عليه، والاحترام والتقدير المفاجئين اللذين نالهما تحت وطأة الخوف من

والده المفزع ، من خلال هذا الموقف المتطور رغم انحصاره فـي زمـن واقعي محدود لا يزيد على يومين وليال ثلاث ، يشرع الابن المنعزل في التفاعل مع قريته ، على أساس الموقف العمائي- القديم اولا الذي تتبدل عناصره ليدخل عليها الشك والدهشة والرثاء ، حتى يصل الى الحدث النهائي ، حينما يصل الخبر اليقين بموت الاب المظلوم المهدد بالانتقـام في السجن منذ سنوات . وحينما تتبلج حقيقة الحدث للقرية التـي شهدت الكثير من التبدلات في هذين اليومين ، تتبلج في نفس الوقت امام اعينها حقيقة معنى هذا الحدث وتتخذ موقفها الجديد ، موقـف الالتزام الجماعي بالدفاع عن الابن ضد المتامرين .

من خلال قصة لا يزيد كثيرا على ما ذكرناه، قدم محمود دياب مسرحيته التي أحسن المخرج الشاب حسين جمعة فهمها ، ليتدخل في « شكل » النص عن طريق الاداء والعرض المسرحيين ، دافعا القرية كلها الى المنصة، لتقف طوال الفصول الثلاثة في مواجهة الابن ، تشهدنا علـى الصراع المتنامي والمتحول بينهما . أدرك المخرج أن علاقة الابن بقريته ، علاقـة الفرد المضطهد والذي تحوم حوله الشكوك بجماعته المضللة ، هي موضوع المسرحية الاساسي . فوجه اهتمامه الى ابراز الشخصيات الاساسيـة عن طريق الالقاء والاداء والاضاءة وحركة المجموعة امام الافراد ، ووجه اهتمامه بدرجة مساوية لابراز المجموعة (القرية) نفسها ، حتى لقـد أوشكت المجموعة (الكورس) أن تكتسب لنفسها شخصية واحـدة متميزة ، وأصبح من الممكن لهذه المجموعة ان تتحرك حركة متسقة في اتجاهات مكانية أو نفسية متعددة ، متزامنة أو متتالية ، ولكن دون ان يرتبك الاداء ، أو يشوش المعنى المقصود نتيجة لهذه الحركة .

على أساس هذا النص الذي يكاد ان يكون واقعيا تقليديا لا طليعية فيه ، وعلى أساس هذا الاخراج التجديدي الذكي المدرك لروح النص ولروح القرية الواقعية أو جوهرها ، وون ان يتقيد بشكل البيوت أو ظلمة ليل القرية – كما تقيد عبد الرحيم الزرقاني في اخراجه لنفس المسرحية ، حينما لم يدرك حقيقة العلاقة بين القرية والابن ، فابعـد القرية ، الناس ، عن المنصة ، من أضعف عنصر الصراع الدرامي المباشر في المسرحية وحوله الى نوع من الصراع الكلامي بين قرية لا يوجد منها الا منازلها الواقعية وليلها الدامس ، وشخص عاجز عن الوصول الـى الناس الساكنين في هذه البيوت – اقول انه على اساس النص الذي قدمه محمود دياب والاخراج الذي قدمه حسين جمعه والاداء الـذي قدمته كفر الشيخ المسرحية ، نكون قد حصلنا على مسرحية مصرية اخرى يمكن ان تضاف عن جدارة الى تراث المسرح المصري القومي وان توجـه أقدامه الى طريق جديد مترع بامكانيات درامية عظيمة .

ينبع موقف الانسان تجاه المجتمع والعالم والتاريخ والوجود وتجاه ذاته من خلال تراثه المتراكم في صور لغوية أو وجدانية أو مادية على مدى الزمن ، ومن خلال الواقع التاريخي المتطور المؤدي الـى الواقـع القائم ، ومن خلال مؤثراته الخاصة في بيئته المحلية ومجموعة علاقاتـه وتربيته وثقافته المكتسبة .. الخ. ولا نرى ما يدعو الى الشك في نبوغ الادب القومي من المصور نفسه . وقد يكون من قبيل الحديث المعاد ان نتكلم عن الوصول الى العالمية من خلال المحلية ، ان نصل بادبنا – حسب فهمنا لهذه القضية – الى حدود التعبير عن الانسانية العالمية من خلال تحقيق التعبير عن جوهر حقيقة الانسان « المحلي » وأعماقه . ولكن المشكلة هي أن البعض يفهمون مسألة العالمية في الادب كما لو كانت تقوم على استعارة تجارب الادب الذي وصل الى درجة التلقى العالمي ، أيـا كانت ظروف المستعير ، وأيا كانت ظروف الادب المعار وأيا كانت تجاربه، او كما لو كانت هذه العالمية تقوم على أساس مجرد ترجمة الادب المحلي الى لغات اخرى ، أيا كان مستوى هذه الادب أو درجة نضجه .

وربما كانت مسرحية « الوافد » التي قدمتها فرقة محافظة مرسي مطروح ، والتي الفها ميخائيل رومان واخرجها كرم مطاوع ، هي التعبير في المهرجان عن هذا الخلط في فهم تلك المشكلة .

فالمسرحية تقدم تجربة ذوبان فردية الانسـان وتمـزق العلاقـات الانسانية في ظل نظام شمولي تحكمه الالة والازرار . ولا نجد ما نقوله عن النص نفسه أكثر من أنه نص غريب ، لا يقوم على أساس من انفعال واقعي عاناه ميخائيل رومان في مجتمعه الساعي الى بناء دولة اشتراكية لا تسمح بنمو فردية أنانية مستغلة أو قاهرة انما يبذل جهده من أجـل نمية كل الفرديات الخلاقة المثمرة المتعاونة والانسانية ، وهو المجتمـع الساعي أيضا الى بناء ثورة « آلية » صناعية يضعها في خدمة الانسان ولا يسحق الانسان أو يخضعه لها . وزاد اخراج كرم مطاوع من احساسنا بشذوذ التجربة وافتعالها . فرجال الفندق يرتدون سترات الردنجوت السوداء ، الشيء الذي لا نراه في أفخر فنادق القاهرة – كما أظـن – بينما أثاث الفندق نفسه فقير بالغ الرثاثة والعادية . وتتناثر على زوايا أرضية المنصة أرقام من عمليات حسابية مختلفة ، الشيء الذي يذكرنا بسبورة المدرس في مسرحية « الدرس » لايونسكو ومسألته الحسابيـة المغلوطة المكتوبة عليها تحت قضيته المنطقية المضحكة « كل القـطط تموت . سقراط مات . اذن سقراط قطة » . وربما لم يبعث علـى الاعجاب في المنظر كله غير ستارة الخلفية ببقعها الملونة لتعبر عن ازرار آلة الفندق الجهنمية المسيطرة ، ولتعبر عن طريق أضوائها المتناثـرة المتوهجة أو الخابية عن تشتت ذهن « الوافد » وتداخل تيارات ذهنه المرتبك . أما عن الفرقة نفسها فلا أظنها قد واجهت اختبارا جـديا .

فالمسرحية تنقسم الى مجموعة من المواقف لا يشترك في كل منها غيـر شخصيتين فحسب – باستثناء المشهد الاخير – الذي تنتصب فيـه الشخصيات الخمسة كلها ، دون أن يتبادل الحديث غير اثنين منهـا أيضا ، مع بعض الكلمات المبعثرة الصادرة من جوانب متفرقة .

* تعبر المسرحية ، كما يعبر اخراجها ، عن ذلك الانكسار الضوئـي الحاد في رؤيتنا لواقعنا القومي المعاصر فنعكسه على أدبنا المزامن لهذا الواقع ، ولا تعبر عن تطور مفهوم أو محتمل للدراما المصرية ، وانما تعبر عن قفزة تقليد مثقف ، متأثرة بثقافة مؤلفها الحديثة التي لم يتمثلها أو يهضمها بالقدر الكافي بعد لكي تتحول هذه الثقافة الحديثة الى غذاء قابل لتنمية انسجة الدراما المصرية الاصيلة والصحيحة التكوين .

اننا بانتظار مهرجان فرق الاقاليم المسرحية القادم . واكثر مـن هذا ، بانتظار الوقت الذي تنتقل فيه فرقة الاقليم بمسرحياتها الخاصة الى القاهرة ، تعلمها وتمتعها وتحقق النمو الصحي والاصيل لفن الدراما العظيم في بلادنا .

نقد الابحاث

– تتمة المنشور على الصفحة ١٤ –

والاستاذ العفيف الاخضر يمتلك الحق كله في نعيه على المثقفين العرب صمتهم وسلبيتهم ... هل نقول ان هذه الحقائق كانت محجوبة عن عيونهم ؟ فليكن ! .. ها هي الان ملء اسماعهم وابصارهم .. وها هي دار الاداب تقدم في وعي اصيل لرسالتها كتاب المناضل بشير الحاج علي ((العسف)) والذي يفضح فيه اساليب التعذيب الجديدة في الجزائر ...

ان الدراسة والتعليق اللذين قدمهما الاستاذ العفيف الاخضر على كتاب ((معذبو الحراش)) يمتلىء بالحماسة في نفس الوقت الذي يقطر اسى .. انه يتكلم في الواقع بلسان انسان مفجوع ... ولكنــه لا يستسلم ابدا لليأس او الاسى . انه يعي تمام الوعي وضعيته كمثقف وثوري .. ولقد كانت هذه الدراسة بالاضافة الى الترجمة التي قام بها لكتاب ((العسف)) الذي كتبه المناضل بشير الحاج علي وهو رهن التعذيب سلاحه الشريف الذي رفعه في وجه الجلادين .

الحرية والمسئولية

هذا هو الجزء الثالث من الفصل الاول للقسم الرابع من كتاب سارتر الشهير ((الوجود والعدم)) وطبعا لا يمكننا ان نناقش ما جاء في هذا الجزء لانه يتضمن ما يمكن ان نسميه بالعمود الفقري للفلسفة السارترية وهو بطبيعة الحال مرتبط بما ورد قبله وما جاء بعده ... وبعبارة اخرى لا يمكننا ان نناقش فكرة الحرية والمسئولية عند سارتر دون ان نناقش فلسفة سارتر كلها ... الا اننا نود فقط ان نشير الى ان صدور هذا الكتاب يعد من الاحداث الفلسفية الهامة ، ولا احسب ان كتاب ((الوجود والعدم)) في حاجة الى تعريف .. فهو مــن اهم الكتب الفلسفية التي تركت اثرا واضحا في الفكر الفلسفي الاوروبي منذ الحرب العالمية الثانية ... ولقد كنا في حاجة ماسة الى صدوره بالعربية وخاصة بعد ان نقل اليها كثير من مؤلفات الفلاسفة والكتاب الوجوديين ... وكثير من مؤلفات سارتر نفسه . نعم كنا في حاجة الى صدور هذا الكتاب مترجما الى العربية لانه اهم كتب سارتر فـي اعتقادنا ... ولا يمكننا ان نعرف سارتر حق المعرفة دون ان نتعرف بدقة على كتابه ((الوجود والعدم)) ... ومهما قيل حول التطورات التي طرأت على فلسفة سارتر فاننا نعتقد ان اسس هذه الفلسفة موجود في هذا الكتاب . وحسنا فعلت ((دار الاداب)) اذ تحملت عبء اصدار هذا الكتاب الهام ، وهي التي اخذت على عاتقها عبء اصدار اهم مؤلفات سارتر باللغة العربية، ولا شك ان المثقفين العرب سيظلون يحمدون لها هذا الفضل ... ومهما اختلفنا او اتفقنا مع الفلسفة السارترية ومهما كان موقفنا منها ... فان صدور هذا الكتاب يعد من الاحداث الثقافية الهامة ... وحسنا فعلت دار الاداب ايضا اذ القت بعبء نقل هذا الكتاب الى العربية الى واحد من الرواد الاوائل الذين يمثلون هــذا التيار الفلسفي في فكرنا العربي الحديث الا وهو الدكتور عبد الرحمن بدوي .. الذي اصدر اول كتاب باللغة العربية متضمنا سمات وملامح من هذا التيار الفلسفي (صدر كتاب الزمان الوجودي سنة ١٩٤٣) ولقد حاول الدكتور بدوي ان يرسي مبادىء هذا التيار على اسس من تراثنا الفلسفي وكما يتمثل بوجه خاص في التصوف الاسلامي في كتابه الذي صدر سنة ١٩٤٧ تحت عنوان ((الانسانية والوجودية في الفكر العــربي)) .

ولا حاجة بنا الى بيان الجهد الذي تكبده المترجم في نقل هــذا الكتاب الضخم الى اللغة العربية . فان هذا الجهد يبدو واضحا مــن مجرد تصفح الكتاب . ولكننا نود ان نشير الى ان السيد هازيل ي. بارنز (1) المترجم الاميركي الذي نقل الكتاب الى الانجليزية ينبه في المقدمة التي كتبها للترجمة الى الصعوبات الجمة التي قابلته وهـو ينقل الكتاب الى الانجليزية وخاصة فيما يتعلق بالمصطلحات ... فلنا اذن – والحال كذلك – ان نتصور مدى صعوبة نقله الى العربية .

وكم كنا نود ان يقدم المترجم لترجمته بمقدمة ضافية يلقي فيهـا الضوء على الفكر الوجودي عامة والفكر السارتري خاصة ... فالمترجم الاميركي قدم لترجمته بمقدمة ضافية تزيد عن الخمسين صفحة ... فما بالنا ونحن نقدم الكتاب الى القارىء العربي ؟ .. هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ... فان الترجمة خلت من معجم للمصطلحات فيما عدا بعض التعريفات الاساسية التي اوردها المترجم في مقدمة الترجمة ... ما كان احوجنا الى مثل هذا المعجم ويكفي ان نعرف ان الترجمة الانجليزية مذيلة بملحق خاص للمصطلحات يزيد عـن العشر صفحات وبخط دقيق . وفي النهاية لا يسعني الا ان احيي الدكتور بدوي ودار الاداب على صدور هذا الكتاب الذي يعد صدوره بحق من اهم الاحداث الفلسفية ، ان لم يكن اهمها ، خلال العام .

الجريمة والعقاب

هذه دراسة لرواية دستويفسكي العظيمة ((الجريمة والعقاب)) يقدمها الاستاذ عماد حاتم بمناسبة مرور مائة عام على كتابتها والدراسة فيها جهد ومحاولة مخلصة لالقاء الضوء ، وما اكثر ما القي من اضواء ، على هذا العمل الخالد .

ولا بد لنا ان نذكر الجهد الذي بذله الاستاذ عماد حاتم فــي دراسته هذه فهو واضح لكل من يقرأها ، الا اننا نأخذ عليه امرين :

اولهما : فمهما احس القارىء لهذه الدراسة ما بذله كاتبها من جهد فمن الواضح تماما ... انها ليست اكثر من دراسة تجميعية لاراء بعض النقاد والدارسين لانتاج دستويفسكي وشخصيته وانها تفتقر الى اراء جديدة او نظرة مبتكرة .

ثانيهما : ان الكاتب في دراسته لهذه الرواية تحدث بالمام وافاضة عما يمكن ان نسميه بمضمون الرواية ولم يشر الا في لمحات خاطفة الى الشكل الفني لهذا العمل العظيم .

وما كان اجدره ان يقف بنا وقفة طويلة امام البناء الروائي ... والدرامية العميقة المؤثرة التي تتميز بها هذه الرواية ... محللـلا ومفسرا ليكشف لنا من خلال هذا العمل العظيم ... عما يمكن ان نسميه ((بالعبقرية الروائية)) التي تقف وراءه .

الاسلام والرأسمالية

من دأب الاستاذ خليل احمد خليل ان يقدم لنا بين الحين والحين بعض الكتب والدراسات الهامة ، وهو يقدم لنا هذه المرة كتابا علـى جانب كبير من الاهمية هو كتاب عالم الاجتماع والمستشرق مكسيـم روايتسون ((الاسلام والرأسمالية)) .

يبدأ الاستاذ خليل دراسته فيتحدث بصفة عامة عن موقف الكتاب الغربيين من المجتمع العربي والحضارة الاسلامية فيقسمهم الى يمينيين ومعتدلين ويساريين ، اما اليساريون فهم ماركسيون غالبا واشتراكيون على الاقل . ومنهم عالم الاجتماع البروفسور مكسيـــم رودنسون . ويعرض لنا الاستاذ خليل في ايجاز لحياة رودينسون العلمية ومن اهم ما يذكره انه عاش في الشرق الادنى سبع سنوات ... فهو اذن قد لمس عن قرب مشاكلنا ... ثم يتحدث عن كتابه الهام ((الاســلام والرأسمالية)) ويخبرنا انه سوف يصدر كتابا اخر عن ((الاســلام والماركسية)) .

ويرى الاستاذ خليل ان هذا الكتاب في الواقع قد فتح طريقا اولا

Being and Nothingness. Translated with an introduction by Hazel E. Barnes, the Philosophical Library. New York. 1956.

امام المثقفين العرب العازمين على فهم مصيرهم ، فهو اذن يد عون تمد اليهم ، ثانيا امام المثقفين الغربيين . ومما يزيد في اهمية الكتاب ان رودينسون يتمتع بميزة حرم منها بعض مثقفينا ان لم نقل جميعهم على حد قول الاستاذ خليل ، ذلك انه تحرر لكونه خارج الدوران الاجتماعي العربي ، من بعض مشاكلنا العربية التي تمنعنا احيانا من فهم المعضلات فهما علميا صحيحا ... وينبهنا الى شيء هام ايضا هو كون رودينسون يصطنع المنهج الماركسي في معالجته لموضوعه ... فماذا يقول الكتاب ؟ انه يتحدث عن العلاقة بيـــن الفكرولوجيا ((الايديولوجيا)) الاسلامية والنظام الرأسمالي . ورودينسون يصل من خلال كتابه الى اشيـــاء كثيرة هامة ويقدم في نظرنا المثل والمنهج الصحيـح لـدراسة الـواقع الاقتصادي العربي خلال القرون الوسطى ... كما فند من خلال دراسته كثيـرا مـن الاراء الخاطئة التي تتعلق بالاسلام وبالحضارة الاسلامية وبخاصة اراء عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر والاقتصادي الفرنسـي جاك اوستروي .. ونحن وان كنا نتفق في اغلب ما توصل اليه مـــن نتائج من خلال دراسته الا اننا نختلف معه في ثلاثة امور :

اولها : ليس هناك تمييز واضح يصطنعه المؤلف بن الاسـلام والعرب ، والحضارة الاسلامية في نظرنا ليست حضارة عربية فقط.. فكما هو معروف وواضح أن الحضارة الاسلامية اشتملت على عناصر عربية وايرانية وتركية لها دورها الواضح في هذه الحضارة وخاصة في عصور ازدهارها .. فالمفروض عند مناقشتنا للحضـــــارة الاسلامية كحضارة .. ان نضع في اعتبارنا كافة العناصر الداخلة فيها ...وكذلك عند مناقشتنا للاسلام كدين وفكرولوجيا يجب ان يكون واضحا انه لا يخص العرب وحدهم ... ولست أدري ان كان البروفسور رودينسون في كتابه هو الذي تجاهل هذه التفرقة ... وما هي فكرته من وراء ذلك ... ام ان الذي تجاهلها هو الاستاذ خليل .

ثانيا : عندما يناقش البروفسور رودينسون الفكرولوجيا الاسلامية ليحدد موقفها من الرأسمالية يرى ((ان القرآن والسنة هما المكونان الرئيسيان لمحتوى الفكرولوجيا الاسلامية)) .

وهنا يجدر بنا ان نشير الى انه لا يمكن اعتبار القرآن والسنـة فقط هما مكونا الفكرولوجيا الاسلامية وانما الاجماع والقياس ايضا.. هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الاهم في دراستنا للفكرولوجيا ليس هو النصوص ــ نصوص القرآن والسنة ــ انما الاهم من كل ذلك هو كيف فهمها الناس واي بناء فكري استوحوه منها عن طريق عمليات التأويل والقياس وما اتفقت عليه وارتضته الجماعة اي الاجماع ، فهذان الجانبان هما اللذان شكلا في الواقع الفكرولوجيا الاسلامية ... ومـن ثمة فحين يتصور رودينسون على حد ما نقله الاستاذ خليل انه يمكن ان نستنبط الفكرولوجيا من هذه النصوص المتمثلة في القرآن والسنـة وحدهما فانه يكون في الواقع قد خرج على منهج البحث الاجتماعي . فالوقائع هنا ليست هي النصوص ولكن هي التطبيق الواقعي لها ... وحين يبحث رودينسون هـذه النصوص ليستنبط منها انها مـع الرأسمالية او ضدها فانه يكون قد وضع نفسه موضع المفسر لا موضع عالم الاجتماع .

ثالثا : يقـول البروفسور رودينسون فـي معرض حديثه عـن الفكرولوجيا الاسلامية ((انها لا تمس الفوارق الاجتماعية ولا تمس البنى الاجتماعية ولا النظام القائم على التفاوت الطبقي)) فالقرآن في نظره ((يحصر كل مشاكل العدالة الاجتماعية في العدالة امام الله ويلح في المكافآت ــ الثواب ــ غير الارضية بدلا من القضاء على الظلم الاجتماعي)). ونحن طبعا لم نقرأ الاسانيد التي ساقها البروفسور رودينسون ليدلل بها على رأيه هذا ، ورغم كوننا نتفق معه في النتيجة النهائية التي يصل اليها في ان هناك اسبابا غير دينية تؤدي الى التأخر الاقتصادي والتكنيكي ، فاننا نختلف مع ذلك في حكمه هذا .. فالاسلام لا يقصد العدالة فقط امام الله ... كما انه يعطي اهتماما كبيرا للقضاء على الظلم الاجتماعي . والرسول يقول ((مـا آمن بي من مات شبعان وجاره الى جانبه طاو)) او قول عمر في اخر حياته ((لو استقبلت من امرىء ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فرددتها الى الفقراء)) .

والمهم ليس ان نقول ان الاسلام ينادي بمبدأ العدالة الاجتماعية او لا ينادي بها .. ولكن المهم هو انعكاس هذه القيم والمبادىء في الواقع.. واثر الواقع فيها .. ، وعندما يدرس رودينسون الواقع الاقتصـادي الاسلامي يخرج بنتيجة هامة نتفق معه فيها ((ان الدين غير قادر ان يفعل عميقا ، فحيث يوجد صراع بين النظرية والتطبيق ينتصر التطبيق اجمالا)) فالامر اذن ليس امر ان كان الاسلام ينادي بهذا المبدأ او ذاك بقدر ما هو مدى تفاعل الواقع مع هذا المبدأ ان بالسلب او بالايجاب)).

وبعد فالكتاب بحق يثير كثيرا من القضايا الهامة وهو على حـد قول الاستاذ خليل يحتوي على نقد لاهم نظريات علم الاجتماع والاقتصاد البورجوازية وهو ايضا بحث عميق في الدين وعلاقته بالانسانية الحية المتجددة وهو يدل على عمق كاتبه واصالة وعيه ونظرته ومدى تبصره واخلاصه للعلم . ويبقى لنا بعد ذلك عدة ملاحظات على منهج الاستاذ خليل في عرضه للكتاب رغم أن مجهوده واضح واستيعابه للكتاب كامل ودقيـق .

اولا : يستعمل الكاتب بعض التعبيرات غير الواضحة تماما في معناها مما يوقع القارىء في اللبس مثل ((نظرية ماركس العامة فـي تركيب العالم)) و ((الكتابة تساؤل وحوار . والقراءة ايضا . الا ان ابجدية التساؤل لا تنتهي كأبجدية الشعر والفلسفة)) و ((المجتمع لا يبنى على ((مدلولات)) بل على مهمات جوهرية)) .

ثانيا : هناك صعوبة واضحة يواجهها القارىء في معرفة اراء مؤلف الكتاب من اراء صاحب الدراسة فمثلا الحديث عن علاقة العلم بالموقف الفكرولوجي والتعليقات الكثيرة في الجزء الخاص بالفكرولوجيا الاسلامية هل هي للبروفسور رودينسون أم هي للاستاذ خليل ؟

ثالثا : شاب العرض نوع من التطول والاستطراد فالكاتب يتحدث عن المثقف الحقيقي والمثقف المزيف ــ على سبيل المثال ــ دون اية ضرورة الـى ذلك .

رابعا : كان من فرط حماسة الاستاذ خليل للمؤلف وللكتاب وانبهاره به ان جاء عرضه في الواقع عرضا غير نقدي ، فكثيـــر من الاحكام يسوقها جاهزة مبتسرة دون أن يورد اطلاقا الادلة والبراهيـن التي يستند اليها البروفسور رودينسون .

خامسا : ليس هناك مبرر لاستعمال الاستاذ خليـــل لمصطلح ((فكرولوجي)) بدلا من ((ايدولوجي)) ، ولسنا هنا نريد ان نعترض على طريقة اشتقاق المصطلح رغم اعتقادنا بعدم صحته من الناحية اللغوية ، بقدر ما نريد ان نتساءل عن الاسباب التي دفعته الى طرح مصطلح ((ايدولوجي)) وتفضيله ((فكرولوجي)) .

« غضبة الهبباي » بين التقليد والتجديد

هذه دراسة لديوان « غضبة الهبباي » للشاعر السوداني صلاح احمد ابراهيم بقلم الاستاذ عبد الرحمن عبد الله .. والدراسة كبيرة وشاملة تتضمن احكاما كثيرة واراء مفصلة عن شعر صلاح احمد ابراهيم بالاضافة الى اراء واحكام تتعلق بالشعر والتجديد .. الخ... ويبدو ان الديوان لم يطرح للتوزيع الا في السودان .. لاني حاولت ان احصل على الديوان ولكن لم اتمكن من ذلك ... وانني لهذا السبب استميح الشاعر صلاح احمد ابراهيم والاستاذ عبد الرحمن عبد الله عذرا بأن اترك التعليق على هذه الدراسة .

الزمن في قصيدة « الذي يأتي ولا يأتي »

السيد خليل سليمان كلفت يحاول في هذه الدراسة لقصيدة البياتي الاخيرة ان يضع يده على اهم خصائصها من خلال دراسته لفكرة الزمن ، وقد يبدو ان في هذه المحاولة ابتكارا وطرافة ولكننا نلاحظ من اول المقال ملاحظة عامة هي ان الباحث يحاول ان يقدم كلامه متسربلا بمصطلحات فضفاضة لا شيء وراءها بالرغم من ان مهمة الناقد الاولى وضوح المصطلحات التي يستخدمها في ذهنه اولا على الاقل . ولا يلجأ الى هذه الطريقة الا من اراد ان يخدع قارئه ويوهمه انه متسلح بالعلم والمعرفة الواسعة ...

فقد بدأ السيد كلفت فحدد منهج الدراسة بقوله « للزمن الذي اتناوله في القصيدة شقان ، الاول هو الزمن الروائي ، والثاني هو الوعي الحاد بالزمن وبعبارة اخرى احساس الزمني بالابدي .. احساس ما هو كائن الان بما كان في الماضي وما يكون في المستقبل » .

فاذا نظرنا الى هذا التقسيم الذي اصطنعه الباحث لوجدناه تقسيما مفتعلا كما سيكشف الباحث نفسه ... فما هو الزمن الروائي؟ ... يقول « ابسط اشكال الزمن الروائي هو الزمن الراسي وهو ملاحظة الاحداث ووضعها متعاقبة كما حدثت بدون رجوع الى الماضي او قفز الى المستقبل . ولا بد ان يكتشف القارىء عقم هذا الشكل البسيط اذ ان الماضي والحاضر والمستقبل تلتقي في اللحظة ولا يمكن ان توصف اللحظة وصفا متكاملا دون وضعها في مكانها من الزمن بالرجوع الى احداث الماضي والحدث بالمستقبل ولا بد ان اللحظة تبقى نكرة الى ان تعرف بالاضافة الى ما ضيها والاشارة الى مستقبلها » .

هذا اذن هو الزمن الروائي .. ولكن ما الفرق بين هذا الزمن وبين « الوعي الحاد بالزمن » والذي يجعله السيد كلفت شقا ثانيا ؟.. يقول عن « الوعي الحاد بالزمن » انه « احساس ما هو كائن الان بما كان في الماضي وما يكون في المستقبل » ... اذا قيل ان الفرق بين هذا وذاك هو الفرق بين « احساس » و « وصف » ... كانت الاجابة بسيطة للغاية وهو أن الفرق ليس في الزمن انما الفرق في طريقة التناول ومن هنا فلا ضرورة لهذا الفاصل التعسفي الذي يصطنعه السيد كلفت . والحقيقة ان مفهوم الزمن الذي يقدمه لنا الكاتب ليس في الواقع الا ترديدا مشوها لما قاله هيجل عن الزمن من افكار مثالية .. فللزمن عند هيجل (1) « ابعاد » ثلاثة .. الحاضر والمستقبل والماضي. اما الحاضر فيقول عنه هيجل .. انه يحمل في طياته المستقبل كما ينعته انه ايضا نتيجة الماضي وصادر عنه كما سيصدر عنه المستقبل او الحاضر التالي » . وهذا طبعا كلام شائع ومعروف منذ اصدر الدكتور عبد الرحمن بدوي كتابه سنة ١٩٤٣ .

فاذا ما تساءلنا بعد ذلك عن معنى الكلام الذي يقدمه لنا السيد كلفت ادهشتنا غرابته .. فما هو مثلا الزمن الروائي في الشعر ؟!... يزعم الباحث « ان الزمن الروائي ينتمي الى الشكل بصورة مباشرة ، وان الشكل يعكس المضمون (فهو وسائل تهدف اليه وجماليات تنتج عنه ، فهذا لا ينفي ان ملاحظة الزمن الروائي تتعلق ببناء القصيدة ويمكن ان تستقل الى مدى كبير عن معية المضمون ، فهذا الزمن يستطيع ان يبرز ويلاحظ منفصلا عن اغراضه لانه درجة من الشكل على مستوى كبير من النضج) ... ومن الواضح ان هذا « الكلام » يتضمن اطلاقا لاحكام دون اية روية او دراسة ... فكيف استطاع السيد كلفت ان يتوصل الى ان الزمن الروائي ينتمي الى الشكل بصورة مباشرة ؟ .. وما هي المبررات التي يبرر بها قوله ان « الزمن الروائي يمكن ان يستقل الى مدى كبير عن معية المضمون » كيف يمكن فصل الزمن الروائي الذي ينتمي الى الشكل كما يقول الكاتب عن « معية المضمون » وما هو معنى هذا التركيب « معية المضمون » ان كان له معنى ؟!..

ويقول السيد كلفت ايضا عن الزمن الروائي « المعروف ان ابسط اشكال الزمن الروائي هو الزمن الراسي وهو ملاحظة الاحداث ووضعها متعاقبة كما حدثت بدون رجوع الى الماضي او قفز الى المستقبل » .. ولن نرد على هذا الكلام الا بما قاله سارتر عن الزمنية عند فوكنر « ان ما يتكشف انذاك هو الحاضر ، لا ذلك الحد المثالي الذي له مكانه المحدد بين الماضي والمستقبل ... ووراء هذا الحاضر لا وجود لشيء لان المستقبل غير كائن ... » . فهل يعتقد السيد كلفت ان الزمنية عند فوكنر هي ابسط اشكال الزمن الروائي ؟!! ..

ولكن لننظر ماذا فعل السيد كلفت عندما حاول تطبيق هذا « الكلام » على القصيدة فيما يسميه « التمهيد والتكرار » . انه يتكلم عن اشياء ثلاثة « الحلم » او « نيسابور المستقبل » والواقع وهو « جحيم نيسابور ومدينة الواقع « نيسابور الجحيم » ... ولكن الذي يفعله في الواقع عند حديثه عن هذه الاشياء الثلاثة يدخل في باب الاحصاء ليس اكثر ولا اقل ... يظل يسرد في صفحتين من الاداب صفات الحلم وكونه ليس استاتيكيا ... الخ. وكذلك يفعل بالنسبة « لجحيم نيسابور » و « نيسابور الجحيم » ورغم اعتماد الكاتب كلية في هذا الجزء على كلمات الشاعر التي اوردها في قصيدته فان هذا الجزء لا يخلو من اخطاء .. يقول السيد كلفت « وفي الجزء الحادي عشر (الحجر) تهرأ الخيام وسقطت اسنانه (رمز من رموز العجز الجنسي الفرويدي) فهو لم يعد قادرا على ممارسة طقوس الاخصاب م عشتار » والذين يعرفون فرويد او قرأوه يعرفون تماما ان سقوط الاسنان هو رمز للاستمناء وليس للعجز الجنسي .. ومن ثمة فكل النتائج التي رتبها السيد كلفت على فهمه الذي انتحله لفرويد نتائج خاطئة .

وعندما يتكلم الكاتب عما يسميه بالتكرار يقول « هو الوجه الاخر للعملة فاي شيء سبقت الاشارة اليه يكون تكرارا والتماثل في التكرار، اي تكرار حدث واحد او فكرة واحدة في حالة جديدة كل مرة » ... وهنا خطأ يمكن ان يؤدي الى نسف الفكرة من اساسها فعندما يقول « فالتماثل في التكرار (اي تكرار حدث واحد ... الخ. » يتردى في

---

(1) الزمان الوجودي ، ص ٢٠

خطأ جسيم ، ذلك ان التماثل هو « علاقة تشابه كامل مطلق » (١) وليس بأي حال « تكرار حدث واحد ، وفكرة واحدة في حالة جديدة كل مرة » .

وعندما يتحدث الكاتب عن « النسيج » نراه يفتعل صراعا وهميا بين افعال الماضي والحاضر والمستقبل ... ونحن نكتفي بأن نتساءل اين افعال المستقبل في القصيدة ؟

ويتحدث الكاتب عن الضمائر فيقول « الخيام بطل القصيدة انتقاله من الغائب الى المتكلم الى المخاطب يعكس تغيرات في الزمن » كيف يحدث هذا ؟ ان السيد كلفت لا يقدم لنا مثلا ...

وعند حديث الكاتب عما يسميه بالتجميد وهو مصطلح ينحته من الفلم التشيكي « الصخرة » يضرب لنا بعض الامثلة عما يقصده منها تجميد عائشة في صورة عشتار « مقطوعة اليدين يعلو وجهها التراب » وما يسميه السيد كلفت بالتجميد شيء معروف تماما في النسيج الشعري وهو لا يمت بصلة لما يمكن ان نسميه الوعي بالزمن .. ولسوف نسوق لذلك مثلا من قصيدة ايليوت الارض الخراب القسم الثاني « لعبة الشطرنج » : وعلى المدفأة العتيقة

عرضت صورة فيلوميلا وقد تحولت الى بلبل
اذ طاردها الملك البربري بفظاظة بالغة
فبدت الصورة كنافذة اطلت على منظر غابة
ومضى البلبل رغم الطراد يملأ ارجاء اليباب باطهر الغناء

فالصورة هنا تشير الى اسطورة فيلوميلا الاغريقية ولقد اتى بها الشاعر ليعطي بعدا جديدا من الابعاد التي يريد ان يضمنها القصيدة .

وبعد فليس لنا ان نطيل اكثر من ذلك في مناقشة هذا البحر الخصم من الاخطاء ، فلقد غدا واضحا ان السيد كلفت يود ان يفرض فكرته على القصيدة بطريقة تعسفية .. دون ان يحاول استشفاف طبيعة القصيدة ذاتها ومن داخلها وليس بفرض افكار دخيلة عليها .

وفي اعتقادنا ان السيد كلفت قد فاته شيء هام هو ادراك نسيج القصيدة ومبناها ... سوف نورد هنا نصا ل (٢) « ف. أ. ماتيس » في معرض حديثه عن قصيدة ايليوت الشهيرة « الارض الخراب » ونحن نعتقد ان هذا النص هو المدخل الصحيح لدراسة قصيدة البياتي ايضا يقول « والمشكلة التي تعرض امام الفنان هي ان يستكشف نمطا يوحد بين هذا التنوع ، كما عليه ان يصور الكامل في تراكب التجربة الانسانية وتعقدها ، ان كان يعتقد مثل ايليوت ان الشعر يجب ان يحوي استجابة المرء - سالبة كانت ام موجبة - نحو تجربته كلها ، فمهمته اذن مزدوجة ذات شقين اولهما ان يسجل بدقة ما احس به وادركه ، وثانيهما ان يوضحه ويفسره في الوقت نفسه ، وهو لا يستطيع تحقيقهما الا اذا قبض على ناصية التشابه القائم تحت المظاهر المنفارقه ، وبهذا يستطيع ان يؤكد جانب التعادل الاساسي لتلك التجارب التي تبدو متخالفة في الظاهر ... وهذا التوجه عنصر مسيطر في منهج القصيدة « الارض الخراب » فقد رأينا ان المدينة فيها تمثل مدنا كثيرة ، او قل تمثل خصائص ناجمة عن الحالة العقلية المهيمنة الشاملة التي ولدتها حضارة الجماهير ... غير أن مبنى القصيدة يشمل شيئا اكثر من ذلك ... فقد رغب ايليوت في ان يجعل التكثر وتعدد الالوان في العالم الحديث امرا يدخل في نطاق الشعر بالطريقة الوحيدة التي يستطيعها الفنان وهي اضفاء النظام والشكل على ذلك التعدد والتكثر .. » .

ولسنا هنا بايرادنا هذا النص نريد أن نؤكد التشابه في المبنى على الاقل - بين الارض الخراب والذي يأتي ولا يأتي - فلهذا مجال اخر ولكننا اردنا ان نعطي المدخل الصحيح كما نعتقد لفهم ودراسة هذه القصيدة الطويلة المتشابكة .. فذلك التعدد في الاماكن والاشخاص هو في الواقع تكثيف لفكرة واحدة وان اخذت مظاهر متعددة .. ان الشاعر يحاول كما يقول ماتيس « ان يجعل التكثر وتعدد الالوان في العالم الحديث امرا يدخل في نطاق الشعر بالطريقة التي يستطيعها الفنان وهي اضفاء النظام والشكل على ذلك التعدد والتكثر » ويؤكد ذلك استخدام الشاعر للاساطير المختلفة الممثلة للخصب مثل عشتروت وتموز واوزوريس ... ولا يجب ان ننسى ان راوية الرؤية في القصيدة كلها واحد ، فالخيام هنا يروي ويعاني كما كان « تريسساس » في « الارض الخراب » يروي ويعاني ... والطريقة المستخدمة هنا هي عين الطريقة المستخدمة في الارض الخراب وهي ما يمكن ان نسميها طريقة التفتيت وعدم الترابط او الانساق المنطقي . وفي هذه القصيدة كما في الارض الخراب لا تقتصر رقعة الاحداث على مكان بعينه كما انها تمتلىء بشخصيات عديدة منها الاسطوري ومنها الواقعي .

وبعد فلم يكن من هدفنا ان نعقد اي مقارنة بين قصيدتي - الارض الخراب والذي يأتي ولا يأتي - فالامر يحتاج الى دراسة واسعة لتحديد اوجه التلاقي والاختلاف بينهما لولا ان الذي دفعنا الى هذه الاشارة العابرة محاولة السيد كلفت المبتسرة لفرض افكار ومفاهيم على القصيدة لا تمت لها بصلة .

القاهرة — **محمد يحيى النادي**

---

(١) المنطق الصوري عند ارسطو وتطوره المعاصر ، ص ٩٩

(٢) ما حققه ت. س. ايليوت ، ص ٩١ من الترجمة العربية .

القصائد

— تتمة المنشور على الصفحة ١٥ —

المقطع الثاني الذي تظهر فيه براعة الشاعر في الصياغة وزخرفة المشاعر والافكار العادية وتطويعها لابياته القصيرة السريعة .

واخيرا ففي قصيدة « اغنية زنجية — الى عبد الباسط الصوفي » للشاعر عبد الرحيم الغزاوي تتناثر الجمل هنا وهناك بحيث تبدو بعض اجزاء الصورة العامة مشرقة وبعضها مختلا ويبدو البناء العام للقصيدة مفككا . فالشعراء الان في منتصف الطريق بعد ان تخطوا مفاهيم البلاغة التقليدية ولم يستقروا على مفهوم بلاغي جديد في حين تجيء اغلب اعمال النقاد مكتفية بتناول الجوانب الفلسفية والعامة في الشعر الجديد مهملة البلاغة الجديدة في هذا الشعر وهو الامر الذي يلزم اكتشافه ليتحقق لهذا الفن العظيم شيء من الاستقرار .

الموسيقى :

باستثناء قصيدة واحدة من قصائد العدد الماضي اتت صياغتها على النسق التقليدي تبدو مشكلة تقييم الجانب الموسيقي في القصائد غاية في الصعوبة ، هذا اذا اتفقنا على ان القواعد التي ارساها الخليل ابن احمد لم تعد كافية لوصف موسيقى الشعر الجديد ، وعلى فرض انها كانت كافية لوصف وتقييم موسيقى الشعر التقليدي (وهذا محل نظر ايضا) ، ففي قصائد العدد الماضي اعتماد اساسي على البحور ذوات التفعيلة الواحدة بعد ان تحرر الشعراء من استخدام عدد التفعيلات في البيت وتصور اغلبهم أن الايقاع الذي يحدثه تكرار التفعيلات هو اساس موسيقى الشعر الجديد .

فهل هذا كاف ؟ وهل هذا صحيح ؟ ليس بكاف بدليل انهم انفسهم يخرجون في كثير من الاحيان عن التفعيلة الاصلية ولا يخل هذا بموسيقى البيت في الاذن دائما . وليس بصحيح الا اذا ثبت ان(الميلودي) الذي تحدثه مجموعة من التفعيلات لا قيمة له وان النغمة شيء غريب على الشعر العربي ليكون الايقاع وحده اساس الموسيقى الوحيد وهذا ما لم يثبت بعد وما لم يحاول احد اثباته على اساس علمي حديث . الحروف ومناطق نطقها وطريقة تلاحقها ، الا يؤثر ذلك على الاذن ؟ وفيم يتعلق الامر ان لم يكن متعلقا بموسيقى الشعر ؟ التقليديون الجدد يحاسبون الشاعر على اساس التزامه بالبحر العروضي او خروجه عنه واخرون يصنعون من تأثيراتهم مقاييس فنية ، فهذه موسيقى سريعة وتلك بطيئة تثير هذه العاطفة او تلك وفقت أو لم توفق ، ولكن هذا المستوى لم يعد يكفي . يجب دراسة بلاغة الشعر الجديد بالاستفادة من مكتسبات علم الجمال الحديث في تناول الشعر الجديد ، كما تجب دراسة موسيقى هذا الشعر على اساس التحليل المعملي للاوزان واكتشاف النغمات التي تصنع الموسيقى مع الايقاع بعد توسيع مجاله بادراك علاقات جديدة ، لا شك ان الاذن وحدها غير قادرة على تفسيرها .

الرموز :

الرمز قديم في الشعر ما دامت الصورة الجزئية غير مقصودة لذاتها وانما لعالم الشعور والفكر الذي تفتح نوافذنا عليه رغم ان الحياة قديما كانت على درجة من البساطة يسهل وصفها ولكن اهمية الرمز كعنصر صياغي ازدادت بعد تعقد العالم المحيط بالانسان الى درجة صارت فيها القاعدة هي عدم فهم الانسان لهذا العالم — اقصد الفهم الشامل وعلى مستوى العصر — لذلك صار من الضروري جدا وحتى يتجنب الشاعر والقارىء معا التوهان في التفاصيل أن تختار بدقة الرموز التي تشير الى العالم والتي تحمل خبرة الشاعر وثقافته وفكره الى المتلقي ، في ايجاز .

الرمز اذن طريقة لتوصيل التجربة والقاء الضوء عليها .

واهميته في الغالب ان يخلق ارضا مشتركة من التراث او الفكر الانساني تضم الشاعر والمتلقي . وقد اتجه الشعراء بعد فترة التقليد الاولى التي غلب عليها استخدام الرموز اليونانية القديمة الى احياء واعادة صياغة رموز شعبية وتاريخية واسطورية من واقع تراثنا وهذه في تصورنا خطوة الى الامام .

ولكن استخدام الرمز ظل ناقصا اذ يستخدم كمجرد نداء عاطفي كما في قصيدة خالد علي مصطفى او للاثارة الحماسية السريعة كما في قصيدة علي الحلي او كمجرد اطار للتجربة كما في قصيدة حسب الشيخ جعفر او بطريقة شديدة الجزئية كما في قصيدة محمد عفيفي مطر . وكنا نود ان نرى استخداما عميقا شاملا للرموز فربما يكون هذا احد الحلول لمشكلة الهوة القائمة بين الشعر وبين جمهور الشعر اليوم .

القضية اذن هي قضية التناقض بين الامكانيات العظيمة التي يحملها شعراؤنا اليوم وبين الفوضى البلاغية والجمالية التي تفرض على الشاعر في الغالب اطارا جماليا ان لم يكن متخلفا فانه غير مستقر ، والشعراء مسئولون عن ذلك ومسئول معهم وبدرجة اكبر النقاد . ولا بد من حل لهذه القضية اولا ليخرج شعرنا الجديد الى افاق العالمية الرحيبة .

القاهرة — **شوقي خميس**

القصص

— تتمة المنشور على الصفحة ١٦ —

الذي بانفصائه تهدم العالم ولم يبق فيه حجر على حجر . هكذا نجد انفسنا أمام خراب ميت لا أمل في استرجاع شيء منه ، ولا نجد في ذكريات العجوز ما يدفعنا الى التأسي — مثله — على هذا العالم المفقود . الوحل والسواد والعاصفة والرمل والدم والادمية المفقودة قائمة في القصة دون مبرر الا في ماضي العجوز الذي لا نعرفه . أما هو فمصلوب على هذه الذكريات ، ليس امامه غير درب المستنقعات ، يقال عنه انه موجود مع انه معدوم . فنقسم الى شطرين هو الاخر ، شطر يخفيه العالم المولى تحت أنقاض العالم المنهار ، وشطر ثرثار شخصية ثرثرته عن عيوننا ام أو تخفى حقيقته . ولكن زلات اللسان كثيرة . فالقضبان والبعد عن المجتمع الذي يجعل الاشياء الرخوة تتماسك ، والصيادون الذين يغيرون مهنتهم في الليل ، ثم هذا الاعتراف الصريح « انني اريد امك » ، كل هذه « الزلات » تشير الى أن ثمة شيئا واقعيا دار في زمن ما من الماضي ، وارفى مكان ما من « الواقع » ، وارفى لحظة من لحظات هذه الشخصية . أيود المؤلف ان يستعيد هذه اللحظة الماضية ، او هذا المكان البعيد ، او هذا الزمن المولي ؟ اما



العجوز ، فما يزال يريد استعادة ماضيه العظيم ومع هذا فهو غارق في « الان » حتى أذنيه . ها هو العالم الخارجي ـ عالم القصة الواقعية التقليدية ـ يريد ان يطل من وراء كل هذا الدوران وها هو وجه العجوز الانساني يريد ان يطل كذلك من وراء ثرثرته ، كلاهما قابع وراء قناع الصور اللغوية او الحسية ، وراء التأملات او الذكريات او الرغبات الحسية التي لا يبين أتحققت أم ظلت في حدود الرغبة ، وها هو الحدث يوشك ان يتماسك او ان « يقع » ، ولكن دوامة التجربة السيكولوجية لا بد وان تدور في دوامة شكلية اخرى من قالب دائري لا بداية له ولا نهاية ، لا ارض يقف عليها ولا سقف ينتهي اليه ـ والاشارة هنا الى تعليق المؤلف في العدد الماضي نفسه ـ ويظل العالم الخارجي قائما ولكن في حدود الصورة المتخيلة في الحاضر ، او المتوهمة في الماضي ، ويظل الوجه الانساني دون قسمات واضحة وراء غلالته او قناعه اللغوي او الصوري الخصب والثري ، ويظل الحدث معلقا ، بين الوقوع والامتناع بين الذكريات أو التأملات وبين الانغماس في اللحظة الحاضرة .

وهذا ما لم تعرفه القصة الواقعية التقليدية ابدا ، منذ عصر شيكوف حتى شهر صدور العدد الماضي من الاداب . ولكن هذا لم يمنع « دوار » من ان تكون قصة واقعية بحكم استهدافها مزج العالم الخارجي بالشخصية الفنية ، من خلال تجربة هذه الشخصية مع هذا العالم وفي داخله ، ومن خلال « جدل » العلاقة بين العالم والانسان الفرد ، غير النموذجي أو النمطي . ولتغيير نوعية مجال القصة الواقعية التقليدية ، مجال العالم الخارجي وحده والانعكاس الخارجي لهذا العالم علىوجدان الشخصية في حدث محدد المعالم . لتغيير نوعية هذا المجال ، ليصبح مجالا اكثر شمولا ، مجال عالم الانسان النفسي ، تجتاحه مؤثرات العالم الخارجي ، القائمة في الماضي أو في الحاضر ، « هنا » او في مكان اخر ، وكل القصة تظل واقعية ، رغم انها لم تلتزم « الركائز الاساسية ، وتلك هي القواعد العامة التي لا يجوز تجاهلها بالمرة » ، على حد تعبير الاستاذ عبد المجيد لطفي الذي دحضه هو ، بابداعه الفني الممتع ، في هذه القصة .

اما عن قصة الاستاذ فهمي حسين ، وعطاوى ، فقد أربكها هذا التداخل بين محاولة منحنا صورة « آنية » عن عطاوي ، وبين محاولة تلخيص عطاوى كله في الثلث الثاني من القصة ، ففي الثلث الاول ، يبدهنا ذلك الموقف « الدرامي » ـ والعذر في استخدام هذا المصطلح راجع الى القصة نفسها ـ الذي نسجه المؤلف باتقان كاد يبلغه هدفه الحقيقي من القصة ، ان نعرف عطاوى المهزوم ، وان نعرف هزيمته أمام العمر الزاحف والرغبات المحبطة . ولكن المؤلف يتوقف فجأةلينقلنا الى تاريخ عطاوى ، ليفصل مجموعة من تجارب الراوي معه ، او من تجارب عطاوى نفسه ، حصلنا نحن على معناها من خلال الموقف الدرامي النفسي الاول ، والموقف المشابه في نهاية القصة . ان محاولة المؤلف لان يمنحنا شخصية كاملة ، في حدث كامل ، من خلال بناء كامل يبدأ ويتنامى وينتهي ، ينسجه بالحور والسرد ووصف جزئيات من العالم الخارجي او نقل صور لهذه الجزئيات أقول ان هذه المحاولة ما كان ينبغي ان نضم محاولة ثانية ، محاولة التوفيق بين أسلوب سيكولوجي يستلزم كثافته ونفاذا بالغيبة ، وأسلوب واقعي تقليدي ، يستلزم وضوحا ومباشرة لا يستهان بهما . فقد انتجت هذه المحاولة تأثيرا مضادا ، اذ قسمت القصة الى قسمين غير متلاحمين ، وبدت كما لو كانت تحمل طابع مؤلفين لم يتحقق لهما الاندماج . ولا يتحقق هذا الاندماج ـ في تقديري ـ الا بممارسة طويلة وصعبة لتخفيف لغة الاسلوب الواقعي التقليدية من أثقال التعبير المباشر ، والا بتحقيق الوصول الى لغة واحدة ، اداة تعبيرية واحدة ، لكل من الاسلوب الواقعي التقليدي والاسلوب السيكولوجي لتحقيق تكامل الرؤيتين ، في رؤية واحدة ، لتحقيق استهدافهما هدفا فنيا واحدا ، في الشخصية والحدث والعلاقة بين الداخل والخارج في آن معا .

القاهرة — **سامي خشبة**

الفكر العربي يواجه اقسى تجربة

صدر من قلم عبد الله القصيمي الكتابان المثيران : « كبرياء التاريخ في مأزق » و « هذا الكون ما ضميره »
وقد يكون هذان الكتابان هما اصعب امتحان واجهه العقل العربي في كل تاريخه . والمرجو ان تكون مواجهته لهما مواجهة شجاعة وذكية ، تتكافأمع ما عرف عن الانسان العربي من مزايا قوية ومن قدرة على المواجهات الصعبة .

وقد كان الانسان العربي محتاجا دائما الى هزات غير عادية من داخله لكي تضطره الى التخطي لمواقعه القديمة . ولقد جاءته هذه الهزات غير العادية بصدورهذين الكتابين . انهما رجفان هائل ، انهما قادران على ان يزلزلا جميع تركيباته العقلية والنفسية والتاريخيةوالاخلاقية .

من فصول الكتاب الاول : « الى كل طغاة العالم » « عصر الصراصير الزعماء » « البطل طفل يذل كبرياء التاريخ » « الدعاية والمذهبية والثورية وحوش عالمية تفترس الانسان » « هل الحرية كسب للانسان ام للصوص » .

ومن فصول الثاني : « السوط اشهر كاتب للتاريخ » « يجيئون لهدم الوثنية فيصبحون اقوى الاوثان » « كن برغوثا لئلا ترى في الكون شيئا دميما » « الاتقياء اكثر احتلاما بجسد الشيطان » « الكون والانسان بلا نموذج » « لم ينتحر الكون لانه لا يحتج » .

قال ادونيس عن المؤلف « انه لصعب ان يعد العربي الذي لا يقرأه مثقفا او انه يحيا على الارض العربية . عبد الله القصيمي في الفكر العربي حدث ومجيء . حدث لان صوت هذا الآتي من تحت سماء مكة والمدينة صوت هائل وفريد ـ ومجيء لان في هذا الصوت غضب الرؤيا والنبوة »